جرجيس فتح الله

زيارة للماضي القريب

هدية حقوق الناشر محفوظة

جرجيس فتح الله

زيارةٌ للماضي القريب

ويضمنه:

لماذا تبقى الحقائق مكتومة عن الشعب الكردي

وهي:

رسالة موجهة الى الفئات والكتل والاحزاب
السياسية الكردية والطبقة المثقفة الواعية الكردية وللشعب
الكردي اجمع. تشرح ماغمض من الاحداث والملابسات
السياسية التي رافقت الثورة الكردية الكبرى
والحزب الديمقراطي الكردستاني والعوامل التي
ادت الى فشل الثورة ودور الحزب فيها
والعبر والتجارب المستخلصة من النكسة. وما
يتوجب عمله في هذه المرحلة

[الطبعة الأولى في 1977. الطبعة الثانية 1978]

هدية كتب

ستوكهولم ـ السويد
دار الشمس للطباعة والنشر
© Solförlaget 1998 Box 136
191 22 Sollentuna

ISBN 91-89150-02-3

www.[illegible]ion.com
Dalagat[illegible]ckholm
Tel[illegible]

مقدمة

حصل ماتوقعتُه عند نشر الكنّاش الذي تضمنه هذا الكتاب في اول طبعةٍ له. فمع انيّ حرصتُ على الاّ اربط إسماً واحداً بواقعةٍ معينة او عمل، وتعمّدتُ كتمان الهويّات، فقد انفجر معين الغيظ في نفوس معظم افراد الطائفة التي حُمّلت فيه مسؤولية الأخطاء والجرائم. وسكتت البقية وتغافلت خجلاً، وانبرى آخرون يسترون خيبتهم باشاعةِ إحكامٍ عامّة على شخصي، بدلاً من التصدي الى مضامين الكتاب بالتفنيد او المساجلة أو التكذيب بالدليل، او قرع الحجّة بالحجّة. فوصفني أحدهم مثلاً "بالمتملق لملا مصطفى البارزاني" او "بطالب الحظوة لدى نجليه" وقال بعضهم عني شيئاً شبيهاً بـ "المتلوّن الانتهازي الذي يريد أن يبني له شُهرةً على أشلاء الثورة " أو "بالذي يتظاهر بالجرأة عندما لايجد أمامه نداً". وبلغ الحنق ببعض مَن تَعرّف القراء اليهم رغم كتماني أسماءهم - أنْ راح يتهددني ويتوعدُ بمصادرة ماتبقى لي في هذه الحياة من سنوات وكل ذلك وسائرهم يعلم بأني كابدت بسبب الحزب الديمقراطي الكردستاني، والثورة الكردستانية مالم يكابده حيّ. سواء أعلى يد اعدائها من أجهزة السلطة أو من بعض الزملاء القياديين الذين عملتُ معهم. وبأني قدّمت من مجهوداتي الفكرية والعلمية كتباً وابحاثاً ودراسات عن القضية الكردية وتأريخها مالم يقدم نصفه أي كاتب منذ أن بدأت المطابع تخرج الكتب في هذا الباب. وكل هذه المجهودات كانت وماتزال مجهودات شخصية تلقائية لافضل لأحدٍ فيها مادياً او معنوياً، ولم ابتغ منها ربحاً مالياً في اي وقتٍ ولا شهرة. وكذلك يعلم الواقفون على الأمور بأنيّ ماقصّرت ابداً عن المجاهرة بارائي وتحفظاتي وانتقادي عندما بدت الثورة في كردستان العراقيّة قويةً صامدة في حين كانت عوامل الانحلال والتفسخ تنخر فيها من الداخل وبسبب مجاهرتي ولجاجتي ووقوفي بوجه السلطة وحيداً أيام رأستي تحرير جريدة التآخي لسان الحزب والثورة عقب بيان آذار، ولأني كما قال عنيّ أحد اعضاء

المكتب السياسيّ أنذاك " أفسد علاقات الحزب، بالسلطة الحاكمة بالاتجاه الذي رسمتُه للجريدة "أبعدتُ بحيلةٍ غير مشرّفة عن رآسة التحرير. كما حيل بيني وبين المركز القيادي كعضوٍ منتخب للجنة المركزية ـ ولم اكن آسفاً قطّ على ذلك فليس ـ بمدعاة للفخر أو مجلبة لامتياز الجلوس مع زملاء يتآمر بعضهم على بعضٍ، ويحرصون على مناصبهم الحكومية الجديدة ومراكزهم القيادية.

ويؤلمني حقاً أستعراض مصير اولئك القياديين القدماء ـ الذين نفّرهم مسلكي الحزبيّ والسياسيّ في حينه وحاولوا ابعادي عن "الوليمة". ومنهم من هدد وتوعد. ولست اريد أن اعددّهم بالاسماء، فقد انكشفوا واحداً بعد الآخر وعرف الناس جميعاً بأمرهم فبعضهم آثر ان لايشارك الشعب الكردي بؤسه وشقاءه عشية انهيار الثورة وبعضهم تسلل عقب ذلك وفي اوقات متباعدة في جنح الظلام ليغدو من جديد عميلاً وخادماً لاعداء شعبه وصاروا يروجون للسلطة ويتعاونون معها ويتجسسون لها ويفاخرون بقربهم من حكامها وحيازتهم ثقتها. حتى اذا قضى الحاكم منهم وطره، واعتصر كلّ مايفيده منهم، صفّيَ بعضهم جسديّاً، وقتل الاخرين أدبياً باسناد احقر الوظائف الحكومية اليهم. او دفعهم الى زوايا النسيان فحسب.

وخاب ظنيّ أيضاً باولئك الذين كنتُ اتوسم فيهم شيئاً من الجرأة والصلابة السياسيّة، وبقية شعور بالمسؤولية المبدئية اذ سكتوا هم أيضاً. ومع انه لم يتقدم احدٌ لمناقضة حكم اوردته أو نفي واقعة ذكرتُها أو تصحيح رأي تناولتهُ [1] فقد بدأت الحقائق تتجلي، وعندما تكررت امثال المآسي التي وصفتها في الكتاب حلّت الثقة به مَحلّ الشك والتنكرّ. ولاعجب "فكل الحقائق الكبرى تبدأ بأنْ تُعتبر كُفراً" على حَدّ قول المفكر والكاتب (جورج برنارشُو). وهذا هو

---

1 ـ انكر ان الاعتراض الوحيد الذي صدر من الطيب الذكر ادريس البارزاني بعد قراءته الطبعة الأولى. كان حول صمود جبهة دهوك اثناء القتال في العام 1974 وكنتُ اجهل امرها وقتذاك وطلب مني التصحيح في الطبعة الثانية ففعلت. واقرّ بأنه اراحني كثيراً عندما اكدّ لي ان ماذكرتُه هو الحقيقة. كان اذ ذاك ممتعضاً بسبب مانشرته ما دعا نفسه بالقيادة المؤقتة للپارتي من تقويم للثورة معللاً أسباب فشلها بابتعادها عن المفاهيم الثورية الاشتراكية (اي الماركسية اللينينية) وتقربها من العالم الغربي. (ادانة مبطنة لزعامة ملامصطفى البارزاني) وقد صدر بعنوان (البديل الثوري للحركة التحررية الكردية) بغلاف احمر يشبه لون العلم السوفياتي تزينه النجمة السوفياتية المخمسة في الأعلى. كتبه سكرتير القيادة المؤقتة محمد محمود عبدالرحمن (سامي) بمراجعة ومساعدة المرحوم نوري صديق شاويس. وصدر في لندن العام 1977. حيث كان مقرّ تلك القيادة.

الذي شجعني على إعادة الطبع، وكلتا الطبعتين كانتا بنسخ محدودة، لكنهما حظيتا بأنتشار واسع بالانتقال من يدٍ إلى يدٍ. وبالاستنساخ وكان ذلك قبيل وقوع الانقلاب الاسلامي في ايران. وكنت قد لجأت الى وضع اسمٍ مستعار لها بدل اسمي الصريح لأول مرة وأخر مرةً في حياتي. وكان ذلك مصدر ضيق لي لأني لم اتعوّد التستّر على ماالكتبهُ خلف اسم مستعار. وكلّ مانشرته كان باسمي الصريح لاعتقادي بان المكتوب يكون اوقع في النفس وأدعى الى الثقة عندما تُعرف هوية الكاتب من قارئه. لكن، كانت هناك قواعد القانون الدولي في فترة النظام الملكي الايراني ومن بينها اتفاقية جنيف حول اللجوء السياسي. وليس فيها مايسمح لي بالقيام بنشاط فكري سياسيّ في دولة اللجوء عندما تكون علاقاتها طيبة مع الدولة التي يتصدى لها اللاجيء الكاتب. وفي حينه كان النظام العراقي يتمتع بعلاقات طيبة مع ايران عقيب إتفاق الجزائر.

إنّ ماتوقعته من بعثٍ لحركة التحرر اصبح حقيقة. وكان أملاً لم يفارقني ساعة واحدة منذ أن عبرتُ حدود بلادي الى المنفى وهي احلك ليلةٍ مرّ بها كفاح هذا الشعب البائس المضحي كثيراً في تسجيل اثبات هويته القومية. وانطلاقاً من هذا الايمان لم ابخل بشيء من ذات نفسي لأي مساهمة مفيدةٍ في النشاط السياسي والفكري خلال سنوات المنفى رغم ابتعادي رسمّياً عن تنظيمات الحزب. مجهودات صامتة لكنها هامّة، وهذا الكتيب هو واحدٌ من تلك المجهودات.

الاستمرارية التي لم تتخلّ عن كاتب هذه السطور لم يكن مبعثها شعور عاطفي او حلم يقظة بل هي حصيلة استقراء وتحليل واستنتاج من الوضع السياسيّ المعقد في الشرق الاوسط ومن شدّة وسرعة تحول التيارات السياسية التي تعصف بالعلاقات الدولية في دوامة الحرب الباردة والى ايمان بعدالة القضية التي وقفت عليها أجمل سنوات شبابي ورجولتي وكهولتي واخيراً الى طبيعة تكوين النظام الحاكم في العراق. الذي حمل بذرة فنائه من ساعة ولادته باعتماده اسلوب القمع الوحشي، ومصادرة الحريات وتصفية الخصوم والمعارضين جسدياً. الى جانب تنكرّه المبدئي لحقوق الشعب الكردي والاقليات التركمانية والآشورية في العراق. فضلاً عن مصادرة حريات الاغلبية العربية.

النتيجة التلقائية التي آلت اليها سياسة التنكيل بهذه الفصائل القوميّة وبالشعب العراقي عموماً كان قيام جبهات معارضة نضالية يجمعها هدف التخلص من حكم حزب البعث المستقلّ

بنفسه، وعلى رأسه يقوم رجل اعماه جنون العظمة وفتنة حبّ التسلط وحلم بناء امبراطوريّة الى الحدّ الذي ورّطه في حربه العدوانية مع ايران. وهي حرب دامت ثمانية أعوام واهلكت من الأنفس البريئة مالايعلمه الاّ الله واهدرت ثروة وطنية هائلة ودمرّت مدناً ومسحت قرىً من وجه الأرض. وكأن لم يكف هذا فقد قادته (حساباته الدقيقة) الى حرب استعمار أخرى تهافتت بنتيجتها حساباته الدقيقة تلك أمام إصرار المجتمع الدولي بقيادة الولايات المتحدة في الدفاع عن مصالحها في المنطقة فهزم ثانيةً شرّ هزيمة واوقع الشعب العراقي في محنةٍ وضائقةٍ وتفسّخ اجتماعي غير سبوق عبر تاريخه الطويل، واسلمه الى الفاقة والعوز والاستجداء. وهو من اغنياء الدول بثروته النفطية الهائلة. راح يحاول انهاء المجزرة التي بدأها بأي ثمنٍ لاحباً ببلاده واشفاقاً على ماتبقى من شبابها وعمرانها بل تشبثاً بسلطانه وببقائه.

هذه الحرب التي سميت بحرب الخليج أدّت الى تخلّص كردستان العراق شكلياً على الأقل من قيود اتفاق الجزائر في ١٩٧٥ الذي ختم صفحةً من صفحات النضال الكردي، وكذلك الى تألّب القوى العراقية المعارضة للنظام وتوجيه المعركة رأساً الى قلبه.

في هذه الظروف المؤاتية كان العقل والمنطق والواجب الوطني يقضي بان يوضع حدّ للانقسام الداخلي في الحركة الكردية. لكن ذلك لم يحصل. واستحكم الخلاف والانقسام. وبلعبةٍ شبيهة بالعاب صبية المدارس الصغار. كنا نراقب ـ كما راقب اعداء هذه الأمة ـ فصولها الهازلة التافهة بفضول المتابع رقّا سينمائياً ترفيهياً فيه ترى يحتضن احدهم الآخر ليغمره بالقبلات حيناً، ولينقلب عليه حيناً فيبادله اللكمات والصفعات، وينقلب المنظر الهازل الى مأساة حقيقية في بعض الاحيان تتمثل في معارك دموية بحصيلة من القتلى.

والخلاف بجوهره يبدو دائماً بخلفيّة واضحة لم تعد سراً على رجل الشارع الكرديّ انه التناحر الشخصي على القيادة والزعامة، وهو الداء الذي كان دوماً يحرف الكرد عن مسيرة الحريّة. بعض اولئك الذين نصبوا انفسهم اوصياء على مقدرات هذه الأمة، جاء بحكم الصدف أو التآمر الداخلي هؤلاء، اصروا وما زالوا يصرون اصراراً عجيباً على أن مصير شعبهم مرتبطٌ ارتباطاً عضوياً بزعاماتهم وبوجودهم على رأس حركة التحرير. ادّى هذا الى نكسات وفشل متتابع، وفتح ثغرات مخجلة وخطيرة في جدار العمل القومي الجبهوي.

سفكت دماء كثيرة خلال الصراع على الزعامة كانت تصبغ أرض الوطن بين آنٍ وآخر؛ والاعداء يتفرجون ويفركون الايادي فرحاً ولاييخلون على هذا الفريق او ذاك بكلّ معونة يطلبها

مادام القصد ان يفني احدهم الآخر ويصفيه. وبلغت الحِطة الحدّ الذي راح فيها الزعماء المحتربون يطرقون ابواب اعداء هذا الشعب تاريخياً وسياسياً، ليقوموا بدور الوسيط بينهم في حَلّ ماسموّه "بمشاكلهم الداخليّة". وما عدتَ ترى من يطرح شيئاً عن المستقبل وعن الاهداف القومية أو الوطنيّة ـ فكلها تنوسي أوضاع في صخب الاحتراب والتصريحات والتصريحات المتقابلة والتراشق بالتهم. وتنوسي العدو الرئيس حيناً في المنازعة على المال والواردات ولم يتحرج أحدٌ عن الاستعانة بالعدوّ الذي كان شعار اسقاطه أوّلُ مارفع ـ لمقاومة ورد اعتداء الفريق المتجنّي الآخر. وفي كلّ خطوة يخطوها هؤلاء الذين نصبوا انفسهم زعماءً، يقدمون الدليل على رفضهم البحث عن حَلّ مشرف لقضية كردستان. وتأجيلها الى موعدٍ غير محدد.

وبعدما كانت انباء هذا الجزء الكردي من العراق تحتلّ الصدارة في نشرات الانباء العالمية وتعقد الحكومات المهتمة بشؤون الشرق الأوسط الجلسات الطوال لها. مالبثت القضية الكردية بسبب من هذا الإحتراب أن فقدت الاحترام والمهابة في وسائل الإعلام، واقنعت الاطراف الدولية المعنيّة بالأمر أن الكرد غير جديرين في السعي وراء مطالبهم القومية أو انهم غير جديرين بحكم انفسهم أو الحصول على ادنى درجة من الحريات السياسية. التي ظلّوا يدعون لها ويناضلون من اجلها أحقاباً.

والشعب الكردي كغيره من الشعوب، ليس ضعيف الذاكرة. وان نسي بعضُه، بعضَ مالقي من اهوال في مسيرتهم او تناسى، فان قبضة يد التاريخ ستظلّ تضرب على مستودع ذكرياته. لقد دفع الجُم الغفير من رجال هذه الأمة ولاسيما من عدّ منهم في مرتبة الزعماء والقادة ـ حياتهم بعد سمعاتهم ـ ثمناً لتلك السذاجة بل البلاهة في ايمانهم بوعود اعداء أمتهم، وحسن نيّاتهم. ولو اقدمنا على تنظيم قائمة بالاسماء والتواريخ لخرجنا عن الصدد. ويكفينا التنويه بمصائر من استسلم من قيادي الثورة والحزب الديمقراطي الكردستاني في العام (1975) : ومن وقع في فخ تعهداته .. كم بقي منهم في قيد الحياة؟ وانا لاقصد هنا مصير اولئك الذين ابوا مشاركة البقية منفاهم وعادوا الى العراق قابلين بوصف "العفو العام" الذي منحه المنتصر، لهم (كأن ماأقدموا عليه جريمةً تستوجب العفوُ!) كم أفلح منهم في النجاة، وكم سلّم بكرامته ورجولته.

الى ضعاف الذاكرة. لا الى اولئك الذين مازالوا يأملون خيراً من اعداء بلادهم. ولا الى

اولئك الذين يريدون ان يحرفوا المسيرة القومية عن الهدف، باستبدالها بحرب شعارات تتأرجح بين يمينهم ويسارهم وشرقهم وغربهم لاضاعة مطالب القضية القومية في متاهات مادية وعشائرية مغلّفة بشعارات باهتة مضحكة، اليهم أتوجه بأقصى مايحضرني من إتهام وتأنيب. تراهم بدل أن يجلسوا مع القوى الدولية المهتمة بمستقبل الشرق الاوسط ومشاكله من اجل ايجاد حَلّ عادل ومنصف وسلمّي لمصير بلادهم، يروحون ويغدون الى عواصم الدول المجاورة التي لاتكن اي نية حسنة لشعبهم او عطفاً عليهم للتفاوض على أقتسام الغنائم والاحتراب على مناطق النفوذ في هذا الجزء الصغير من وطنهم الكبير وهم خلال ذلك يتسابقون في نثر التصريحات يمنةً ويسرة وتبادل التهم واظهار العيوب في حين انشغل كلّ في موقعه لتمزيق الوحدة الوطنية. وارض الوطن الى اقاليم وماندرينات مريضة.

لقد كان بوسع الوحدات المسلّحة الكردية، أن تنقذ العراق باجمعه في العام 1991، على اثر الهزيمة النكراء في حرب الخليج واختفاء السلطة اختفاءً تاماً وانحلال الجيش واضمحلاله في العاصمة بغداد. وليس في هذا القول مبالغة لعمري. فكل من كان في بغداد خلال الاسبوع الاوّل وقبل ان يستفيق النظام من هول الضربة، يكاد يجمع دون تردد ان اي قوات كردية بالغ مابلغ عددها كانت ستحقق بمساندة فلول الجيش الهائمة على وجهها - ماضنّ به على العراقيين. رئيس الولايات المتحدة ورئيس اركانه العاجز من عملية انقاذ ماكانت لتكلف جهداً كبيراً ولاخسارة تذكر. ولكان كرد العراق سيسجلون مأثرة خالدة للشعبين العربي والكردي في العراق. لكنهم ضيعوا الفرصة، ولم يخطر ببالهم توحيد قواتهم مع وحدات الجيش الثائر والزحف على بغداد ودك صرح الطاغية لانهم كانوا منشغلين كلّ من جانبه بتثبيت مواقعه فوق ارض كردستان العراقية البائسة المحترقة.

في حين كانت المعارضة العراقية كلها تتطلع الى الثورة الكردية بقواها الضاربة لتحقق شيء من هذا بتنسيق مع انتفاضة الجنوب وجدنا القيادات الكردية منشغلة بالصراع الداخلي أو بمحاولة التقرب من النظام المترنح الآيل للسقوط.

منذ قرون وهذه الأمة المكافحة تنتظر فرصتها التاريخية لاستجلاب نظر الرأي العام العالمي وعطفه على قضيتها. وعندما توفرت الظروف وقامت الدول صاحبة القرار باعادة النظر في مواقفها السابقة وعند اتخاذ الأمم المتحدة قراراً يُعدّ الاوّل من نوعه في تاريخها حيالَ العراق - بمنع نظامه من التقدم الى كردستان العراق وحمايته جواً، نجد وفي هذا الوقت

بالذات تعاوناً سببياً وتعاوناً مباشراً بين القوتين المسيطرتين على تسهيل عودة سيطرة النظام العراقي على مقدرات كردستان ليدوس على كرامة هذه الأمة من جديد.

*** *** ***

حثني كثيرون من الإخوان على تهيئة طبعة ثالثة لهذه الرسالة ـ بعد مرور عشرين عاماً بالضبط على صدور طبعتها الأولى. وقالوا انها تقدم تفسيراً لما يقع الآن علَى ارض الوطن، فرأيتهم مصيبين.

نبذت جانباً اي فكرة لاعادة كتابتها أو اجراء ايّ تعديل او اضافة او حذف على متن الطبعتين الاولى والثانية منها. ولكني ضاعفتُها بتعليقات واستدراكات واستطراد وشروح لبعض اقتضاب او غموض اقتضته ظروف نشرها في ذلك الحين وكانت خالية منها تماماً فضلاً عن عشرة فصولٍ أخرى اضفتها واخترت للجميع العنوان الجديد وهدفي هو أن ابلغ بها الى الوضع الحالي. غير مقتصدٍ ولا مُتنطّع في اخفاء نشاط الاشخاص وهوياتهم كلما اقتضى ذلك ومنهم من يضطلع اليوم بادوار هامة وربما حاسمة في الفوضى الفكرية والاجتماعية التي تَعمّ هذا الجزء من الوطن الكبير، لم يتعض بالتجارب القاسية المرّة الماضية لطبعٍ غلاّب فيه ومنهم طبقة جديدة لماندرينين ٌسابقين سارت على الدرب القديم نفسه. وكلّها ايضاح للرابطة الوثيقة بين مايجري الآن وجرى في الماضي.

اقدّم هذه الطبعة الى ضحايا نضال هذا الشعب ونويهم والى الذين ذاقوا مرارة السجون وصنوف التعذيب والى الذين احرقت مزروعاتهم وهدمت بيوتهم واتلفت ماشيتهم والى الاحياء من الذين استنشقوا الغاز السّام. والى نوي العاهات المستديمة والى الثكالى والارامل والأيام والى كلّ من فقد عزيزاً في معركة الحرية الفاشلة.

كاترينهولم في نيسان 1997

جرجيس فتح الله.

المدخل

للرسالة الاصلية

عندما اعتزمت اصدار هذه الرسالة كنت مدركاً عن ثقة ماستحدثه من اثار متباينة في نفوس قرائها وكيف سيستقبلونها. هناك على الاقل طائفتان سيكون حكمهما عليها مختلفاً فريق ظل بعيداً عن احداث الثورة الصميمة قليل المعرفة او عديمها بحقائقها الخفية سيدركه العجب وتعتريه دهشة من المعلومات التي سأطرحها أمامه بحيث تثير اهتمامه وتحثه على نشدان المزيد من التفاصيل والوقائع وتدعوه على الارجح الى مطالبة أولئك القادة الذين كانوا في مراكز المسؤولية فيها بان يكشف كل منهم عن وجهة نظره ودوره في تلك الاحداث. أين كان يقف منها وماذا كان رأيه في هذه المسألة او تلك. وبذلك سيكّون القرّاء ومنهم بلا شكّ اصحاب القضية نفسها وابناؤها ـ رأيهم القريب من الصواب عن الثورة ووقائعها وأسباب فشلها وانهيارها. فريق آخر كان شديد القرب من الحزب والثورة وهم قادتها وقادة الحزب واعوانهم وذو المسوولیات فيهما. أولئك الذين كان مضمون هذه الرسالة بمثابة اتهام لهم اتهام يبدء بالتقاعس والتقصير وينتهي بالخيانة وبين هذا وذاك تأتي الانتهازية والاستغلال والفساد وما اليهما. لعل هذا الاتهام سيدفع ببعضهم الى مصارحة الشعب الكردي بالحقيقة عن الادوار التي مثلوها وعرض المبررات لسلوكهم. وبودي لو يفلحون في دحض ما ذكرت عنهم. او اكمال ماغفلتُ عن جزئياته او تصحيحه. وبذلك يتم التعاون على رسم الصورة الحقيقية لمأساة فشل

الثورة الكردية واستخلاص النتائج والعبر الصائبة لاجتناب الاخطاء من المستقبل.

ان الكاتب يتمنى من صميم قلبه ان يبادر اولئك الذين تسنموا منصب قيادية في الثورة ومازالوا مصرين على مواصلة النضال والعمل الوطني ان يكشفوا ماخفي عني وعن غيري لتبديد ضباب الشك الذي غلف الجميع بغير استثناء. أنهم سيقدمون : خدمة مزدوجة خدمة لانفسهم وخدمة لشعبهم المستعدّ للغفران ونسيان الخطأ والتقصير اذا ماوجد التفاني والاخلاص حتى من المخطئين والمقصرين السابقين فقد سبق وغفر للخونة منه فيما مضى، تحقيقاً لوحدة الصف ولم الشعث في اطار اخوي رفاقي. ولاولئك الذين يشاركون او لايشاركون فعلياً في معركة التحرر فوق ارض الوطن. لعل أعظم خدمة يقدمونها للمناضلين هي كشف الحقائق لا الانهماك في تأليف الاحزاب والكتل والجماعات والانشغال بالمعارك الجانبية ذات الطابع الشخصي المقنع بقناع المصلحة العامة. فلاشكّ ان التناحر في الخارج والتعدد في الانشطار والانشقاق سيكون له أثره السيء على المعركة التي تدور رحاها الآن وهي معركة يجب ان يحرص كل واحد منا كائناً من كان ومهما اختلفت وجهة نظره مع الآخرين - على ابقاء جذوتها متقدة. لان فشلها ولاسيما اذا عُزي بعضه الى خلاف وشقاق الاطراف الوطنية في الخارج سيكون الطامة الكبرى والبلية التي تفوق الاولى. وبعدها سيرقد الكفاح الكردي الوطني رقدة طويلة على اغلب الظن.

ولهذا فأن قصدي من العرض التاريخي - السياسي الموجز الذي بسطته في الصفحات التالية ليس مجرد اثارة اهتمام ولا لابراز نفسي طرفاً ولا لفائدة شخصية ابتغيها بل ليكون درساً وعبرة للاجيال القادمة ولاولاء الذين رفضوا بأباء وشمم ان يحنوا رأسهم للهزيمة و يستسلموا لها.

ان نجاحي في ابلاغ رسالتي هذه الى العناصر النبيلة الواعية المصرة على استئناف النضال مهما كان جزئياً سيعوضني عن النقد والتجريح الذي اتوقعه حتماً من اولئك الذين سيستنكرون اقوال الكاتب علنا وهم متفقون معه في السر ولايجرؤون على التصريح لعلّةٍ ما في نفوسهم.

اواخر 1977

الباب الاول

نبذة عن الاحوال السياسية التي
رافقت تأسيس الحزب الديمقراطي الكردستاني ومروره
في مراحل التكوين النضالي وقيادته للثورة الكردية
الكبرى حتى تصفيتها

كان تأسيس الحزب الديمقراطي الكردستاني في العراق ضرورة سياسية حتمتها الظروف المرحلية لنضال الشعب الكردي في سبيل التحرر والوصول الى حقه في الحياة التي يختارها.

لهذه الظروف وجهان - وجه داخلي وجه خارجي. فبعد الحرب العالمية الثانية نشطت حركة التحرر في جميع انحاء العالم وهبت الشعوب المستبعدة والمغلوبة على امرها من سباتها لتقرر مصيرها ولتغدو سيدة نفسها. وقد تهيأت لها الاسباب ومنها (اولاً) هزيمة دول المعسكر الثاني (المحور) التي كانت تهدف من شنها الحرب استعباد شعوب العالم لاستغلالها واستنزاف مواردها. فأضطرت دول المعسكر الاول (الحر) التي كانت تدافع هي الاخرى عن مصالحها الى استجلاب عطف الشعوب الاخرى الى قضيتها لضمان تعاونها معها وتبنت شعارات الحرية وبذلت الوعود لتلك الشعوب بتقرير المصير والتحرر (ثانياً) قيام هيئة الامم المتحدة (ثالثاً) الاعلان العالمي لحقوق الانسان الذي كان يتضمن تسليم الدول المنتصرة مبدئياً بحقوق الشعوب كافة في الاستقلال وتقرير المصير.

وانعكس أثر ذلك في بلادنا العراقية. اذ أرغمت الحكومة (الرجعية) في العام 1946 على

اجازة الاحزاب السياسية.[1] وتفهمت طليعة الشعب الكردي الواعية طبيعة هذه الظروف المواتية ولحقت بقافلة الشعوب المجاهدة السلمية الحقوق في طريق الكفاح من اجل التحرر ـ الا ان الشعب الكردي كان ينفرد بوضع خاص لايشاركه فيه ايٌ من الشعوب المناضلة الاخرى. فهو مجزء بين دول تامة السيادة مستقلة تماماً فضلاً عن ان كل منها كان محمياً بنفوذ خاص من الدول الكبرى لتحقيق نوع من التوازن المصلحي فيما بينها تحرص على ان لايصيبه الخلل في ميدان الصراع العالمي على مناطق النفوذ بعد الحرب العظمى مباشرة. (2)ان تلك الدول التي يعيش الشعب الكردي ضمن حدودها مجزءً هي فضلاً عن ذلك اعضاء في هيئة الامم المتحدة التي كانت تضمن لها حدودها الجغرافية بموجب ميثاق انشاء تلك الهيئة مما جعل مهمة تلك الطليعة الواعية للشعب الكردي من اشق المهمات ووضعها على مفترق طريق نضالي

1ـ اجازة النشاط الحزبي في العراق كان بالأصل بادرة بريطانيةً. فقد نُصحت حكومة توفيق السويديٌ بوجوب ظهور العراق في محفل هيئة الامم المتحدة بعد الحرب بمظهر ديمقراطيٌ. وعلى اثر ذلك تالفت احزابٌ خمسة واجيزت بالنشاط رسمياً. وحزب الأحرار وهو تنظيم ديمقراطي ليبرالي شبيه بحزب المحافظين البريطانيٌ بقي الى الأخير لايتمتع بقاعدةٍ شعبية. والحزب الوطني الديمقراطي ويمثل القسم الباقي غير المنفصل من جماعة الأهالي. تالفتْ قيادته من ديمقراطيين تقدميين بعضهم ذو ميول يسارية معتدلة. وبعضهم ذو اتجاه قومي عروبي معتدل. وحزب الاتحاد الوطني وهو حزبٌ يساري يؤمن بالماركسيٌة ومعظم مؤسسيه اشتراكيو النزعة وفيهم من كان من جماعة الأهالي. وحزب الشعب وهو حزب اشتراكي ماركسي بواقع وجود عناصر شيوعية عند بعض مؤسسيه (كان كاتب هذا السطور واحداً من مؤسسيه ومن الفريق الذي لايؤمن بالماركسيٌة وقد استقال منه قبل الغاء اجازته). وحزب الاستقلال وهو تنظيم قوميٌ عروبي صرف يتالف من اعضاء سابقين لنادي المثنى والموالين لحركة مايس 1941. ورفض طلب اجازة حزب باسم حزب التحرر الوطني ـ وكان بمثابة واجهة للحزب الشيوعي. في حين لقيت محاولة الوطنيين الكرد تاسيس حزب قومي كردي ديمقراطي تقدّمي ـ مخالفة شديدة لامن السلطة وحدها. بل من تلك الاحزاب الديمقراطية التي كانت تؤمن بحق تقرير المصير. ووجه الغرابة هنا أن الحزب الشيوعي العراقي شارك في الممانعة والاستنكار.

2ـ كان ذلك في مؤتمر بوتسدام الذي عقدته في 17 من تموز 1945 الدول الحليفة الكبرى الثلاث وحضره كلٌ من ستالين وتشرشل وترومان فبرغم الجهود التي بذلها ستالين لم ينجح في مدّ النفوذ السوفييتي الى حوض البحر الابيض المتوسط حتى من خلال محاولة المشاركة في الادارة الدوليّة لمدينة طنجة في شمال افريقيا وكان الاسبان قد احتلوها بعد هزيمة فرنسا في 1941 . وعبر الروس عن رغبتهم في المساهمة بادارتها فلم يفلحوا. كذلك لم ينجح ستالين في مدّ نفوذ بلاده باتجاه الشرق الاوسط عن طريق الاحتفاظ بقوات عسكرية في ايران فقد ارغم على ضرب موعد للانسحاب من تلك البلاد.

حافل بالعراقيل والاهوال كما سنرى.

واما الوجه الداخلي لتلك الظروف فهو متعلق بتراث الحركة الفكرية والثورية الكردية وتجاربها السالفة وبواقع حال الشعب الكردي واستعداده الروحي على ضوء تكوينه الاجتماعي والطبقي. فمنذ ان بدأت النهضة القومية واخذت ثوراتها تتوالى خلال الربع الاخير من القرن التاسع عشر وما بعده لم يكن ثم مناص من ان تتخذ طابعاً محلياً ذا مفاهيم ضيقة جداً احياناً لاتشف عن الاغراض الحقيقية والاهداف المضمرة. ولم تقم ثورة ما على نطاق رقعة كردستان المجزأة كلها ولا حركة فكرية سياسية موحدة.

اصبح هذا الوضع في القرن العشرين عائقاً كبيراً وعاملاً مثبطاً لم يكن في وسع اية قيادة تلافيه مهما اوتيت من الحزم والكياسة والقوة والحنق السياسي لا احد يخالجه شك في تأثيره على اسلوب الكفاح ولا التغاضي عنه بوصفه عاملاً جوهرياً عند تقويم تلك الانتفاضات الفاشلة. فخطر تحالف الدول التي تحكم الشعب الكردي كان خطراً واقعياً يواجه أية حركة كردية بل ولايمكن حتى لقصيري النظر التقليل من شأنه او جعله في المرتبة الثانية عند حساب احتمالات النجاح. وما ميثاق (سعد آباد) في العام 1937 وما اطباق القوات العسكرية الايرانية ـ التركية ـ العراقية على قوات الثورة الكردية البارزانية وتعاونها على مطاردتها في العام (1946 ـ 1947) بالامرين الخفيين.[3]

ان طبيعة المرحلة النضالية التي كان يمر بها الشعب الكردي في العراق كانت تحتم عليه تسليم زمامه الى قيادة سياسية ذات نوع خاص ترفع شعارات سياسية خاصة. لقد فشلت

3ـ تمّ التوقيع على هذا الميثاق في قصر (سعد آباد) بطهران في 8 تموز 1937 في عهد حكومة حكمت سليمان وديكتاتورية الفريق بكر صدقي ـ بين العراق وتركيا وايران وافغانستان. ومن اغراضه بالنسبة الى الدول الثلاث الأولى التعاون على قمع اي ثورة او انتفاضة كرديّة وطنية ومطاردة دعاة وزعماء الحركة القومية الكردية في اي جزءٍ من اجزاء كردستان المقسمة، عن طريق تبادل المعلومات والتعاون العسكريّ. كما اوضحته المادة السابعة من الميثاق وهذه هي: "يتعهد كلّ من الفرقاء المتعاقدين السامين كلّ داخل حدوده بعدم اعطاء مجال لتأليف العصابات المسلحة والجمعيّات او كلّ تنظيم غايته قلب المؤسسات القائمة. أو قيامها باعمال هدفها الاخلال بالنظام والامن العام في اي قسم من بلاد الفريق الآخر سواء أكان ذلك في منطقة الحدود او في غيرها. او الاخلال بنظام الحكم السائد في بلاد الفريق الآخر".

ولذلك وجد البارزانيون المسلحون بعد سقوط جمهورية مهاباد الكردية، انفسهم هدف مطاردة قوات الدول الثلاث العسكرية وهم في محاولة الجلاء عن ايران باستقبالهم الحدود السوفيتية ـ الايرانية بنية طلب اللجوء.

التكتلات والاحزاب السياسية الكردية التي سبقت الحزب الديمقراطي الكردستاني (پ. د. ك) في اداء واجبها الوطني وتلاشت تلقائياً او بعد صدمات وانحلت ذاتياً معترفة بعجزها لانها لم تضع في الحساب الواقع الذي ذكرناه. ولانها كانت تعتقد وتريد ان تقنع الاخرين بأن (الايديولوجية) او النظرية السياسية التي يتبناها اي تجمع منظم سياسي كردي هما كافيان لبناء حركة وطنية صحيحة وفعالة وبالتالي لظهور قيادة ناجحة تحقق للشعب الكردي امانيه القومية التحررية. وراحت الانظار قبل الحرب العالمية الثانية واثناءها وبعدها تتجه الى النظرية الاشتراكية. وكان حزب رزگاري الذي سبق (پ. د. ك) ابلغ مثل يضرب لعدم واقعية هذا المنحى. ففي تشرين الاول 1946 تألف الفرع الفرع الكردستاني للحزب الشيوعي العراقي في كردستان على انقاض ومن بقايا الحزب الشيوعي العراقي المنحل والمنقسم على نفسه وعرف باسم حزب (شورش ـ الثورة) وبعد ان فشل هذا التكتل الجديد في مفاوضته مع افراد الحزب الشيوعي المنقسم على نفسه. وبعدما ادرك جماعة "شورش" ان فرص النجاح في بعث روح النضال لدى الشعب الكردي ضعيفة اذا ماابنيت على اسس اشتراكية صرفة ووفق منهاج يساري بحت سلمت بفكرة تأسيس حزب يضم معظم العناصر الوطنية والقومية الواعية تحت ظل شعارات تحررية كردية بعيدة عن الصيغ اليسارية ظاهراً فتم قيام حزب (رزگاري كورد).

لكن سرعان ماتضح لجماهير الشعب الكردي في العراق بانّ اعضاء من حزب (شورش) كانوا يقودون الحزب الجديد ويحررون جريدته السرية ولذلك عد واجهة من الواجهات الشيوعية أو كما عبر عنه في حينه (جبهة وطنية كردية اقتضتها الظروف المرحلية) اعني نمطاً من انماط تلكم الجبهات (الديمقراطية) التي تألفت في بعض الدول الاوروبية المحررة من الغزو النازي لاجل تغطية ضعف الاحزاب الشيوعية فيها مدعمة بالجيش السوفييتي المقيم فيها تمهيداً لاستيلاء ذلك الحزب على السلطة تحت ستار (الجبهة الديمقراطية) كما حصل بالضبط.[4]

4ـ هذه الجبهات كانت دليلاً على ضعف الاحزاب الشيوعية في تلك البلاد، وعجزها عن الاستيلاء على السلطة بطرق ديمقراطيّة. وبدت وسيلتها الوحيدة ـ وبوجود الجيش الأحمر في تلك البلاد. ان يتّم الحزب الشيوعي تأليف جبهةٍ مع الاحزاب الديمقراطية القائمة الأخرى ليسهل عليه استخدامها سلّماً للوصول الى الحكم. وقد ظهر هزال هذه الجبهات عندما تحطمت وتمّ القضاء على المشاركين فيها بعد تحقيق الغاية منها. وتجلّى الرفض الجماهيري لسيادة الحزب الشيوعي في تلك البلاد بقيام ثورات شعبية دموية تلقائية في كل من تلك الدول التي قامت تلك الجبهات فيها. وهي المانيا الشرقية، وجيكوسلوفاكيا وبولندا وهنغاريا.

لم يكن هذا التاكتيك مجدياً ولا صحيحاً في كردستان العراقية. وبان هذا واضحاً عندما تفكك حزب (رزكاري) قبل ان يضطلع بعمل جدي. وانطلق بعض اعضائه بأسمه يدعم النضال المسلح الذي قاده ملاّ مصطفى البارزاني في 1944 ـ 1945. وترك بعضه العمل السياسي وانضم فريق ثالث الى الحزب الشيوعي العراقي (فرع كردستان) والقت البقية الباقية منه نفسها في احضان حزب او جماعة "آزادي".

كانت جماعة (آزادي) هذه على خلاف شديد مع جميع العناصر والاحزاب السياسية الكردية القائمة لانها اعلنت عدم تأييدها للنضال المسلح الشامل في العام 1945. لكن لم يكن لمعاداة هذه الجماعة للانتفاضة المسلحة المذكورة تاثير يذكر.

ان التكتل الكردي الثاني الذي أيد ذلك النضال وكان لتأييده أهمية هو بقايا حزب (هيوا) الذي كان المهندس (يونس عبدالقادر) آخر قائد له. وما كان التحاق الضباط الشهداء الاربعة بالانتفاضة غير وجه من اوجه ذلك التأييد.

انضمت كتلة من حزب (رزكاري) الى (الكومله ـ ژيان كرد) التي اصبحت عنواناً للنضال الكردي في سائر كردستان وكان تاسيسها في (مهاباد). اذ مالبث ان انبثق لها فرع في كردستان العراقية (بالسليمانيه). هذا الفرع غير عنوانه عند تغيير عنوان الحزب الاصيل فاصبح يعرف بأسم (پارتي ديموكراتي كورد عيراق). ان هذا الفرع مع بقايا الاحزاب والكتل السياسية الاخرى قام بتأسيس الحزب الديمقراطي الكردستاني العراقي في اوائل حزيران 1947 وعرف رسمياً بأسم پارتي ديموكراتي كورد، وعدل بعدئذ الى (پارتي ديموكراتي كورد) ثم الى (الحزب الديموقراطي الكردستاني) عندما اجيز رسمياً في كانون الثاني 1961 أيام حكم اللواء عبدالكريم قاسم.

*** *** ***

هناك ضرورة لاعادة القول باننا ننوي ان نضع الحقائق بالشكل الذي يمكننا مهما اختلفت وجهات النظر ـ استخلاص النتائج بشكل منطقي انجازاً للفكرة التي دفعتنا الى اصدار هذه الرسالة. فكرة محاولة الكشف عن الاسباب الحقيقية التي ادي الى فشل ثورة لانظير لها في تاريخ الشعب الكردي ببيان الاخطاء والعثرات دون اللجوء الى العموميات والمطلقات والغموض ونثر الاتهامات بشكل اعتباطي. اننا لانريد قط ان نتخذ من جماعة معينة او افراد بالذات كباش فداء كما يحاول بعضهم ان يفعل الآن لاجل انتشال سمعاتهم من عار الاخطاء الخطيرة

التي أدت بنا الى الكارثة.

اننا وقبل كل شيء نؤكد احترامنا وفرط اهتمامنا بكل الفئات الكردية التي تحاول الآن شق طريق لها في حقل العمل الوطني بالاخلاص والتجرد المنشودين منها وان اختلفت السبل وتباعدت وجهات النظر والمباديء لاننا نومن بأن هذه السبل ستتطهر من الشوائب لتلتقي عند وحدة الهدف يوماً ما ومن لم يرد منها هذا اللقاء فالخروج من المرسح اولى ...ومثلما التقت الكتل الوطنية الكردية في مرحلة قيام البارتي العناصر الواعية. انها تلك الواقعية والحتمية التي قضت بايجاد نوع من الائتلاف او الاتحاد الوطني لجميع العناصر الوطنية الناشطة يحتضن سائر طبقات الشعب الكردي المؤمنة بالتحرير تحت شعار موحد على اسس ديمقراطية سليمة نقول على أسس ديمقراطية ونشدد في هذا القول لاننا لانعتقد ان في مقدور حزب ما ذي قيادة فوقية بحتة ان ينجح في شق طريقه الى قلوب ابناء الشعب الكردي وادارة دفة كفاحه السياسي مثلما لايكون في مقدور اية قيادة قائمة على نظرية طبقية ان تفلح في تعبئة جماهير الشعب الكردي تعبئة عسكرية شاملة فضلاً عن التعبئة الفكرية بسبب الوضع الاجتماعي والسياسي الذي يعانيه الشعب الكردي حالياً. ان هذا الواقع في رأينا قائم حتى الآن ولم تتغير تلكم الظروف التي وضعت قيادة هذا الكفاح في يد الحزب الديمقراطي الكردستاني.

كان معظم جماهير الشعب الكردي في العراق عدا المدن يعيش تقريباً بمعزل عن حياة العصر. مجتمعاته البدائية تختفي وراء سبع سلاسل جبلية عسيرة المرتقى مهملة من قبل الحكومات العراقية المتعاقبة الا بقدر ماكانت تستخدمه هذه من وسائل القمع العنيفة لجباية الضرائب وسوق المجندين للخدمة العسكرية. الاغلبية الساحقة هي طبقة الفلاحين والطبقة العاملة لاأثر لها. اعني ان التكوين الطبقي للشعب الكردي لايتفق مطلقاً مع التكوين الذي تشترطه المادية الديالكتية وتحتم توفره أساساً لقيام الثورة الاشتراكية فالعمود الفقري للثورة الحديثة بمفهوم هذه النظرية هو (الطبقة العاملة) وفي كردستان العراقية طبقتان ليس الاّ : طبقة الفلاحين التي كانت تحكمها طبقة الاقطاعيين وملاكي الارض وفق تقاليد وقواعد متوارثة صارمة تشجعها وتدعمها السلطة. وبين هاتين الطبقتين وعلى هامشهما راحت تتكون طبقة كاسبة محدودة الافق تعيش في القصبات والمدن تعمل بصورة رئيسة كوسيط اقتصادي بين مجاهل كردستان والعالم الخارجي وترسل ابناءها الى المدارس ثم الى الكليات بفضل صلاتها

الاجتماعية ومكنتها المالية. وعلى عاتق هذه الفئة وبعض الفئات الاقطاعية المشيخية الوطنية وابنائهما الذين أصابوا حظاً من العلم والثقافة وتشربوا الافكار التحررية الوطنية، وقع عبء قيادة الشعب الكردي فكرياً واعداده للنضال. وكل هذا الواقع يتنافى مع الصيغ الاشتراكية.

لقد ادركت القيادات المختلفة للحركة الكردية الوطنية في العراق بعد الحرب الاخيرة وظهور اليسار بشقيه المعتدل والمتطرف على مرسح السياسة العالمية، ادركت وبعد التجارب العديدة المستوحى اغلبها من واقع سياسة الحكومات العراقية المتعاقبة الداخلية فضلاً عن السياسة العالمية ـ ان لا امل لها في النهوض باعباء اي كفاح سياسي وقيادته على أسس المادية الديالكتية الصرفة ولذلك تسلم قيادة هذا الكفاح الحزب الديمقراطي الكردستاني بمنهاجه المدروس.

فهذا الحزب كان واقعاً حتمياً املته الظروف السياسية والاجتماعية وشعاراته ومنهجه وطبيعة تكوينه واهدافه كانت سليمة من الوجهة السياسية والثورية. وبما ان مهمة هذا الحزب (اي الاهداف التي توخاها في كفاحه) لم تتحقق بعد وبما ان الوضع الاجتماعي للشعب الكردي مازال باقياً على حاله لم يعتره تغيير فاننا لانجد مبررا للفئات الوطنية التي انفصلت عنه او تكونت على اثر الكارثة ان تتبنى مناهج بعيدة كل البعد عن منهاجه الفكري لبقاء الظروف الموضوعية كما هي. وما حصل من الكوارث لايمكن ان يعزى الى عيب في اهدافه او شعاراته وانما يجب ان يعزى الى اسباب اخرى منها قصور قيادته وضعفها اللذان سببا عبثاً بتلك الاهداف كما سنحاول ايضاحه بعد قليل.

في اول مؤتمر للحزب (16 آب 1946) انتخب (ملامصطفى البارزاني) رئيساً وهو بعيد عن الوطن،[5] وحاول الحزب الشيوعي الذي اعاد تنظيم نفسه ـ منذ البداية ـ استغلال تفوقه النظري في بؤس كردستان ووضعها المتردي للتغلغل في جسم الحزب الديمقراطي الكردستاني تمهيداً لازدراده. لكن الحزب كان يملك منذ تكوينه كتلته المناهضة وذراع المقاومة القوي. فتأصل في جذور الحركة الوطنية وحافظ على شخصيته المتمايزة باعضاء ومؤازرين جاؤا من اوسع رقعة للمجتمع الكردي. واحتضن وهضم الفلاح البهديناني الامي الفطري الى جانب التاجر والطبيب والمقاول والاستاذ الجامعي ولم يشك عسر هضم مطلقاً ـ لقد حقق الحزب تآلفاً

5ـ كان ذلك بمبادرة الهيئة المؤسسة. فقد بعثت بمندوبها (حمزه عبدالله) المحامي الى مهاباد لحمل ملامصطفى على القبول برئاسة الحزب.

منقطع النظير ووفق بين طموح الطبقة البورجوازية الكردية اليافعة وبين اماني الفلاح المعدم الذي يقف في آخر سلم التدرج الطبقي. فهل كان ذلك محض مصادفة أو شذوذاً على قاعدة ثابتة؟

المادية الديالكتية لاتؤمن بالصدف. وفلسفة النقائض عندها فلسفة حسابية جامدة لاتدخل في تصوراتها الاحتمالات. لقد تنبأ اعداء الشعب الكردي واصحاب النظريات السياسية هؤلاء ان مثل هذا التحالف قصير العمر وموقوت بتضارب المصالح لن يكتب له البقاء حتى في اثناء عملية انجاز التحرر الوطني (وهي مرحلة عند الاخيرين) الاّ ان واقع استمراره وتأصل جذوره والنظر اليه بوصفه الاداة المحركة للثورة الوطنية التقدمية ضد الاقطاع والاستعمار اصبح واضحاً عندما استطاع ان يخلق لنفسه خلايا ومنظمات لدى القبائل المترحلة. ففي اعمق مجاهل كردستان وشعاب جبالها كنت ترى شعاراته تتلى وتحفظ وهو مالم يستطع الحزب الشيوعي تحقيقه في اعلى مراحل نشاطه هناك وعندما لم يكن ثم منافس له. مع هذا وجب على الحزب ان يشق لنفسه طريقاً متعبة خلال الحركة الوطنية العراقية لاثبات وجوده كقوة سياسية داخلية يعتد بها. كان الحزب الشيوعي العراقي السري الذي يتعرض لاشد انواع الملاحقة والتنكيل يتردد في منح الشرعية له. فهذا الحزب الاممي الذي لا يقر بالتعصب القومي ظل متذبذباً في الاعتراف بحق الشعب الكردي في تقرير مصيره وتأسيس الدولة الخاصة به وكان يروغ عن الجواب الصريح ويلف ويداور حتى العام (1952) عندما كان (باسم) سكرتيره العام وهو كردي.[6] وقد تراجع عن الاعتراف بعد ذلك مترددا بين التصريح بهذا المبدء المقرر (ماركسياً) لكل الشعوب وبين التريث والاهمال والانكار رضوخاً او تجاوباً مع رأى البورجوازية العربية وخوفاً منها.

في عين الوقت بقي يهاجم الحزب الديمقراطي الكردستاني زاعماً انه اذا كان الحزب ثورياً وتقدمياً (يؤمن بالماركسية اللينينية) فعليه ان يندمج بالحزب الشيوعي العراقي. وان لم يكن كذلك فعليه ان يترك شعاراته الاشتراكية ويعمل كحزب اشتراكي وطني. وبغير ذلك ينظر اليه الحزب الشيوعي نظرته الى حزب مخرب يعمل على شق صفوف الطبقة العاملة والفلاحية ويضر بالحركة الوطنية العراقية.ثم يعود الحزب الشيوعي بعدها لينكر على الكرد حقهم في

6- وهو الأسم المستعار لـ (بهاالدين نوري). وهو مازال في قيد الحياة يعيش حالياً في مدينة السليمانية. وقد اتى الى شرح موقفه من هذا الظرف في مذكراته التي طبعها بنسخ محدودة في العام 1994.

تأسيس حزب (ماركسي) خاص بهم في العراق مادام فيه حزب ماركسي هو الحزب الشيوعي العراقي. واقام شيوعيو العراق الدنيا واقعدوها على (پ. د. ك) لانه يصر على اعتبار الشعب الكردي امة Nation. في حين لاتنطبق عليه الشروط الواردة بكتاب (ستالين) في تعريف الأمة.(7)

اما بالنسبة الى الاحزاب الديمقراطية العراقية وفي مقدمتها الحزب الوطني الديمقراطي فقد كان موقفها من (پ. د. ك) موقفاً غامضاً حافلاً بالشك في نواياه. وجميع الاحزاب

7ـ عن كتابه في "القومية". ولتاليفه هذا الكتاب قصةٌ: كان ذلك في العام 1912 اثناء وجود ستالين في كراكوف (مدينة تقع جنوب پولندا في الجزء الذي تسيطر عليه النمسا). تذكر (كرويسكايا) زوج لينين في مذكراتها أن زوجها اراد أن يُشغل ستالين بعملٍ وقد كره ان يراه عاطلاً. فاخترع له عدة مهام، منها ان يكتب بوصفه جورجيا - ومن اقلية عنصرية في امبراطورية روسيا القيصرية - رسالةً يطرح فيها معضلة القوميات. وهي المسالة التي كان لينين قد بحثها بتفصيل مع زملائه اعضاء اللجنة المركزية للحزب البولشيفيكي. واراده ان يذهب الى ڤيينا حيث تتيسر مراجع البحث في مكتباتها.

كان (لينين) يدعو الى مبدأ حق تقرير المصير الى حدّ الاستقلال التام، وبضمنه الإنفصال. لكنه كان يؤكد في عين الوقت، ويفرض على العمّال واجب التنظيم النقابيّ في كلّ مكان ولغايات سياسيةٍ لكل مجموعة عمالية في اية دولةٍ بصرف النظر عن الانتماء القوميّ. وهي الفكرة التي اوحاها لينين لتلميذه ستالين وشدّد عليه بلزوم البحث في إطارها مبيّناً له ان انسب مكانة للمدارسة والملاحظة هي عاصمة امبراطورية آل هابسبرغ التي شبهها بالقدر الكبير الذي تنصّب فيه قوميات مختلفة: نمساويون، مجريون، طليان، پولنديون، صرب، كروات، سلوفنيون، چيك، مونتنگريون، بوسنيون، البان ...الخ. فهي والحالة هذه افضل مكان لمشروع بحثٍ كهذا. فرحل ستالين وباشر عمله الفكريّ. وقد وجدناه خلال ذلك يكتب رسالة الى نائب شيوعي في مجلس الدوما اسمه رامون مالينوفسكي (اتضح فيما بعد انه كان عميلاً لشرطة الاوخرانا السرية القيصرية) مؤرخة في 20 من ايار 1913 واصفاً بحثه هذا في القومية بهذه العبارة: "اني قاعدٌ هنا في ڤيينا اكتب كلّ انواع التفاهات والسخافات".

وما كتب ستالين من "سخافات" راجعه لينين واجرى قلمه فيه ليظهر مسلسلاً في ثلاثة اعداد من جريدة الحزب (پروسڤجينيي) بتوقيع (ك. ستالين). بقي هذا البحث مهملاً لامكان له في ادبيات الاحزاب الشيوعية حتى نهاية الحرب العظمى الثانية عندما برزت القضية القومية واسترعت الانتباه الدولي، فنفض الغبار عن اطروحة ستالين. وصدرت بكتابٍ بيع منه في الاتحاد السوفييتي ملايين النسخ وترجمته الاحزاب الشيوعية في شتّى اقطار العالم وصار دستوراً لها تفسّر على ضوئه الدعاوى القوميّة، وتخلص بطبيعة الحال الى النتيجة التي رسمها لينين لتلميذه. وهي أن المصير العمّالي الواحد هو اعلى واثمن من الانتماء المصيري القومي. وعند تعارض الهدفين، لامجال لا للتضحية بالآخير منهما.

في اثناء الاحتلال السوفييتي لمدينة ڤيينا. ثُبتتْ لوحةٌ مرمرية تذكارية نقش فيها صورة برونزية جانبية لوجه ستالين

العراقية التي أجيزت في العام 1946 كانت تنظر نظرة تطير من اي حزب او كتلة سياسية تحمل اسم القومية الكردية. وتبعاً لذلك فانها ماكانت تسلم بحق الشعب الكردي في العراق بتكوين حزب ذي اهداف قومية وتُبرّر ذلك بقولها ان هذا يعتبر انعزالاً عن الحركة الوطنية وربما كان هدف هذا الحزب النهائي تمزيق الكيان العراقي سياسياً وجغرافياً. اما الاحزاب والفئات القومية العربية الباقية فقد كانت من حيث المبدء شاكة ومشككة في الغايات التي يعمل لها اي تكتل كردي سياسي بل وتنكر عليه اهدافه القومية. بل كانت ترى مجرد العنوان الذي يتسمى به الحزب استفزازاً خيانياً بحق الشعب العربي في العراق. لقد بلغ التعصب القومي حداً ببعضها انها انكرت بالاصل وجود قومية كردية أصيلة ومتمايزة وذهبت الى ان الامة الكردية هي عربية الاصول. ولذلك لم تكن مستعدة قط لسماع عبارة (حقوق الشعب الكردي) فكيف بشعار (نضاله المشروع في سبيل حقوقه السياسية)؟[8]

مع هذا كله كانت قيادة الحزب واعضاؤه يتعرضون بصورة خاصة الى ملاحقة السلطة. هذه السلطة اعتبرت البارتي بتعمد (هي تعرف الحقيقة) ليس فحسب جزءً من الحركة

= على الجدار الخارجي لمنزل (تروبانسكي) في شارع (شونبُروني) وبها هذه العبارة: "سكن هذا المنزل ج. ف ستالين طوال كانون الثاني 1913 وكتب مؤلفه القيّم (الماركسية والمسالة القومية) فيه". وفي اثناء ثورة المجر الديمقراطية في العام 1956 . احدث الناقمون تشويها عظيماً في هذه اللوحة. ولاندري اهي باقية الى يومنا هذا في كتابه الذي صدر مترجماً بالاصل بالالمانية وبعنوان Der Marxism und die national Fraqia الحلّ الذي اهتدى اليه ستالين لمشكلة القوميات في الاتحاد السوفيتي يقوم على تطبيق المبدء الغامض "الاتحاد العالمي للطبقة العاملة والمهم عندنا تعريفه للقومية وهو موضع الجدال فقد فرق بين ماندعوه أمّة (ناتسيون) و (نارود) والامّة في عُرفه هي "رابطة مستقلّة متطورة تاريخياً في اللغة والارض والحياة الاقتصادية والتركيب النفسي وكل هذا يتمثل في ثقافة واحدة". ويرى من الضروري جداً التقيد بان أيّ صفة من هذه الصفات التي عددها لايكفي وحده لتحديد الأمة. وان غياب اية صفة او عنصر يلغي وجود الأمة وينزلها الى منزلة مايطلق عليه تعبيراً يقابل مصطلح "الشعب". فاذا كان للأمة أن تدعي بحق تقرير المصير، فان الشعب لايمكن ان يدعي به. وفي نظر الحزب الشيوعي بما ان الكرد بحالتهم هذه لايمكن ان يُطلق عليهم وصف الأمة نظراً للتعريف الستاليني فليس من حقّهم المطالبة بحق تقرير المصير وبقي الحزب الشيوعي العراقي يعتنق هذه الفكرة حتى بعد القضاء على اسطورة المؤلف في مؤتمر الحزب الشيوعي السوفيتي الحادي والعشرين للعام 1956.

8ـ في العام 1957 تمّ في بغداد تاليف ماسميّ بجبهة الاتحاد الوطني من فلول الاحزاب التي كانت مجازة او نشطة سرياً. وهي الحزب الوطني الديمقراطي وحزب البعث العربي الاشتراكي والحزب الشيوعي العراقي، وحزب

الشيوعية في العراق وانما حزباً تآمرياً وجد لهدم كيان الدولة العراقية. لذاك فأن التهم التي كانت تلصق بالاعضاء المقبوض عليهم والمواد العقابية التي تطبق بحقهم في المحاكم والمجالس العرفية هي عين التهم التي كانت تسند للشيوعيين.(9)

= الاستقلال. مع عناصر وتنظيمات أخرى معارضة مستقلة. وظلّت الجبهة تعمل وتجتمع في الخفاء تديرها لجنة قيادية ادارية عليا تتمثل فيها هذه الهيئات بمندوبين. وفور تشكيلها قدم الحزب الديمقراطي الكردستاني طلب الانضمام اليها فرفض طلبه. لكنْ وللخروج من الإحراج ضُم تمثيله الى الحزب الشيوعي، لينسق نشاطه مع الجبهة من خلاله. وهو اقتراح قبلته قيادة الحزب مع مافيه من اذلال وتحقير واعتراف لااساس له بالتبعيّة ولاعجب فقد كان معظم المكتب السياسي ماركسياً. ان الدواعي والأسباب رغم هذا كانت قائمة أيضاً في اوائل تشرين الثاني من العام 1958 عندما قبلت الجبهة إنضمام البارتي اليها عضواً كاملاً. وكان ذلك قبل ان تلفظ آخر انفاسها على اثر بيان رجدنا فيه توقيع ممثل البارتي. وهو ماسمي بميثاق العمل المشترك ويتألف من اربع نقاط هي:

• العراق جزء من الأمة العربيّة. يسعى لبلوغ افضل الروابط واشدّها متانة مع الجمهورية العربيّة المتحدة في المستقبل لتحقيق الوحدة العربيّة الشاملة.

• الجبهة تسعى لتطبيق ماجاء في الدستور المؤقت المؤرخ في ٢٧ من تموز ١٩٥٨؛ في الجزء الخاص بالحقوق القومية للشعب الكردي.

• الحثّ على اتباع الحكومة سياسة وطنية، وتحقيق مطالب الشعب في الحرية السياسية والتحرر الاقتصادي من الاستعمار.

• دعم الجبهة للثورة والجمهوريّة، والتشديد على ضرورة قيام حركة ديمقراطية سليمة في العراق تتيح للاحزاب السياسية حرية النشاط العلني.

كان الغرض الأساسي من هذا الميثاق اشعار السلطة الجديدة باهمية الجبهة ودوافع تمتعها بالثقة الشعبية وانها ليست احتكاراً للنظام الجمهوري القائم.

ويظهر أن البارتي والحزب الشيوعي لم يوقعا على الميثاق مع القوى الأخرى إلاّ على سبيل المجاملة والتضامن فما في فقرته الأولى لايستقيم مع الاتجاه السياسي للبارتي. ولذلك بادرت قيادته وبعد عشرة ايام فقط الى التوقيع على ميثاق ثنائي مع الحزب الشيوعي العراقي تضمّن النقاط التالية (مختصراً):

1) صيانة الجمهورية العراقية وتعزيز اتجاهها الوطني والديمقراطي بكل الوسائل.

2) مواصلة النهج الوطني في السياسة الخارجيّة على اساس التعايش السلمي وتعزيز استقلال العراق.

3) اطلاق الحريات الديمقراطية بما في ذلك حرية التنظيم الحزبي والنقابي والاجتماعي.

4) حرية النشر والصحافة للقوى الوطنيّة.

5) حماية الاقتصاد الوطني. وحل مشاكل الجماهير المعاشية عن طريق الخروج من الكتلة الستراينية وتحرير =

في هذه الظروف الصعبة عمل الحزب ونشط أميناً على مبادئه باثاً شعاراته بين الجماهير بصبر واحتمال ولم يرضخ للعزلة التي فرضتها عليه اطراف الحركة الوطنية العراقية فكان يواصل الحوار والمناقشة معها ويشارك عملياً في التظاهرات والانتفاضات والاجتماعات الجماهيرية ويقدم الضحايا اثباتاً لكونه جزء لايتجزء من الحركة الوطنية الديمقراطية في العراق وتأكيداً لاهدافه التي لاتتضمن نوايا انفصالية. مع هذا ظلت الحساسية من البارتي لدى اطراف الحركة الوطنية حتى اثناء التهيوء لثورة 14 تموز. الا ان البارتي حيّا الثورة وبادر الى وضع امكاناته تحت تصرفها حال اعلانها. وفي الواقع ان ثورة 14 تموز كسرت الطوق المضروب على الكفاح الكردي بتحطيمها الحلف الدولي ضد الشعب الكردي الذي كان يمثله (حلف بغداد) وحققت مطالب الحزب الآنية مقابل دعمه اللواء عبدالكريم قاسم الذي اخلى سبيل اعضائه المسجونين واوقف ملاحقتهم وسمح لجريدة الحزب بالصدور مع جرائد أخرى كردية وامر بعودة رئيس الحزب من المنفى مع رفاقه. واهم من كل ذلك انه وافق على ان يتضمن الدستور الموقت مادة تقر مساواة الشعبين العربي والكردي في الحقوق ضمن الوطن الواحد فكان هذا الاعتراف (القولي) بحد ذاته نصراً معنوياً عظيماً توج نضال الحزب الاّ ان الانعطاف بين (الرجل القوي) وبين الحزب كان قصير الامد فاعترافه بحقوق الشعب الكردي = تجارة العراق الخارجية.

6) تعبئة الجماهير بالتعاون مع الحكومة وعبر مساندتها، من اجل تنفيذ قانون الاصلاح الزراعي ومن اجل تصفية النظام شبه الاقطاعي.

7) الاعتراف المبدئي بحقوق الشعب الكردي. بما في ذلك حق تقرير مصيره بنفسه.

كان ذلك كما يبدو رداً على قيام مادعي (بالاتحاد القومي) الذي ضمّ الاحزاب والتكتلات القومية العروبية. وعندما راح كلّ حزب في الجبهة يعمل منفرداً رغم وجود الميثاق.

وجرت محاولة أخيرة لانقاذ الجبهة عن طريق اجتماع جماهيري في 27 كانون الثاني 1959 في ساحة الكشافة ببغداد. القى فيه ممثلو الاحزاب الاربعة: الشيوعي والاستقلال والبعث والوطني الديمقراطي كلمة. كما القى ممثل البارتي ابراهيم احمد كلمة حزبه وشارك الشاعر محمد مهدي الجواهري.

كان هذا الاجتماع بمثابة تشييع جنازة الجبهة. اذ غدت بعده أثراً من آثار الماضي.

9ـ في العام 1951 ادين ابراهيم احمد المحامي بتهمة النشاط الهدّام. وفق قانون ذيل قانون العقوبات رقم 54 لسنة 1938 . المعروف بقانون مكافحة الشيوعية وحكم عليه بالحبس الشديد لمدة ثلاث سنين كما ادين غيره من اعضاء الحزب بعين التهمة.

كان اعترافاً اسمياً فحسب ولم تعقبه خطوات سياسية عملية. وفي نوبة خوف اعترته على سلطته ونظامه وحرصه على حكمه وحيرته بين نصيره الاكبر المتعاظم القوة (الحزب الشيوعي العراقي) وخصومه سائر القوميين، بدء يكيل ضربات متلاحقة للطرفين ولجميع الاحزاب التي اجازها هو نفسه. وفي هذه الفترة بالذات وفي اثناء التعبئة الجماهيرية التي مارسها الحزب الشيوعي العراقي لاجل السيطرة على الشارع والمشاركة الفعلية في حكم البلاد كجزء من هذه الخطة وجّه جانباً من جهوده للسيطرة على (البارتي) وقام فعلاً بمحاولته المعروفة عن طريق اعضاء له مدسوسين في قيادة الحزب الاّ ان المبادرة الشخصية التي تولاها رئيس الحزب في العام 1959[10] اسفرت عن تطهير الحزب وانقاذه من الوقوع في قبضة الحزب الشيوعي فقد بادر ملامصطفى الى وضع مقدراته بيد لجنة حزبية قامت بتهيئة وعقد مؤتمر وطني (وهو الرابع) وفيه تّم فيه طرد المسؤولين عن الحركة الاستسلامية.

وامام اصرار زعامة الحزب الوطني الديمقراطي على وجوب بدء الحياة الديمقراطية وانهاء فترة الانتقال الدكتاتورية الصبغة، الى جانب الضغط الشديد لانجاز الوحدة العربية مع مصر الذي كانت تمارسه الاحزاب القومية كحزب الاستقلال وحزب البعث العربي الاشتراكي والناصريين عامة ويدفع وتعاون مع الناقمين ذلك الضغط الذي انفجر بمحاولة العقيد الشواف للاستيلاء على الحكم. وبمشروع اغتيال اللواء قاسم واصرار (البارتي) على وضع مادة

10ـ فيه تمّ طرد كلّ من حمزة عبدالله المحامي عضو المكتب السياسي. وصالح الحيدري ونجاة احمد عزيز عضوي المكتب السياسي. وكل من حميد عثمان وخسرو ترفيق عضوي اللجنة المركزية الى جانب بعض الكوادر المتقدمة فيه من امثال الدكتور محمود عثمان الذي كان رئيساً لاتحاد طلبة كردستان.

ولنذكر ان المؤتمر الرابع الذي تقررّ فيه طرد هؤلاء، اتمّ انتخاب اللجنة المركزية الجديدة في عين اليوم الذي تعرض فيه عبدالكريم قاسم الى محاولة الاغتيال.

الخلاف في داخل الحزب نشأ عن البحث ثم والاستقرار على الصفة التي يتصف بها الحزب الديمقراطي الكردستاني وحول دوره السياسي. أهو حزب ديمقراطي يساري النزعة والاتجاه، ام هو حزب قوميّ برجوازي؟ وقد اجج الحزب الشيوعي هذا الخلاف بدفع حمزه عبدالله ومشايعيه الى صبّ الزيت تحت القدر وتاريث النار. كان ملامصطفى في البداية يميل الى تيّار (حمزه). لكن ما ان اكتشف رابطة الآخرين بالحزب الشيوعي حتى تحول عنهم. ومما يذكر هنا أن (جلال الطالباني) وهو من الكوادر المتقدمة في الحزب، كان قد جُنّد بمبادرة حمزه عبدالله ورهطه لأنه من الكوادر التي كانت تغلّب قوميّة الحزب على يساريته. وجاء في قرار الطرد أن المطرودين حاولوا جرّ الحزب الى المعسكر الشيوعي.

الدستور المعترفة بحق الشعب الكردي موضع التطبيق وزحف الحزب الشيوعي فعلاً بوساطة لجانه ومنظماته على جهاز الدولة وتغلغله فيها، كل هذا افقد الدكتاتور بقية من اتزان وصبر فيه فقرر القضاء على كل زعامة سياسية قد تنافسه او يخشى منافستها لزعامته في المستقبل. فعمد الى اطفاء نشاط الاحزاب السياسية تدريجاً بسلسلة من الاجراءات الصارمة وساق القوميين العرب الى محاكمات سريعة واعدم طائفة من زعمائهم واودع الافاً من اعضاء الحزب الشيوعي السجون ونظف الشارع منهم واضطرهم الى معاودة النشاط السري ثم شق الحزب الوطني الديمقراطي نصفين واجبر زعيمه على تجميد نشاط الحزب. وكان (البارتي) في اخر قائمته. عمد اولاً الى احياء الثارات العشائرية في كردستان واحتضان شيوخ الاقطاع وتزويدهم بالمال والسلاح[11] ودفع بهم الى تحرشات مسلحة ضد قواعد الحزب وضد منطقة بارزان وهي مسقط رأس رئيس الحزب. فوقع عدد من القتلى في الاشتباكات حين كانت قوات الامن الحكومية تقف منها موقف المتفرج واحياناً موقف المشجع للطرف الجاني بايعاز مباشر من الدكتاتور. وطورد اعضاء الحزب اودعوا السجون بتهم لاتقل عن السرقة والقتل والهجوم المسلح. وصدر أمر القبض على سكرتيره العام بتهمة تحريضه جماعة على ارتكاب جريمة الترصد والقتل [12]. واضطر رئيسه الى ترك العاصمة حفظاً لحياته من الاغتيال او الاحتفاظ

11ـ مما انكره في هذا الصدد ان صحف بغداد نشرت في آذار 1960 نبأ قيام بعض شيوخ العشائر الكردية في بابينان بزيارة لعبدالكريم قاسم ليعلنوا ولاءهم له وللجمهورية ووقوفهم الى جانبها ضدّ ايّ اعتداء من الداخل او الخارج. وانّ عبدالكريم قاسم قدّم لكل منهم 95 بندقية على سبيل الهدية. وتشاء الصدف بعدها بيوم او اثنين ان التقي بواحدٍ من هؤلاء تربطني به علاقة ولي عليه دالة ـ في مكتب موظف كردي كبير كنت ازوره. فرحت ألومه بمساندة الموظف ـ واسمعه قارص الكلام، مشيراً الى ان هذه البادرة تزيد في حدة الصراع، وتعمل على شق الصف الكردي، وهي السياسة التي يتبعها عبدالكريم قاسم لاضعاف الحزب وعزل رئيسه لاسيما بعد ان بلغت الازمة حداً خطيراً. فقاطعني الشيخ الكردي بحدّة مقسماً بالله وبالقرآن بأنه ورفاقه لم يطلبوا هذه المقابلة ولم يأتوا بغداد بحرية اختيار. وذكر انه كغيره تلقى دعوة من القائمقام في منطقته وأمره بالشخوص الى بغداد على نفقة الحكومة لمواجهة الزعيم. واضاف يقول [اني فوجئت بوجود الآخرين في الفندق معي، وقد اخذونا بسيارات الى وزارة الدفاع. وبعد الزيارة خرجنا بصحبة ضابط قال لنا ان الزعيم أمر لكلّ واحدٍ منّا بعدد من البندقيات والاعتدة على سبيل الهدية.]

12ـ يذكّرني الاستاذ ابراهيم احمد بحادثة لم يكن لديّ اي فكرة عنها قبل سماعها منه. ويلذ له ان يقصها بمحضر مني على الحاضرين، كيف كنتُ عاملاً على انقاذه من الاعتقال بموجب امر القبض الذي اصدره =

به رهينة. لقد وضع حكم اللواء قاسم البارتي في طريق اللاعودة حين اوعز الى قطعات من الجيش العراقي والشرطة بتحكيم مواقعها في كردستان وزاد من تسليح الرؤوساء والشيوخ والاعداء التقليديين للعشائر البارزانية مع حلفائها بشكل جعل المواجهة المسلحة امراً لامناص منه. كانت المسألة بالنسبة الى الحزب هي هذه ـ هل يحاول تسلم المبادأة ويوجه السخط والغليان القومي توجيها سياسيا ثوريا ام ينتظر (قاسم) ليشن حملة تأديب عسكرية يقضي بها على مكانة (البارتي) في كردستان وتكون بها نهايته؟

رفض الحزب الشيوعي العراقي فكرة الدفاع المسلح عن الحقوق جملة وتفصيلاً قائلاً "أن الحكم الحالي ديمقراطي" ولان قناعة الاتحاد السوفيتي بحكم (اللواء قاسم) وعلاقته به الحميمة لم يعترهما تغيير رغم الحملة الضارية المستمرة ضد الحزب الشيوعي العراقي. واقترح بدل المقاومة المسلحة حلاً موداه "القيام بحملة سلمية مشتركة واسعة النطاق تبنى على اسس الكفاح المشترك للعرب والكرد" وشرع اعضاؤه بهذه الحملة عن طريق جمع التوقيعات على العرائض ومقابلة المسؤولين والبارزين واخذ تصريحات منهم. فطورد العاملون ولوحق الموقعون وزج كثير منهم في السجون وباءت تلك (الحملة السلمية) بالفشل وساء الوضع بشكل خطير.(13)

الحاكم العسكري العام بتهمة تحريضه على مقتل (محمد صديق ميران) رئيس الخوشناو بكمين نصبه له محمود كاواني على طريق شقلاوة ـ صلاح الدين. وهذه هي

كنتُ يومها اهمُ بولوج باب مقرّ الحزب في حيّ البتّاوين فاعترض سبيلي صبيٌ من اولاد الحيّ ليقول لي: يا عمّ انتبه. هناك شرطة سريّة يسدون نهايتي الزقاق. في وقتها لم اكن ارى في الحشد الأمني غير ظاهرة ترهيب للبارتي. ولم اكن ادري ان ابراهيم أحمد قد علم مسبقاً بان أمراً بالاعتقال قد صدر بحقه. وبطريق الصدفة، وبحسب قوله، اني قصدتُه من دون ان يدور بخلدي أمرٌ معين فابلغته بما ابلغني الصبي وخاطبته وخاطبت الحاضرين بهذه الجملة "ياجماعة ارى ان حكم قاسم في طريقه الى الزوال، فهذا صبي في العاشرة من عمره يتطوع لينبه إلى ماتبيته الحكومة لنا". وما حصل بعدها ان (ابراهيم) تاكد من النبأ الذي سمعه عرضاً من زميل له وهو في طريقه الى المقر فأسرع يتسلل من الباب الخلفي المفضي الى زقاق أخر ونجا من الاعتقال. كان رجال الأمن ينتظرون ورود أمر الاعتقال عندما جئت وقد سدوا منفذي الزقاق وكانت المسألة لاتتعدى بضع دقائق.

13ـ من بين عشرات الألوف من التواقيع التي جمعها الحزب الشيوعي في حملة السلام انتقى قاسم عدداً من اعضائه البارزين الموقعين واحالهم الى المجالس العرفية واثقلهم باحكام قاسية سريعة، وقد القيت في سجن =

= الحلّة العام 1967 الاستاذ الباحث (نعيم بدوي) الذي نال عشر سنوات اشغالاً شاقة بسبب توقيعه وقد عرفته منذ 1938 مساهماً في تحرير مجلة "المجلة" التي كان يصدرها الاديب والشاعر الكبير "عبدالحق فاضل" المحامي وهو وقتذاك استاذ في دار المعلمين العالية.

ان لموقف الحزب الشيوعي العراقي من الحركة الوطنية المسلحة الكردية جانبه الفكه الظريف سجنه فضلاً عن جانبه الاليم المأساوي، وقد امتاز بسرعة تعاقب مشاهده الروائية المتناقضة، مما اثر كثيراً على مكانة الشيوعيين المحليين فضلاً عمن هم في الخارج، قدر ما اعطى اعداء الثورة الكردية فرصاً للنيل منها وانتقاصها في الوقت الذي كانت بحاجة الى دعم معنوي. بدأ الحزب الشيوعي بالتشكيك بالثورة واهدافها والقى الشبهات على اتجاهها نحو الغرب وصلتها بالامبريالية وولد هذا التشكيك عقدة عند بعض رجال السلطة وحيرة يكشف عنها الحادث التالي:

نشر فرع الحزب الشيوعي لكردستان في مدينة السليمانية في تشرين الثاني 1961 بياناً هاجم فيه الحركة المسلّحة التي قادها البارتي والقى ظلالاً قاتمة على اتجاهاتها واهدافها وزعمائها، ونعتها بثورة البرجوازيين والعشائريين الناقمين بسبب تطبيق قانون الاصلاح الزراعي داعياً الى الحذر من اهدافها التي ترمي بالدرجة الاولى الى زعزعة الحكم الوطني، وقام الفرع بارسال رزمة من هذا البيان الى بغداد لتوزيعها، فقبض على حاملها اثناء تفتيشه في احدى نقاط التفتيش وارسل مخفوراً الى مديرية الأمن العامة في بغداد، واسرع العقيد عبدالمجيد جليل مديرها العام الى عبدالكريم قاسم بنسخة من البيان ظافراً متوقعاً الثناء، في حين كان المقبوض عليه يتعرض للتعذيب والضرب المبرح لارغامه على الاعتراف بمصدر البيان وبالمرسل اليهم، القى (قاسم) نظرة فاحصة على البيان ثم سأل مدير امنه: هل قرأته فاجاب بالنفي، وخيب (قاسم) ظنّه عندما أمره بتسليم الرزمة لحاملها واطلاق سراحه ثم القيام بطبع الآف من البيان ليتولى رجال الأمن توزيعه.

في الواقع ليس من المعقول او المنطقي أن تطوّح السياسة السوفيتية بحليف قوي كعراق قاسم له مكانته الخطيرة في العالم الناطق بالعربية. من أجل مساندة حركة محلية صغيرة مجهولة المصير. وكان الحزب الشيوعي العراقي في الوقت عينه يدرك ان القوميين العروبيين في العراق بصرف النظر عن موقفهم العدائي من (قاسم) لايريدون أن يظهر عرب العراق بمظهر المغلوب على يد مجموعة سياسية غير عربيّة كالكرد، هذا من جهةٍ وكذلك فلا الاتحاد السوفيتي ولا الشيوعيون العراقيون كانوا يريدون أن يكرروا موقفهم الذي وقفوه في قضية تقسيم فلسطين العام 1948. اذ ان تحديدهم الحالي لاهميّة القومية العربيّة (الناصرية) وللدور الذي ستنهض به في الشرق الاوسط كان تقديراً يشيع فيه تفاؤل كبير بحيث لايمكن التضحية به في قضية كردية محلية ضائعة بين الجبال، مبهمة النتيجة لا حظّ لها كبير من النجاح كحظوظ ماسبقها، لكنْ، وبعد مرور سنةٍ ويضع سنة على مأساة الإنفصال في الجمهورية العربية المتحدة، طرءَ تحول طفيف للغاية، لكنه ملموس - على موقف السوفييت. جعلهم يتقدمون بسياسة منقّحة تتضمن دعماً محدوداً جداً للثورة وبالخصوص بعد سقوط حكم قاسم الذي =

.....

= كان له وقع الصاعقة عليهم للسهولة التي تمّ بها - ومن ثمّ نجاة قواعد وكوادر وقيادات هامة من الحزب الشيوعي من موت محقق بلجوئهم الى اراضي الثورة المحررة.

في شباط من العام 1962 بدأت محطة اذاعة شيوعية سريّة تذيع انباء عن الثورة الكردية معتذرةً عن تلكؤ سابق منها، بان عدم مساندة الحزب الشيوعي العراقي لها، كا متأتياً من خشيتها على سمعة ثورة 14 تموز. لكن وبعد متابعة الاساليب اللاانسانية التي يمارسها هذا الحكم بحق الكرد لم يعد للحوقف القديم مبرر.

وليلاحظ هنا ان العام 1963 شهد تصاعداً كبيراً في عمليات تنكيل (قاسم بالشيوعيين) وشروعه في مدّ جسور وعلاقات مع دول الغرب.

في أذار من السنة عينها نشرت "مجلة العالم الماركسي" اوّل رأي مطول علني عن الحركة فيه ناشد الحزب الشيوعي العراقي المواطنين، والوطنيين بصورة خاصة بان يبذلوا الجهود لحمل (قاسم) على منح الكرد حقوقهم كمواطنين اصلاء في اطار الدولة. كما ناشد الكرد في الوقت عينه بالاّ ينساقوا وراء الوعود الامبريالية واغراءاتها بخصوص "القومية" ومفاهيمها الضيقة.

ثمّ زادت ملاحقة (قاسم) للشيوعيين وملأ بهم السجون وابعد عشرات منهم عن وظائف الدولة الحساسة ومراكز الحكم. ودفع بضباطهم إلى زوايا مجردة عن سلطة في الجيش. فخرجت المجلّة عينها بمقالٍ في عددي تموز وآب، نوه فيه بشيء عن الحكم الذاتي للكرد في العراق.

على ان الخطّ الرسمي الذي رسمته الدولة السوفيتية لنفسها. والشكل الذي قوّمت به الحركة لم يعتوره تغيير وهو دعم ادعاء قاسم بأن الغرب وراءها وان المصالح النفطية اثارت العناصر الرجعيّة الكردية ودفعتها للثورة. اذ ذاك كانت اتفاقية ايلول 1962 بين العراق والاتحاد السوفيتي لانشاء منظومة صواريخ على الحدود الشرقية قد وقعت. واتخذت الخطوات الأولى لنصبها.

الاّ ان الوضع تغيّر تماماً - كما قلنا - بعد انقلاب الثامن من شباط الذي نُفذ بمساندة الغرب ومساعدته. وبعد المذابح والاعتقالات الجماعيّة التي عقبته. وعندها بدأت اذاعة (يكي ايران) تحرض الكرد على المضيّ في النضال من اجل القضاء على السلطة الجديدة. ثم دفع الاتحاد السوفييتي جمهورية منغوليا الاشتراكية الى تقديم شكوى على العراق بسبب اعتداء حكومته على حقوق الانسان الكردي في لجنة حقوق الانسان من منظمة الامم المتحدة. الاّ ان الشكوى مالبثت أن سحبت اثر انقلاب 18 تشرين الثاني 1963 ومجيء عبدالسلام عارف وبعد تدخل من عبدالناصر ووقف عمليّات الاعدام.

الباب الثاني

اندلاع الثورة ـ ملابساتها ـ دور الحزب فيها ـ انشقاق العام 1964 ـ تأثيره على مستقبل الثورة ـ وضع الحزب بعد الانشقاق ـ الممارسات الخاطئة ـ عجز القيادة الجديدة ـ وضع الجيش الثوري الكردي حتى بيان آذار 1970.

في الواقع لم يكن الحزب مستعداً لاشعال ثورة ولا ادارتها لامن الناحية المادية ولامن الناحية التعبوية وان كان قادراً على توجيهها من الناحية الفكرية والعقائدية كما اتضح. لقد فوجيء بالوضع الخطير مفاجأة تامة. كان يرقب منات من المسلحين تجوب بجماعات وعصابات ارجاء كردستان باثقالها وبينها اعضاء من الحزب ومؤازريه ـ حائرة لاتدري اين تتوجه. وشعر الحزب بأن الجماهير الكردية تنتظر منه ان يفعل شيئاً بل شعر انه سيفقد هيمنته الروحية وسلطانه الادبي الى الابد. فحاول بجملة مذكرات رفعها الى اللواء قاسم ابعاد شبح الحرب عن كردستان والتخلص من الوضع العصيب الذي وضعه فيه الدكتاتور بتصرفاته

الهوجاء حتى ان رئيس الحزب بادره وهو في بارزان بالتأكيد على اخلاصه للنظام وله وبأته لاينوي قط القيام بأي عمل مسلح. لكن (قاسماً) كان قد وضع خطته للقضاء على المقاومة الكردية المتمثلة بالپارتي وشخص رئيس الپارتي الذي اصبح يتمتع بشعبية طاغية بعد عودته من المنفى عند عرب العراق وكردهم على حد سواء ولذلك لم يعر له أذناً صاغية. وبادر بارسال قواته الى مواطن التجمعات المسلحة واطلق طائراته الحربية لتقوم بقصف عشوائي لمناطق عدة في كردستان.

تفرقت التجمعات الكردية المسلحة عند اول مواجهة لها مع الحملة العسكرية وامست فلولاً تلوذ بشعاب الجبال. كانت تجمعات عشائرية ساخطة يقودها مبدئياً زعماء رفعوا السلاح لاسباب شتى لاتمت الى اهداف قومية واضحة بصلة ـ منها الرغبة في التخلص من تبعات قانون الاصلاح الزراعي المبتور الذي كان قد وضعه قاسم قبل ذلك بأكثر من سنتين ونصف السنة. وقانون ضريبة الارض السخيف الذي وحد الشيوخ والاغوات مع الفلاحين في جبهة ضد قاسم وقد ظهرت للعيان اهداف ومرامي زعماء هذا التجمع من تفاهة وفرعية المطالب التي قدموها لممثل الحكومة المفاوض (محافظ السليمانية) هذا الذي اجتمع بهم في قلعه دزه ورانيه. وهي مطالب لم يكن يربطها بمباديء الحزب واهدافه اي رابط. حتى انّ ممثل الحزب في ذلك التجمع العشائري لم يسمح له بالحضور في تلك الاجتماعات بحجة عدم تعلق المسألة بالحزب. هذا فضلاً عن ان اعضاء الحزب داخل ذلك التجمع كانوا قليلين الى حدّ يمكن معه اهمالهم فضلاً عن كون معظمهم عزلاً لاسلاح لديهم الامر الذي حطّ من قدرهم في نظر زعماء العشائر المتغطرسين فكانوا يطلقون عليهم استهزاءً (مەتاره بەمل ـ اعني حملة الزمزميات) اذ كان هذا كل مايملكون من سلاح. فكيف استطاع الحزب السيطرة على هذه الانتفاضة العشوائية وتحويلها الى ثورة وطنية بقيادته؟

كان أمام الحزب مهمتان. اولاهما فصل الجماهير الفلاحية المسلحة عن ولائها التقليدي القبلي وثانيهما توجيه هذه القوى توجيهاً صحيحاً وفق اهدافه. لقد ساعد (قاسم) الحزب في انجاز هذين الهدفين العظيمين بهجومه المسلح الكاسح الذي شنه على التجمعات الكردية.

ليس من اغراض هذه الرسالة التطرق الى تفاصيل المراحل التي مرت بها الثورة وتقويم صفحاتها العسكرية والسياسية الاّ بالقدر الذي يكفي لاستعراض نقاط الضعف فيها المتراكمة والمتضخمة بمرور السنين على الكفاح المسلح لتؤدي بالاخير الى فشلها في تحقيق اهدافها.

يسلم اصدقاء الثورة وخصومها وبينهم المراقبون والمتتبعون ـ بحقيقة واحدة على الاقل وهي ان الحزب ومن ورائه الجماهير الكردية انما دفعا دفعاً الى الصدام المسلح مع الحكم في العراق (1961) وان قوة الدفع هذه اي مبررات استمرار القتال الذي كانت تتخلله فترات هدن واتفاقات مؤقتة ـ هذه المبررات كانت قوية بقدر ماهي كافية. ان الحزب وجماهير الشعب الكردي اضطرا الى مواجهة هجوم مسلح ولم يَختْطّاه. ذلك انهما لم يكونا مستعدّيْن لها استعداداً مادياً على الاقل. بل هناك من رأى أن الاستعداد الروحي كان ينقصهما ايضاً. وللواقع نقول ان المجهود الحربي تعرض منذ اولى دقائق المعركة الى نقد مرير ليس من جانب الجماهير الكردية نفسها بل من جانب اعضاء الحزب أيضاً. وان نحن تركنا عامل المفاجأة كعذر مقبول فقد تفرقت قوى الحزب المؤلفة من الاعضاء والمؤازرين وبعض افراد العشائر الذين حملوا السلاح بدافع غير دافع الولاء القبلي عند اول مواجهة حقيقية مع القوات النظامية الا انها لم تقهر. لكن (قاسماً) توهم بأن الانتفاضة اصبحت في خبر كان وأسرع الى اعتبار الحركات العسكرية منتهية معلنا ذلك في مؤتمره الصحفي (أواخر ايلول 1961).

كانت العشائر التي تحالفت مع قوات الحزب بقيادة البارزاني الى جانب حيازتها كميات مع السلاح والعتاد تتمتع بميزتين بارزتين ـ اولاهما معرفتها الجيدة بمنطقة الحركات العسكرية وثانيتهما ولاؤها المتوارث للشيوخ والزعماء الروحيين البارزانيين وهو ولاء نابع عن علاقة روحية ودينية صوفية نادراً مانجدها في مجتمع آخر معاصر. ان مثل هذا الولاء عند العشائر الكردية الاخرى بصورة عامة وما خلا استثناءات قليلة اخرى كان مهترئاً او لاوجود له بسبب الصراعات على النفوذ والزعامة بين رؤوساء العشيرة الواحدة ولان بعضهم كان يحارب في مناطق اخرى بعيدة عن مواطن نفوذه. وليس ادلّ على هذا الرأي من ان (عباس آغا مامند) اقوى رؤوساء العشائر في منطقة السليمانية (قبيلة آكو) لم يجد بداً من الاستنجاد بقيادة الحزب في اواخر العام 1961 طالباً عدم سحب الاعضاء الحزبيين المسلحين الذين كانوا يعملون لديه لاجل حمايته بسبب عدم اطمئنانه الى ولاء قبيلته وخاصة في حالة رفضه العفو الذي عرضه (قاسم) عليهم لقاء القاء سلاحهم بدون قيد او شرط. وقبلت لجنة الحزب المركزية طلبه وزودته بآخرين. ولم يكن حظ غيره من زعماء العشائر بأسعد من حظه في هذا الباب.

عند هذه الفترة من الثورة التي توهم فيها (قاسم) بان الامر انتهى وان بقية الفلول المشردة في اعالي الجبال لن تحتاج الى مجهود عسكري آخر للقضاء عليها بل ستنحل من

تلقاء نفسها - قام الحزب وحلفائه من العشائر وبالتعاون التام الرائع مع (البارزاني) بمجهودات خارقة محمودة في لم شعث الفلول وتشكيل القوات الثورية الضاربة (البيشمركه) وما مر سنة وبعض سنة حتى وجد (قاسم) نفسه في النقطة التي بدء منها في ايلول 1961. وعاد يسوق قطعاته مجدداً الى عدة اماكن قتالية.

في هذه المرحلة وجب على الحزب ان يضع مخططه السياسي الداخلي والخارجي. كان والثورة التي يقودها يقفان موقفاً سياسياً معقداً غير منطقي. فالاسلحة التي كان الجيش العراقي يستخدمها ضدهما ليست اسلحة غربية (امبريالية) وانما هي اسلحة سوفيتية (بروليتارية) ! حديثة الطراز تزود بها اللواء (قاسم) بموجب معاهدة صداقة وبأثمان رمزية زهيدة جداً. في حين ان موقف هذا الحليف والمحامي الجديد للكيان العراقي كان يسد بوجه الثورة باب العطف عليها ليس من جانبه وحده بل من جانب سائر الدول الاشتراكية الاخرى. لقد رفع الحزب شعار (الديمقراطية للعراق والحكم الذاتي لكردستانه) على اساس منطقي صائب وباعتبار الشقين غير قابلين للفصل او التجزئة ذلك ان الحكم الذاتي على فرض تحقيقه لايفدو حقيقة واقعة الاّ بتأمين حكم ديمقراطي صحيح للبلاد (ان التجارب في هذا الصدد كثيرة جداً بحيث يكون من قبل اللغو ايراد الامثلة) غير ان قيادة الحزب كما سنرى فيما بعد كانت دائماً تتنكر لهذا الشعار عند المفاوضات مع العدو وتهمل بحثه كأنه لم يرفع من اجل السعي اليه وانما لاجل الدعاية واجتذاب اهتمام وعطف جماهير الشعب العراقي على القضية الكردية. وجريدة (خه بات) التي كانت تصدرها قيادة الحزب بقيت مستمرة في التنديد بالامبريالية والاستعمار وحلف (السنتو) وظلت ساكتة عن ارسال الاتحاد السوفياتي تلك الاسلحة الى (اللواء قاسم) وهذا يفسر جانباً من الحيرة التي انتابت تلك القيادة تلك الحيرة التي بلغت حداً انها لم تقم مطلقاً وفي المرحلة الاولى من القتال بايّ احتجاج على الصعيد العالمي حول ارسال صفقات الاسلحة والعتاد تلك. لم تكن قد فقدت املها بعد في ان العالم الاشتراكي (الاتحاد السوفييتي) قد يغير من موقفه ازاء الثورة الكردية ويبادر الى وقف تزويد (قاسم) [1] بالسلاح وبذلك يرغم قاسم على انهاء حالة القتال بشكل ما ولهذا السبب لم تتحرك

1- في اواخر العام 1962 ذكر لي المأسوف عليه العميد الركن الطيار جلال جعفر الاوقاتي قائد القوة الجويّة (الذي كان مقتله ساعة الصفر للبدء بعملية انقلاب 8 شباط). ان (قاسماً) ارسله على رأس وفد عسكري الى الاتحاد السوفييتي لعقد صفقات اسلحة جديدة وفق الاتفاقية المعقودة في 1958. فانفرد به (خروشچوف)

قيادة الحزب نحو اية جهة خارجية لطلب العون والاستفادة من التناقضات السياسية الدولية كما لوكانت تعد الساعات بل الدقائق متوقعة تغييراً جوهرياً في موقف العالم الاشتراكي من ثورتها التحررية الامر الذي كشف عن جهل غير مقبول بسياسة زعيمة العالم الاشتراكي الخارجية وطبيعة علاقاتها مع مختلف الدول وكيف تبنى تلك العلاقات وعلى ايّ أسس. من الاكيد انها كانت تدري الى حدّ ما ان تلك العلاقات لم تكن مستوحاة تماماً من المباديء الاشتراكية التي قرأوها في الكتب. لقد كسر رئيس الحزب هذا الطوق. واخترق حاجز الصوت فيما بعد معتمداً على قواه الروحية ومدركاً تمام الادراك منزلته في قلوب الكرد وكلّ ذلك كان يؤمن له حرية الحركة.

كان للعالم الغربي (الذي ربما تدفعه مصالحه وسياسة الاستيلاء على مناطق النفوذ) عذره الخاص في الحذر من قيادة الحزب (لجنته المركزية ومكتبه السياسي) بسبب شعاراتها اليسارية التي لم تجد حاجة الى اعادة النظر فيها[2]. وعندما ادركت بأن انتظارها للمعجزة اعني لتحول يطرأ على موقف الاتحاد السوفياتي قد يطول دونما نتيجة كان الشق قد اتسع

ليقول له: ابلغ عبدالكريم قاسم بأننا سنتوقف عن تزويدكم بالأسلحة، أبوجود الاتفاقية او عدمها إنْ لم يجد للقضية الكردية حلاً سلمياً وينهي الحرب". والناس من جيلي لابدّ يذكرون ان (قاسماً) عرض في أخر خطبة له وقبل اسبوعين من سقوطه ـ وقف اطلاق النار من جانب واحد على الثوار تأكيداً لحسن نيته. افيكون هذا صدىً لتهديد الزعيم السوفييتي؟.

2ـ في الرابع من نيسان 1959 خرجت جريدة (خه بات) لسان "الحزب الديمقراطي الكردي الموحد" الى العلن لأول مرة. اعلنت فيه بمقال رئيس كتبه ابراهيم احمد عن سياسة الحزب بنقاط واضحة: الحزب يقف ضد مشاريع الامبريالية والرجعية وضدّ الاقطاع. وهو يناضل في سبيل تحقيق الديمقراطية واستقلال العراق، ويعمل في حقل السلام العالمي والتحرر القومي للأمة الكردية المضطهدة في كلّ من ايران وتركيا وسورية، ويساند مساندة مطلقة ثورة الرابع عشر من تموز ويؤيد قائدها عبدالكريم قاسم، وعن السياسة التي ستتبعها الجريدة ـ ذكّرَ انها اشتراكية المنحى تقف ضد الامبريالية التي تتزعمها الولايات المتحدة، وتتشد توثيق اواصر الصداقة والتعاون بين ناشئة العراق وناشئة البلدان الاشتراكية وفي مقدمتها الاتحاد السوفييتي والصين الشعبية. وتقف ضد العدو المشترك للشعبين العربي والكردي من خلال جبهة الاتحاد الوطني (كانت تلك الجبهة قد لفظت انفاسها الأخيرة، بعد فشل محاولة الشوّاف الانقلابية ذات الطابع القومي) وبنخبة من مناضلي حزبنا ومناضلي الحزب الشيوعي ..الخ. [انظر ما سبق].

وفي العاشر من كانون الثاني 1960 وبمناسبة صدور قانون الجمعيّات وتطبيقاً لاحكامه قدّم الطلب

بين القيادة هذه وبين رئيس الحزب. كانت تعتقد انها صاحبة الحق الاول والاخير في رسم سياسة الثورة والكلام باسم الشعب الكردي وثورته وان رئيس الحزب يمثل شخصاً واحدا من اشخاص تلك القيادة فطالبوا باخضاع القيادات العسكرية لهم والاشراف على الاعمال العسكرية غافلين عن ان الاسباب التي دعت الى انتخابه رئيساً للحزب قبل خمس عشرة سنة مازالت قائمة وان ايّ تقرب من العالم الخارجي هو الذي يستطيع تحقيقه ولاسيما العالم الغربي الذي اعتمدت عليه الثورة فيما بعد. أن هذا الخلاف المشؤوم الذي كان واحداً من العوامل الجوهرية لفشل الثورة افضى الى انشقاق تام فاصبح للثورة قيادتان وجبهتا قتال، واحدة بزعامة رئيس الحزب نفسه ولفيف من اعضاء القيادة واخرى برئاسة سكرتير الحزب وبقية اعضاء اللجنة المركزية على ان غالبية الاعضاء والمقاتلين كانوا في الطرف الاول. وخضع

بتأسيس "الحزب الديمقراطي الموحد لكردستان العراق" وقعه ملامصطفى البارزاني وابراهيم احمد (محام) وعمر مصطفى (محام) وعلي عبدالله (مهندس) ونوري صديق شاويس (مهندس) وحلمي علي شريف (صحافي) وشمس الدين المفتي (محام) وملا عبدالله اسماعيل (فلاح) واسماعيل عارف (عامل) وصالح اليوسفي (موظف حكومي). الى جانب تواقيع المؤيدين الخمسين كما يقضي به القانون. ونصّت المادة الثالثة في مسودة منهاجه على ان الحزب سيستفيد من النظرية العلمية للماركسية اللينينية في نضاله السياسي وتحليله للمجتمع. كما نصت المادة الثالثة والعشرون منه على التعهد بمساندة نضال الشعب الكردي في سائر كردستان من اجل التحرر من الرجعية والاستعمار والتبعية ومن اجل حق تقرير المصير.

ولم تعجب (قاسم) كلمة (الموحد) التي تنمّ عن الشمولية في عنوان الحزب ولا كلمة (كردستان) الاقليمية الطابع، فاقترح وزير الداخلية على ملامصطفى وابراهيم احمد إثناء مقابلة لهما عنوان (الحزب الديمقراطي الكردي)، وابدى ملامصطفى استعداده لاسقاط كلمة (موحد) لكنه اصرّ هو وابراهيم أحمد على بقاء كلمة (كردستان). وبالاخير وافق الطرفان على عنوان (الحزب الديمقراطي الكردستاني). في الواقع لم يكن اصرار قاسم على حذف "كردستان العراق" أمراً اعتباطياً لامعنى له. ففي اللغة العربيّة يكون لفظ (كردستاني) الطف وأقل استفزازاً من الناحية السياسية ـ فالقول "كردستان العراق" يتضمن مقابلة ومتامّة في عين الوقت للاجزاء الأخرى: كردستان ايران، كردستان تركيا.....

ورفض وزير الداخلية لتعبير "الماركسية اللينينية" أي وجود في منهاج الحزب فاسرع ملامصطفى وابراهيم أحمد بالموافقة على حذفه، وربما كان هذا الاتفاق موضع رضى الحزب الشيوعي نفسه، فقد استنكر من البارتي استخدامه هذا التعبير لاسيما بعد عملية تطهير العام 1959. وكتب له رسالة قبل تقديم الطلب بهذا المآل وطلب منه حذف العبارة من المنهاج "والاّ فإن علاقات الصداقة بين الحزبين لاتعود ممكنة". والظاهر ان الحزب الشيوعي لم يعتبر هذه البادرة بمثابة اطراء له وتاكيداً لصحة اهدافه، بل عدّها عملية اختلاس لملكية شيوعية احتكارية

التعاون بين الجانبين الى الامزجة دون مراعاة للضرورات الوطنية والعسكرية ودون ان يؤخذ في الحساب مستقبل ثورة الشعب الكردي ومصائر ابنائه الذين كانوا يريقون دماءهم في الجبهة دون تردد الى ان انحاز الطرف الثاني الى الجانب الحكومي (1966) وصار يتعاون على اطفاء الثورة مع قوات الجيش العراقي.

كان واقعاً مؤلماً وغير طبيعي حاول كل من الجانبين اصلاح او تكييفه حسب مفاهيمه الخاصة. لقد أثبت الحزب وجوده وفعاليته فيما مضى بنجاحه في خلق خلايا له حتى لدى القبائل المرتحلة وافصح عن بعد نظر عندما اختار (البارزاني) زعيماً للثورة ورئيساً للحزب وهو مبعد (ربما كان اول زعيم سياسي في التأريخ يختار بهذا الشكل). فما الذي حصل لترتفع ثقة الطرف الثاني عنه؟

كان السبب في المبدء شخصياً أكثر من كونه عاماً. هاهي قيادة مدنية تتألف من اعضاء نال بعضهم درجة جامعية وتمرس في النضال السياسي وذاق مرارة العمل السري والمطاردة والسجن. انهم يجدون انفسهم الآن وبعد ان ساهموا مساهمة فعالة في تحويل انتفاضة غوغائية الى ثورة مبدئية كاملة الابعاد ـ أحق من القائد الذي سلموا بزعامته فيما مضى بقيادة الثورة. فيتملكهم الاصرار على ان يخضع مادعوه بالقيادة العشائرية الى اوامرهم زاعمين ان هذا هو الاسلم والاقرب الى روح العصر ولان معظم ثورات الشعب الكردي السابقة لاقت حتفها لان ادارتها كانت بيد زعماء عشائريين غير متشربين الروح الوطنية، كان مصدر الخطأ هنا ذا وجهين. فقد خيل لقيادة الحزب المدنية وقت احتدام المعارك انها استطاعت فعلاً تحويل الولاء القبلي تماماً الى الولاء المطلق للحزب وراحت تفلسف هذا الموقف وضاعفت المفاهيم المختلفة للنضال من حيث الشكل والموضوع مما ادى بها الى الابتعاد عن الواقع والاغراق في الخيال والمبالغة في تقدير قوتها فأسرعت للتخطيط فعلاً لازاحة ما اسمته "بالقيادة العشائرية التقليدية". الوجه الثاني انها استخفت واخطأت في تقدير منزلة رئيس الحزب في نفوس

لايجوز اغتصابها او ان يتمتع بها احد غيره، لاريب ان الحزب الشيوعي العراقي سرّ كثيراً بهذه الخدمة التي قدمها له وزير الداخلية.

وحذف الوزير أيضاً من باب اهداف الحزب "هدف الحكم الذاتي" ووافق الاثنان على ذلك ايضاً، على ان مؤتمر الحزب الخامس المنعقد في الخامس من تشرين الاول 1960 ، اعاد اليه مايساويه بالشكل بعبارة "الاماني المشروعة للقومية الكردية". وما يطابقه في الجوهر وهي من صياغة ابراهيم احمد الذي يحسن اللغة العربية ويجيد التعبير بها. ولم تعد الى المنهاج العبارة التي وردت في مادته الثالثة اطلاقاً.

الشعب الكردي والثقل الذي يتمتع به في المجال الدولي. لم تقر القيادة المدنية الاتصالات الاصيلة الخارجية التي كان يحاولها رئيس الحزب بحثاً عن الدعم والمساعدة ولم تقر أسلوبه. وعدت بعض تلك المحاولات مناقضة للخط الثوري والمبدئي وبدأت تستقل باتصالاتها السياسية على النطاقين العراقي والخارجي وتتقدم بمذكرات ومطالب تماماً كما يفعل رئيس الحزب فكانت تتعارض احياناً وتتفق احياناً وحصلت تحرشات وتعرضات مسلحة بين الجانبين سفكت فيها دماء كردية بأياد كردية واصبح لكل منهما سجنه الخاص يلقي فيه اتباع الطرف الآخر عندما يظفر بهم واصبحت عبارة "العدو المشترك" تتردد على افواه الطرفين مشيرة الى النظام العراقي الذي كانا يقاتلانه وكأنهما فريقان يعملان لغرضين مختلفين. ثم زالت من فم الطرف الثاني عندما القى بنفسه في احضان ذلك "العدو المشترك" كما حصل في آب 1962 عندما شرع بعض الضباط العراقيين بالاتفاق مع حزب البعث والقوميين يخططون للاطاحة بحكم اللواء (قاسم) فبدأت اتصالات لهم بقيادة الثورة في شباط 1962 واستمرت زهاء السنة الواحدة حتى تم الانقلاب. لكن لم يكن بيد مفاوضي الثورة الكردية ورقة واحدة يلعبونها مع الحكام الجدد. لم يكن لديهم اكثر من وعود غامضة وصيغ عمومية مثقلة بكثير من عبارات الود والمجاملة لاتقنع طفلاً. واعترف البارزاني نفسه بهذا العجز السياسي لاحد المراسلين الاجانب حتى انه قال "لقد اعطانا البعث وعداً بالاعتراف بالحكم الذاتي الاّ انه لم يكن وعداً خطياً. لم يسطر على ورق ولم يوقع ...".

ولم يكن حظ قيادة الحزب الجديدة التي جاء بها البارزاني عوضاً بأحسن حالاً مع الحكم الجديد الذي تلا حكم البعث. لقد اوقفت القيادتان القتال مع الحكام الجدد وظهرتا متحدتين لفترة وجيزة حتى ان ممثليهما نزلوا الى بغداد للتفاوض باسم (ممثلي البارزاني).[3]

في الوقت الذي كان النظام الجديد يستعد لحرب تصفية بعد نشر الثورة وثيقتها المعروفة حول الحكم الذاتي. شعر رئيس الحزب بثقل المسؤولية وبحاجته الى مؤتمر واسع، أوسع من نفسه ومن الحزب لتقرير الخطوة المقبلة. فاجتمع في 18 آذار بكويسنجق ماهو أشبه بالجمعية العمومية الوطنية مؤتمر مؤلف من حوالي ألفي شخصية كردية. ودامت الاجتماعات خمسة أيام تم على اثرها اختيار ممثلين للدخول في مفاوضة مع الحكومة. ان هذا الوفد ـ وهنا وجه الغرابة ـ انساق بسذاجة غريبة باقوال المسؤولين العراقيين الذين استطاعوا اقناع الوفد بأن

3ـ انظر التفاصيل في الفصل الاوّل المضاف.

مفتاح القضية الكردية ليس بيدهم وانما بيد (رائد الامة العربية) السيد عبدالناصر. وبدون نقاش لهذا الزعم وخلافاً لرأي البارزاني شد رئيس الوفد الرحال الى مصر ليعود ادراجه وقد وجد نفسه ضحية خدعة.[4] لقد دفع الحكم الجديد القضية الكردية في حلقة مفرغة حيناً من الزمن ليثبت اقدامه ويكمل استعداده للقتال من جديد. ولهذا ألقي القبض على أعضاء الوفد في كركوك واعيدوا الى بغداد موثقي الكتاف واستونف القتال في حزيران.[5]

حينذاك او قبله بقليل تعرض الشيوعيون الى ابشع عملية تصفية شهدها تاريخ الحركة الشيوعية في الشرق الادنى. اذاع النظام الجديد وهو ما زال يخوض معركته مع (قاسم) بياناً رسمياً بقانون يبيح دماء الشيوعيين ويعتبر قتلهم واجباً وطنياً وينصب من كل مواطن عراقي محكمة وجلادا في عين الوقت انجازاً لعملية التصفية هذه. فهرب عدة آلاف ولجاؤا الى مناطق الثورة انقاذاً لحياتهم. ولقد اقترن هذا التنكيل بتوتر العلاقات بين نظام الحكم الجديد وبين الاتحاد السوفيتي لا بسبب هذا التقتيل وحده بل لأن النظام الجديد كان يحقد على الاتحاد السوفييتي. ومع ان قيادة الحزب المدنية ماكانت تميل كثيراً الى الافادة من هذه العناصر في مجهودات الثورة الاّ ان (البارزاني) ببعد نظر منه لم يدع الفرصة تفوته وهو يتطلع الى الخارج للدعم والمساعدة ـ فسلحهم ودفع بهم الى احدى جبهات القتال ورأى ان ذلك لم يكن كافياً فأعطى بعضهم مراكز اساسية وعسكرية في الثورة وكان لهم الامر والنهي وبذلك اوجد

4ـ لم يعد الى العراق، خشية ان يكون مصيره مصير اعضاء الوفد الآخرين الذين قبض عليهم في كركوك واعيدوا مكبلين الى بغداد، بل توقف في بيروت وعقد هناك مؤتمراً صحفياً، ثم سافر الى اوربا ومنها عاد الى كردستان بطريق ايران.

5ـكان اعضاء الوفد الباقون : (من الحزبيين) صالح اليوسفي، يدالله عبدالكريم، عكيد صديق، شاخوان نامق، عبدالحسين فيلي، هاشم عقراوي. و(من المستقلين) مسعود محمد المحامي، ومصطفى عزيز، وعبدالصمد الحاج محمد ورؤوف أحمد ورشيد عارف وسيد حسين خانقاه. قبض عليهم في 9 حزيران 1963، واخضع صالح اليوسفي ويدالله وشاخوان الى تعذيب جسدي ونفسي، ونشر بيان من مجلس قيادة الثورة في اليوم نفسه معلناً استئناف العمليات العسكرية، وفي 15 منه صدرت جريدة (الجماهير) وفي صدرها رسائل (اعترافات) مصورة بالزنكغراف معزوة لصالح اليوسفي وعبدالحسين الفيلي وشاخوان نامق وعبدالجليل فيلي وحبيب كريم تحمل فيها على البارزاني وتستنكر حركته وانفردت رسالة صالح "بأدبها وخلوّها من التعابير النابية. اذ كانت كلّها تدور حول اهمية الصلح والسلام واجتناب الحرب وسفك الدماء والظاهر أنهم هددوا بالقضاء على حياتهم، (تمّ اخلاء سبيل الجميع بعد انقلاب 18 تشرين).

اول انعطاف ازاء الثورة من جانب الاتحاد السوفييتي الذي شرع يفكر جدياً في دعمها مادياً ومعنوياً وعرض أن يبعث بجهاز بث اذاعي[6] وبدأت احدى محطات الراديو في برلين الشرقية تذيع بالعربية والكردية بلاغات الثورة وتعليقات مشجعة عنها. كاد الاتحاد السوفييتي يفقد امله في اقامة علاقات طيبة مع الحكم الجديد فاوعز الى جمهورية منغوليا الشعبية بعرض القضية الكردية على الهيئة العامة للامم المتحدة وقام هو نفسه بعرضها ايضاً امام المجلس الاقتصادي والاجتماعي التابع لها الا انه سرعان ماسحبت الشكويان لاسباب سياسية صرفة تتعلق بقضية الشرق الاوسط ونفوذ كبير كان يتمتع به (عبدالناصر) لدى الاتحاد السوفييتي دون الاخذ بنظر الاعتبار الدوافع الانسانية والمبدئية التي دفعت بهذه الشكوى امام الندوة العالمية.

لم يطرء تحسن على الموقف بين المنشقين ورئيس الحزب بل كان الشق يتسع باختلاف وجهات النظر. وفي الرابع من نيسان 1964 دعا سكرتير الحزب الى عقد مؤتمر له في

6- يحفّ الغموض الكبير بخصوص هذا العرض، فالذي فاتح به القيادة، لم يكن غير دارا توفيق المهندس من اهالي السليماني، خريج لندن ويحمل بطاقة الحزب الشيوعي العراقي، وقد بقي هو حلقة الاتصال بين القيادة وبين البعثة الدبلوماسيّة السوفيتية في بغداد، ولفترة تزيد عن السنتين. لم يتمّ خلالها انجاز الوعد المقطوع، وقد عزا الوسيط السبب في صعوبة النقل والمخاطر التي قد يتعرض لها الناقلون ومضى الوقت في فحص الاحتمالات والخطط دون طائل. كان (دارا) من جملة اللاجئين الى المنطقة الكردية المحررة اثر انقلاب شباط وبعد ازاحة البعث وبدء المفاوضات مع عبدالسلام عارف عاد الى بغداد ثم كثُرت زياراته وبدأ ذا حظوة عند البارزاني وولديه. في العام 1967 احدث اقتراحٌ له صعقة خفيفة في اوصال القيادة الكردية عندما اقترح تشكيل حزب جديد كردي في بغداد. وعرض مشروعه على البارزاني بهذا الشكل: قال ان عناصر جيدة لاتريد الانضمام الى البارتي ومعظمهم من الشيوعيين السابقين الذين خرجوا على حزبهم لخيبتهم فيه ولخطأ سياسته التي جرت عليه النكبة وهؤلاء الخمسون (الذين عرض اسماءهم على البارزاني) سيقومون بعد تشكيل الحزب بعملية دمج مع الحزب الديمقراطي الكردستاني، كان هذا اكثر مما يمكن ان تتحمله قيادة الحزب فاتفقوا جميعاً على احباط هذه المحاولة، وشخصوا جماعةً متراصة واحدةً الى البارزاني يحتجون، فهدأ من روعهم وطمأنهم بأنه لم يعدْ بشيء، وبهذا كانت نهاية مشروع الحزب الكردي الثاني.

في 16 من تموز 1967 نشرت صحف بغداد وبينها التآخي، خبراً مفاده ان جمعية الصليب والهلال الأحمرين السوفيتية تبرعت بمبلغ ثلاثين ألف روبل للمتضررين في كردستان، كما علمتُ أيضاً ان السوفييت بدأوا يسعفون الحركة الوطنية الكردية منذ ذلك العام وفي فترات غير منتظمة بمبلغ ستين الف دولار سنوياً بوصفها مساعدات انسانية غير عسكرية، والله اعلم.

(ماوه ت). وامام سبعين مندوباً يمثلون فروع الحزب هاجم السكرتير رئيسه وطلب من المندوبين تحديد موقفهم منه. الاّ ان بعضهم حاول انقاذ الموقف فأقترح ايقاف اعمال ذلك ألاجتماع وارسال وفد منه الى رئيس الحزب لتنقية الجو وجمع الشمل. ولما عاد الوفد وجد المؤتمر قد ختم اعماله وتمت القطيعة.[7] كان الوضع من الحراجة بمكان. فالهدنة بين حكومة عبدالسلام عارف وبين قيادة الثورة مهددة في كل لحظة وشأنها شأن من عقبها كانت ترمي الى التسويف والمماطلة وتزجية الوقت في مناظرات كلامية عقيمة. وازاء هذين الموقفين قرر رئيس الحزب نصب قيادة جديدة بدل القيادة المنشقة واعادة تنظيم الحزب بطرد العناصر المناوئة. وهكذا فقد الحزب كادره القديم اما بوسم اعضائه بميسم الخيانة واما باختيار ترك العمل الثوري والابتعاد عن الحزب والانزواء في المدن والقرى او مغادرة كردستان. لقد تركت القيادة القديمة الميدان لقيادة ضعيفة جمعت اعتباطاً. هذه القيادة القيت على عاتقها فيما بعد أثقل المهمات واخطرها فناءت بها وهوت تحتها. قيادة فقدت عناصر عديدة منها التجانس والخبرة في العمل السياسي مع انها كانت تتضمن ثلة من الكادر الاعلى القديم فما بقي كان أضعفه. وتبعاً لذلك انحطت سمعة الحزب وادرك الانحلال الكوادر الواعية والمثقفة فاختفت. ولم يظهر اثر هذا الضعف بشكل واضح طوال السنوات التالية لان شخصية البارزاني الطاغية بسمعتها الداوية كانت تغطي قصورها ولان الاعمال العسكرية الناجحة في اعقاب الهدنة الثانية وتعاظم هيبة الثورة وانتباه العالم الخارجي بها كتم سرها فلم يعلم به الا القريبون.

ومع ان رئيس الحزب قبض على زمام الامور بيد جازمة مستفيداً ومستغلاً خير استغلال مصادر قوته وماضيه الوطني المشرف ومكانته عند الامة الكردية الا ان الرجة كانت عنيفة ادت الى ردود فعل خطيرة لدى الشعب الكردي فتوقفت طلبات الانتماء الى الحزب سواء من الجماهير او من البشمركة واعترى الخور الكوادر الحزبية الباقية وتُرك للاعضاء الحبل على الغارب وفقد الانضباط الحزبي واهملت الاجتماعات الدورية ولم يعد يرى في ادبيات الحزب ونشراته تلك الروح الحماسية التعليمية. وآل الوضع الى تسيب خطير في المسؤوليات الحزبية وانعدمت المحاسبة تقريباً وتكدست الاعمال الورقية والمكتبية. وكثيراً ماكانت الاوامر الحزبية تصدر لتبقى حبراً على ورق لاتجد من يخشى اهمالها. بقي هذا الداء ينخر في جسم الحزب كالبرص حتى نهاية الثورة.

7- راجع الفصل الثاني المضاف.

لم تكن القيادة الجديدة في جميع المراحل التي مرت بها ومهما اعترى اشخاصها من تبديل- لم تكن تملك عنصر الانسجام لانها لم تك حصيلة انتخاب ديمقراطي وانما تم التقاطها بما يشبه التزكية في مؤتمر صوري بناء على الضرورة التي دعت رئيس الحزب الى ذلك كما بينا. فمثلاً استقدم سكرتير الحزب الجديد من بغداد خفية ليجد نفسه فجأة عضوا في اللجنة المركزية وسكرتيراً للمكتب السياسي بعد ساعات معدودة من انتخابه ومن دون سابق وجود له في منطقة القتال. وانصرف اعضاء القيادة بالتدريج الى الشؤون المكتبية والادارية والتكنية المناطة بهم اما بحكم عضويتهم في مجلس قيادة الثورة او بحكم ابتعادهم عن المقر في مهمات ومناصب حزبية ادارية وندر ان اجتمعت اللجنة المركزية بنصاب كامل. اما اجتماعات المكتب السياسي الدورية فانها لم تكن تسفر من قرارات مجدية حزبية ولاييحث فيها بتفصيل وجدية نشاط الحزب ولجانه واذا ما بحثت فبشكل مجرد من الحماسة والعزم. ان ضعف هذه القيادة وسطحيتها تجلى في استمرارية هروب عشرات من اعضائها والارتماء في احضان العدو فيما بين 1964 و 1974 . وكان هذا الهروب يستلزم دائماً عمليات ترقيع لتعبئة العدد بوسائل بعيدة عن الديمقراطية ومخالفة تماماً لنظام الحزب. ولذلك راح الحزب بعد نكسة 1964 يفقد رصيده ومكانته وبصورة خاصة لدى قوات الجيش الثوري. لم يكن رئيس الحزب يشجع كثيراً اي تغلغل للحزب بين المقاتلين ربّما خوفاً من تكرار ماسبق حصوله من القيادة السابقة. والقيادة الجديدة لم تبذل من جانبها اي مجهود للتغلغل وانسحبت كوادر الحزب الى الخلف تاركة جبهات القتال. وبينما كان المفروض عليها ان تشارك في المعارك وتتقدم الصفوف لتضرب للپشمركة امثالاً في التضحية ونكران الذات نجدها تنسحب تدريجاً الى مقرات خلفية. واصبح حالها حال اللجان الفوقية تكتفي باصدار الاوامر لكيلا ينفذ معظمها. وتكتب التقارير الدورية الروتينية الى المركز وتنقل انباء المعارك بشكل مبالغ فيه مجسمة ادوار اعضاء الحزب. وكل هذا سبب استظهار عناصر انتهازية طارئة على الثورة وتسلمها قيادات مدنية وعسكرية هي ليست اهلاً لها.

وألِف اعضاء اللجان (الناوچات) الراحة واستمرأوها خلف خطوط القتال وجبهاته وتعددت طلباتهم المعاشية اذ لم يعودوا قانعين بمقاسمة المقاتل جرايته البسيطة لانهم كانوا يعتبرون انفسهم من طينة متفوقة وراح بعضهم يفرض كالجنود المرتزقة (الجاش) اتاوات العيش على القرى حتى نما نوع من القرف منهم في نفوس القرويين منهم طارداً كل شعور بالاحترام

الذي كانوا يكنونه لاعضاء الحزب في الماضي. وكان هذا القرف في بعض المناطق يتحول الى حقد دفين عندما يقترن النفور التصرف المتعالي باجراءات تعسفية.

استقطب النفور وانعكس على معنويات البشمركة وكلهم فلاحون (حتى افراد الشرطة الذين التحقوا بالثورة) فولد بعد استئناف المرحلة الاخيرة من القتال حالة الانهيار المعنوي واللامبالاة الى حد عصيان الاوامر والتمرد واغفال القتال والهجوم بالانسحاب دون قتال نكاية وحقداً وضناً بالروح .. الى غير ذلك من الظواهر المؤسفة التي عجلت بعمر الثورة وهي في اوجها كما سيجيء شرحه.

قلنا اختفى اعضاء الحزب وكوادره في خلفية المرسح عملاً، الا انهم بقوا يتصدرونه بالشعارات. واحدثت اتصالاتهم بحياة المدينة في اثناء فترات الهدن الطويلة اثارها العميقة لافي اتجاهاتهم السياسية وحدها بل في حماستهم الثورية - ان وجدت - . لقد انميت صداقات لعدو ماكان يجب انماؤها وتطورت الى ان بلغت حد العمالة والتطوع لنقل انباء تحركات اجهزة الثورة بما في ذلك صلاتها الخارجية الصميمة. وتفاصيل دقيقة عن مواقع قطعاتها العسكرية. وعاد الحنين الى حياة المدن المرفهة يعتلج في الصدور بعد مجاهل كردستان وكهوفها وثلوجها. اذ لم يكن بعضهم مستعداً لتلك الحياة القاسية او واضعاً في حسابه نضالاً شاقاً غير مقترن باجل وراحت عناصر كثيرة في القيادة تجاهر بضجرها وتأففها من لوام القتال وتنتقد فيما بينها اصرار قائد الثورة على المضي في القتال الذي يبعد عنهم آمالهم في حياة الراحة والنفوذ والمناصب التي ستكون بانتظارهم كلما تجددت المساعي السلمية او بوشر بمفاوضات مع النظم العراقية المتتابعة.

بلغت الاستهانة بالقضية الوطنية والمكابرة الحد الذي ماعادت معه تعتبر تضحيات الجماهير الكردية المعدمة بدمها وبالذي تملك شيئاً مذكوراً اذا ماقيس بتضحياتها. وكثيراً ما سمع كاتب هذه السطور ذلك المنطق العجيب يردده عدد من القياديين "ليس للبشمركة المقاتل مايفقده فهو معدم اصلاً ويحارب فوق ارضه وقد ألف حياة العنف والمشقة. اما الان فهو يقبض راتباً ويملك سلاحاً جيداً وعتاداً وكساء وطعامه مؤمن فهو أربح منا نحن المدنيين الذين فقدنا كل شيء بعودتنا الى حياة الفطرة".

وبين وحدات البشمركه نفسها ظهرت امتيازات متأتية من صلات القربى والعنعنات القبلية. فبينما كانت قطعات معينة من الجيش الثوري تتحمل اعباء قتال مستمر كان ثم قطعات اخرى

في جبهات بعيدة عن القتال الفعلي ومديات القصف الجوي في المؤخرة تنعم بالراحة وبالطعام الجيد لتثير بذلك عوامل الحسد في انفس اخوانهم المرابطين في الجبهة المعرضة باستمرار للعدو. وفي هذه المؤخرة كان بعض القياديين الحزبيين ومن امراء الهيزات منصرفين الى حياة الراحة مع رجالهم المفضلين وقد احاطوا انفسهم بحاشية ويعدد مع الطفيليين المالكين حرية الأمر والنهى والزجر. لايتورعون من استخدام افراد الجيش الثوري خدماً في بيوتهم. ويدججون انفسهم بالسلاح الجيد ليسيروا به مختالين كالطواويس يحف بكل منهم ثلاثة او اربعة من الاتباع. ويعلقون على صدورهم كميات كبيرة من العتاد. كان مقاتلو كردستان في ذلك الحين بأمس الحاجة اليه ـ تكملة للزي.

*** *** ***

كانت بوادر التفكك والانحلال الخلقي وعدم الاكتراث بمستقبل الثورة واضحة للعيان عندما استؤنف القتال في ايلول 1968. لقد رحب نظام الحكم الجديد الذي قام في اعقاب حكم (عبدالرحمن عارف) باستئناف القتال في باديء الامر. مدفوعاً بشعور الثقة بالنصر ونجاح انقلابه. لقد تصور هذا الحكم انه قادر على تصفية الثورة حربياً بعد ان أطاح بشركائه في الانقلاب وقام باعمال تصحيحية معينة في الداخل هدفها التقرب الى الشعب العراقي وازالة ذكريات ارهابه من الاذهان اثناء فترة حكمه في العام 1963. ولانه كذلك كان يريد اشغال ضباط الجيش العراقي وابعادهم حيناً من الزمن عن مجال التدخل في الشؤون السياسية ليأمن مؤامرات كالتي جاءت به الى الحكم ولتتاح له فرصة تطهيره من العناصر المناوئة.

قبل ان يستأنف القتال في اواخر العام 1968 كان الحزب قد خسر جولة ثالثة من المفاوضات (حزيران 1966). قبلت وزارة (عبدالحمن البزاز) بالمفاوضات بعد الهزيمة النكراء مني بها الجيش العراقي في (هندرين) تلك الوقعة التي عدتها حكومة البزاز هزيمة لرأي العسكريين ولاستراتيجيتهم المقترحة لحل القضية الكردية. وبدلاً من انتهاز هذه الفرصة النادرة. خرج رأي من القياديين عجيب يدعو الى وجوب التساهل مع رئيس الحكومة لترجيح موقفه على العسكريين بعدم التشدد في المطالب اثناء المفاوضات. وبذلك اتاحوا الفرصة لاملاء شروط لم تحرك القضية الكردية الى الامام خطوة واحدة بل دفعتها الى الوراء في متاهات. اقنع رئيس الحكومة قيادة الثورة بأنها ليست الطرف الوحيد في القضية الكردية وانما هناك القيادة المدنية المنشقة طرفاً ثانياً وامتنع البارزاني عن التفاوض لهذا السبب. لكن قيادته لم

تشجعه على هذا الموقف وانضمت الى الوسطاء ومحبي الخير في الالحاح عليه بقبول ذلك. واستغل (البزاز) صعوبة جمع الطرفين معا فخلق لديهما كل على انفراد حالة فكرية معينة ناشئة عن حمل الطرف الواحد بما كان الطرف الثاني مستعداً للرضا به. وكان ان تسابق الطرفان الى التساهل وحل اللين محل التصلب وسجلت المداولات نصراً ساحقاً للمغلوب وخذلانا مبينا للغالب يتضح ذلك من بيان (29 حزيران) الذي صاغه (البزاز) بنفسه وباسلوبه القانوني المطاط والقاه من اذاعة بغداد ليتنصل من تبعاته بعد اشهر قلائل من الاستقالة التي ارغم عليها مصرحاً بأن البيان لم يكن غير (خطة عمل او منهاجاً) التزمت به حكومته وان اية حكومة تالية مخيرة بين تطبيقه او اهماله.[8]

ربما كان البزاز مستعداً ومتهيئاً لقبول مطالب جوهرية كثيرة تتعلق بمصير وحقوق الشعب الكردي. الا ان المساومين والطفيليين والانتهازيين داخل القيادة وخارجها الذين عملوا كناصحين ومشاورين ومعبرين عن رغبات الشعب الكردي للبارزاني اقنعوه بأن اصراره على موقفه سيضعف من موقف حكومة البزاز فيُرغم على الاستقالة ليتسلم العسكريون بعده زمام الامور واذ ذاك ستتعقد الأمور وسيكون ثم مزيد من الخراب وسفك الدماء. فنزل البارزاني عند رأي هذه الاكثرية وهو متردد. ان لعبة (البزاز) الصغيرة التي نقلت نتائج نصر الثورة العسكري اليه لم تكن حاذقة بقدر ماكانت سذاجة وميوعة الطرف الثاني كبيرة. فمن ناحية القيادة المدنية السابقة كان الدافع الذي اسرع بها الى الموافقة، تلهفها الى رد اعتبارها باعلانها طرفاً في الاتفاق. ومن جهة قيادة الحزب الجديدة كانت القصة مختلفة فقد نزل الوفد من مقر الثورة للتفاوض مع رئيس الحكومة وهو مزود بتعليمات واضحة محددة ومعينة لكن اعضاءه ما ان استنشقوا اول نسمة من هواء بغداد حتى لانت عريكتهم واسرعوا بالتنازل عن اهم تلك المطالب معلناً موافقته على مشروع بيان (البزاز) ثم الرجوع الى رئيس الحزب لاخذ موافقته كما يعلم جميع الواقفين على الموضوع. لقد كان جل اعضاء الوفد من اعضاء المكتب السياسي للحزب ولجنته المركزية.

قبل ان يلقي رئيس الحكومة بيان (29 حزيران 1966) أدلى بتصريح الغالب الذي يجد من حقه املاء الشروط اذ قال "ان الحكومة من حيث الاساس مستعدة للاعتراف بحقوق الكرد القومية. الاّ انهم مطالبون بتسليم اسلحتهم. وليكن معلوماً انهم سيفيدون جميعاً من العفو العام

8 ـ راجع الفصل الثالث المضاف لمزيد من التفصيل.

.. "لم يشعر احد بالعار ولم يعترض عضو في الوفد على هذا التصريح الذي ثبت حرفياً في البيان والذي جعل من الثورة حركة عصيان وتمرد عادي على سلطة شرعية ومن قادتها ومجاهديها قطاع طرق وعصاة ومن مجرمين ملعونين ولم يسأل صاحب البيان عما قصده بـ (الاستعداد للاعتراف بحقوق الكرد القومية) ولم يناقش في كيفية تحديده لتلك الحقوق ومتى يتم (استعداده) ليباشر فيها الكرد التمتع بتلك الحقوق عملاً. ان الثبات والقوة التي كانت قيادة الحزب والثورة مع شركائها من الوسطاء تعزوها الى حكومة البزاز وتتخذ منها سبباً للاسراع في التفاهم معه باي ثمن ظهر انها مجرد سراب ووهم خادع اذ ان محاولة انقلاب عسكرية هبت اعاصيرها فجأة عندما كان الوفد الكردي في بغداد ينتظر ظهوره مع رئيس الحكومة على شاشة التلفزة لاذاعة البيان.

يدعي بعض القياديين الذين ادركوا فيما بعد مغبة مافعلوا ان (ايران) هي التي ضغطت (ايضاً) على البارزاني الذي (أمر) القيادة بقبول (مخطط البزاز) المدروس. ان هؤلاء انفسهم قالوا فيما بعد ان (ايران) هي التي (ضغطت) للحيلولة دون الوصول الى اتفاق (11 آذار). ان صح هذا فأن رغبة (ايران) المزعومة الاولى كانت تتفق مع رغبة الاتحاد السوفيتي الذي تدخل فعلاً لمصلحة حكومة (البزاز) والح وكان عاملاً اساسياً للقاء الطرفين وتقريب وجهات النظر كما يعلم المطلعون وللواقع والتاريخ نقول هنا ان الثورة كانت تملك زمام أمرها في الحالتين بدليل عدم التفاتها الى الضغط الايراني الاخير واقدامها على الاتفاق مع الحكم العراقي في 11 أذار 1970.

ان ايران مدفوعة بمصالحها الخاصّة طبعاً وبحرصها على بقاء الثورة مشتعلة كشوكة في خاصرة الحكام القوميين العراقيين. لم تكن راضية قط بالتقرب من (البزاز) والتفاوض معه. لقد نصحت فعلاً بعكس ذلك وبعدم جدوى اي اتفاق مثل هذا وظهر انّ رأيها المصلّحي كان اصوب مع رأي الوفد المفاوض وأقرب الى مصلحة الشعب الكردي.

من جملة التهم التي وجهها القوميون العرب المسكريون العراقيون ومنافسو البزاز وخصومه لارغامه على الاستقالة "... فضلاً عن تقربه من الدول العربية ذات "النهج الرجعي"! واتباعه سياسة اقتصادية ليبرالية ترمي الى الاخذ بيد الرأسمالية العميلة وتشجيعها ... انه عقد اتفاقاً غير مشرف مع الاكراد". كانت تلك التهمة الاخيرة من الثقل بحيث الجأته الى التصريح رسمياً حتى بعد استقالته (ان بيان حزيران حول حقوق الاكراد لايربط قانوناً الا

الحكومة التي اصدرته..).

بعد هذا الخذلان السياسي المبين الذي منيت به قيادة الحزب والثورة أرادت تغطية عجزها السابق عن اتخاذ موقع صلب ومشرف من المفاوضات بعملية شكلية ذات صوت جهوري. فأنتهزت فرصة انعقاد المؤتمر السادس للحزب ووجهت مذكرة الى حكومة بغداد التي قامت على انقاض حكومة البزاز. وصفت فيها بيان رئيس الحكومة السابق (اعتبرته اتفاقاً وسمته كذلك في بيانها) بانه (اتفاق) ميت لعدم تطبيقه. وقد أخطأت رميتها هذه المرة ايضاً لان الحكومة الجديدة كانت قد سبقت القيادة الى اهمال العمل بالبيان واخذت تستعد لتطويق الثورة الكردية سياسياً وعسكرياً. فقد كان رئيس الدولة (عبدالرحمن عارف) يعد العدة للسفر الى طهران في محاولة منه للتقارب وتنقية الجو السياسي وبكلمة اخرى للعمل على قطع المساعدة الايرانية عن الثورة الكردية. (كما فعل بعد ذلك وزير دفاع حكومة الرئيس "احمد حسن البكر" في العام 1969 عندما شد الرحال الى طهران والحرب محتدمة لعين الغرض).

*** *** ***

ظلت قيادة الحزب والثورة تدور في دوامة من المفاوضات الهازلة العابثة التي كانت دائماً تقدم الفرص الذهبية لكل حكم جديد في بغداد مع الوقت الثمين لتوطيد كيانه وتثبيت اقدامه والاعداد لشن حملة عسكرية جديدة على كردستان ولم تستفد قط من التجارب والعبر السابقة.

في معظم الاحيان كانت القيادة التي يتألف منها عادة معظم اعضاء وفود المفاوضات تعزو عجزها عن تحقيق اي مطلب حقيقي - الى طغيان شخصية رئيس الحزب عليها والى الزعم بانها انما تنطق بلسانه فحسب وتردد آراء وتعبر عن مطالب حددها لها هو بنفسه. فإذا قبلنا بهذا الزعم على علاته أفلا يكون دليلاً على الادانة الذاتية. أليس هو مظهر من مظاهر ضعف تلك القيادة وهي لاتجد في نفسها الجرأة على تحدي خطأ رئيسها بالاستقالة مثلاً وهو اقل مايتوجب عمله في احوال مماثلة؟ ان صفة التحكم والاستبداد في الرأي (لاسيما في الامور الوطنية) التي تعزى الى (البارزاني) بفرض وجودها ماهي الاّ نتيجة طبيعية لتخاذل وضعف القيادة والانقسام الدائمي في رأيها. ان القريبين منهما كانوا يعلمون بأن رئيس الحزب ليس من اولئك الشديدي الاعتزاز والتمسك برأيه في المسائل العامة. وانه كان عادة ينزل عند رأي الاغلبية. وانه عندما تتحد كلمة تلك القيادة على امر ونادراً ماكان ذلك، لم يؤثر عنه انه استخدم حق الرفض (الفيتو) على قرارات الاغلبية او استقل بتنفيذ امر مضاد للقيادة عندما تصر

وتتصلب. وقد حصل ذلك اكثر من مرة منها نزوله عند اجماع المكتب السياسي على ضرورة ارسال ابنه ادريس الى بغداد في آخر محاولة لتفادي استئناف القتال بعد انتهاء اجل اتفاق الحادي عشر من تموز.

هەوالنامەی کتێب

الباب الثالث

بيان آذار 1970 ـ الاخطاء الكبيرة. 70 ـ 1974 ـ نكبة الحزب والثورة في الامتيازات الشخصية والمناصب ـ استغلال النفوذ والتجارة والتهريب ـ التسيب في التنظيم والضبط الحزبي ـ انهيار الروح المعنوية

قام السوفييت بدور رئيس في انهاء حالة القتال والمباشرة بالمفاوضات التي ختمت باتفاق 11 آذار [1] رغم تبرم ايران ونصحها بالتريث. على اية كانت فرصة لم تتح من قبل للنضال الكردي في العراق وفي اي مكان آخر او زمان. وهنا ايضاً لم يحسن استغلال الفرصة ونزلت القيادة ورئيس الحزب امام شروط مائعة غامضة أخرى كانت هذه المرة قاتلة. نزل امام حكم كان يتلهف الى فترة هدوء يتفرغ خلالها الى توطيد كيانه والتخلص من خصومه الى الحد الذي الجأه الى ابتلاع ماتقياه في الماضي عن طريق نشراته وادبياته حول القضية الكردية والثورة الكردية. فخرج بفلسفة جديدة هدفها التقرب من الثورة وفتح حوار معها يؤمن له فترة من الاستجمام ويحمي ظهره مستفيداً من تجربته السابقة مع الثورة ومن تجارب الحكومات التي سبقته. وهذه اسباب ودوافع لايمكن انتقاده عليها من الوجهة السياسية الصرفة. حكم جديد مزعزع يريد لنفسه البقاء والدوام بأي ثمن كان وله عذره في هذا ولكن ما العذر الذي يمكن ان

1 ـ للمزيد من التفصيل راجع الفصل الرابع المضاف.

نتلمسه لقيادة الثورة والحزب وانْ لم تدرك هذه الحقيقة؟ ان الاغلبية الساحقة من هذه القيادة كانت في الواقع اكثر لهفة من الحكم الجديد الى الدخول في المفاوضات الخامسة للوصول الى حالة سلم مهما كان شكلها لاسباب لاتمت بكثير الى المصلحة العامة.

(1) كان بين القادة والبارزين في الحزب والثورة اناس يمكن ان يطلق عليهم اصطلاح (صيادي الحظوظ). وصوليون انتهازيون في الباطن من ادعياء اليسار والاشتراكية في الظاهر. وجدوا في وساطة الاتحاد السوفييتي لانهاء حالة القتال رفعاً من قدر الثورة ونوعاً من الاهتمام بها. لقد الف هؤلاء فيما بينهم نوعاً من الجدار الواقي وماهو شبيه بالجبهة أثرت كثيراً على آراء فريق من المتذبذبين والامعات والذين لارأي لهم لاجل لفلفة المفاوضات واختصارها والتساهل في اهم مطاليبها بشكل يدعو الى الاسف.

(2) فريق من اعضاء القيادة كان يرى ان نهاية الصراع المسلح يعني فوز افراده بمراكز حكومية رفيعة او انتقالهم الى حياة ناعمة مرفهة محاطة بالرعاية والاحترام. ولذلك كان ينزل اهداف الثورة المنزلة الثانية في برنامجه.

(3) فريق ثالث اتعبته حالة الحرب واضجره شظف العيش والحرمان ففقد صبره وحماسته الوطنية الى الحد الذي صار معه لايتورع عن المجاهرة بارائه الانهزامية. فيقول (وكنت تسمع امثال هذا القول اينما توجهت انذاك) "ان هذه الحرب لن تكون لها نهاية. فالجيش الثوري الكردستاني لايمكنه دفع القوات النظامية وقتالها في السهول مثلما لاتقوى تلك القوات على اقتحام المعاقل الجبلية وقتال البشمركة فيها وقهرهم وان الدماء ستظل تسيل والارواح تزهق من الطرفين الى ان تصبح ارض كردستان خراباً بون نتيجة.

(4) فريق آخر كان يقنع انحداريته بقناع الوطنية والحرص على المصلحة القومية فيقول ان استمرار هذه الحرب لايخدم غير مصلحة الاجنبي الذي يدأب الآن على امدادنا بالسلاح والمال خدمة لاهدافه السياسية البعيدة منها والقريبة وان الحزب والثورة اذا واصلا القتال ولم يبحثا عن حل سلمي - فسيفدوان بالاخير لااكثر من صنيعة للاجنبي والعوبة في يده ومجرد اداة تنفذ مخططاته. ومن الخير والموافق للمصلحة الوطنية الاتفاق مع بغداد كيفما كان للخلاص من هذه الورطة وان تضمن الاتفاق بعض التنازلات.

في اثناء ذلك التقارب كان الفريق المنشق (القيادة المدنية للعام 1964) في وضع لايحسد عليه فقد بنت كيانها الحالي على العداء بين نظام الحكم وبين الثورة الكردية. ونظام الحكم الان

يمد يد المصافحة للثورة.

هؤلاء الفرقاء الاربعة على اختلاف نوافعهم وغاياتهم يتفقون في نقطة واحدة وهي انهاء القتال ولو تم ذلك بالحد الادنى من الحقوق والمطالب.

لكن ماهو هذا الحد الادنى؟

لم يكن في مقدور احد تحديده آنذاك وكان الجميع ينتظرون من الطرف الحكومي ذلك التحديد. وهكذا فعندما شرع بالمفاوضات في (ناوبردان) ثم انتقلت الى (بغداد) اصبح واضحاً للقريبين بان هذا الحد ينطوي على تنازلات بلغت حد التضحية بأقدس واهم مباديء الحزب والثورة كما سنرى بعد قليل. إنّ هؤلاء الفرقاء الذين اتينا الى ذكرهم لم يعيروا اذناً صاغية الى اصوات كانت تلح خارج قاعة المفاوضات على وجوب التمسك بمباديء وشعارات الحزب وجعلها مرشداً واساساً للمفاوضات وعدم التنازل عن الحقوق الاساسية لانها تتعلق بالشعب كافة. وهي وديعة وامانة في يد المفاوضين الكرد وليس بجائز التخويل او التوكيل على التنازل عنها جزءً او كلاً.

لم يكن رئيس الحزب خريج مدرسة قانون ولا مفروضاً فيه ان يكون واقفاً على تفاصيل انماط (الحكم الذاتي "اتونومي") ولا دقائقه القانونية. لكنه كان يعرف مثلاً ان (كركوك) هي مدينة كردية وانها يجب ان تكون ضمن منطقة الحكم الذاتي. وعندما اعترض احد اعضاء الوفد الحكومي على القول زاعماً انها عربية. نهض رئيس الحزب مغضباً وترك القاعة معلنا قطع المفاوضات.[2] كان قصد البارزاني بهذه الحركة المتعمدة هو ضرب مثل للتصلب واختطاط اسلوب تعامل للمفاوضين الكرد ووضعهم على طريق واضح. لم يتلق الاخوان المفاوضون هذا الدرس واعتبروا غضب البارزاني فورة دم وقتية او حركة تمثيلية القصد منها التأثير على نفسية المفاوضين ليس غير. لكن عندما انتقلت المداولات من دائرة المجاملات واظهار العواطف الى لب المسالة بدء المفاوضون الاكراد يتسابقون في ابداء التنازلات والترضيات.[3]

لابد ان يطلع الشعب الكردي والعراقي يوماً ما على تفاصيل المأساة السياسية التي بدأت

2ـ راجع الفصل الرابع المضاف للمزيد من التفاصيل.

3ـ تبودلت عبارات مجاملات جوفاء رخيصة اثناء ذلك بلغت أحياناً مبلغ التذلل والاستعطاف والمداهنة والملق وبدا الوفد من خلالها اشبه بالفقير الذي يمدّ يده للصدقة. فمثلاً أجد في الصحيفة (18) من تقرير (دارا) المشار= =

في (ناوپردان) وانتهت في (بغداد). ولن يقوا اولئك الذين شاركوا فيها من احيائهم على ان يتكاتموا سرها الى الابد مهما اختلفت سبلهم النضالية ومهما اخفوا انفسهم. لابد سترتفع اصوات اتهام ملحة من كردستان مطالبة بازاحة الستار عن التفاصيل والوقائع التي رافقت تلك المفاوضات. وهنا ليس بمقدورنا ان نبسط غير القليل وهو في رأينا كاف لتقدير تأثير ماجرى على النهاية المأساوية التي آلت اليها ثورة الشعب الكردي الكبرى في العراق.

لم تجر المفاوضات وفق الاصول المتبعة اعني ضبط المحاضر. وكانت أشبه بمجلس عشائري (عربي كردي) حافل بكثير من عبارات الود والمجاملة والمزاح وتبادل النكات تدار خلاله اقداح القهوة والشاي بعدها ينتقل الجميع الى قاعة الطعام وقد حفظ كل دوره التالي. لم يكترث أحد بتدوين الوقائع بدقائقها (ربما وجد من سجل ملاحظات خاصة) والطرف الحكومي كان طبعاً يحبذ هذا الاسلوب ويتهرب من ضبط المحاضر لانه لايريد ان ينزل هذه المفاوضات منزلة ما في التأريخ الوثائقي العراقي خوفاً من استخدامها يوماً ما حجةً عليه ولان عدم ضبط الوقائع يبقي النتائج المبهمة غامضة قابلة التفسير بحسب المزاج ويكتم سر لاعبي الادوار غير المشرفة في مراحل المفاوضة.

من مباديء الحزب الديمقراطي الكردستاني المسطرة في منهاجه، انه يُوجب العمل على اعادة الحياة الديمقراطية بشكلها البرلماني على نطاق القطر العراقي لأنه الضمان الحقيقي لتمتع كردستان العراقية بحكم ذاتي صحيح". لكن اعضاء الوفد الحكومي رفضوا سماع ايّ

اليه سابقاً قولاً معزواً لمحمد محمود عبدالرحمن هذا نصّه:

"اذا نجحنا في حلّ القضية الكردية على اساس تحالف حزبينا وتلاحم القومية العربيّة والقومية الكردية وعلى اساس اقامة شخصية كردية (بديلاً للقول: حكم ذاتي) ضمن الجمهورية العراقية اعتماداً على سخاء حزب البعث العربي الاشتراكي وتواضع مطالبينا، فسيؤدي ذلك الى تلاقي الامّة العربيّة والامّة الكردية على ارفع المستويات، وذلك كفيل بتغيير المعادلة السياسيّة في الشرق الاوسط وبقلب ميزان القوى وتحقيق اهداف الامتين الصديقتين ولن تكون هناك قوة تستطيع غمط حقوقهما او حق اية منهما".

انتن فالأمر والحالة هذه معقود بسخاء حزب البعث وكرمه ازاء المطالب الكرديّة المتواضعة.

قال لي احد اعضاء اللجنة المركزية، واشهد انه لم يكن صديقاً لصاحب القول وارجحّ انه كان مفرضاً (فسامي) كما عرفته عاطفي المزاج الى حدّ يفقد احياناً كل حذّر في التعبير عن رأيه. قال لي ان (سامي) كان يقصد من هذا التذلل القولي أمرين اولهما التعجيل باصدار العفو عن عقوبة الحبس المؤبد التي فرضها عليه المجلس العرفي العسكري في الموصل بتهمة اعتباطيّة وثانياً. لتأمين كرسي وزاري بعد الاتفاق (وقد تمّ له الأمران).

اقتراح حول ما يدعى بالانتخابات العامة معللين ذلك بأنهم لم يصلوا الى الحكم بهذا الاسلوب وانما عن طريق ثورة (انقلاب) اطاحت بحكم رجعي عميل فاذا هم سمحوا بانتخابات عامة فأنهم لن يفعلوا اكثر من تسليمهم الحكم طواعية الى الفئات الرجعية والعميلة التي اطاحوا بها بالقوة ويعد المخاطرة بأرواحهم. فأسرع المفاوض الكردي بالموافقة على هذا المنطق وطوي الاقتراع مثلما نُشر واعتذر عنه بقوله ان هذا المبدء في الحقيقة لم يدخل منهاج الحزب الاّ لاغراض تاكتيكية ولاسباب مرحلية وان الحزب البارتي هو كحزب البعث ثوري بالاصل لايؤمن بالديمقراطية الليبرالية وبانتخاباتها. هذا التخريج في الواقع كان عجيباً فجميع الدول ذات الانظمة الديمقراطية يسارية ام يمينية تقدمية او تأخرية اشتراكية او رأسمالية ـ ان لم تكن شعوبها تمارس حق الانتخاب بشكل صحيح فأن دساتيرها نصت على هذا الحق. حتى ان الدول (العقاندية ـ ان صح هذا التعبير) اعتبرته جزء لايتجزء من حرية شعوبها المقدسة. لكن حكام بغداد قالوا للمفاوضين الكرد انها (ديمقراطية لبرالية) وما كانت حالة المفاوضين الكرد لتسمح لهم بالقول (لا). وهكذا اسقط شعار (الحكم الذاتي لكردستان والديمقراطية للعراق) بثلاث كلمات.

ثم توالت التنازلات المبدئية. كان من منهاج الحزب العمل على انهاء مشكلة جنسيات الكرد الفيليين المستحقين بالولادة او الاستيطان وبحكم القانون السائد. فطرحت مسألتهم هذه فأجاب الوفد الحكومي (القضية بسيطة جداً لاتحتاج الى ادخالها في جدول الاعمال. فليقدم الحزب قوائم باسماء المستحقين للجنسية الى وزير الداخلية ليصدر بها قرارات متتابعة ولن ترفض اية حالة مستوفية الشرائط القانونية). وقنع الوفد الكرد بهذا الوعد فنُصح من الخارج بان الاقتراح الحكومي المطروح خال من ضمان قانوني او تعهد واذا كان الوفد جاداً في حل مشكلة عشرات الالوف من الاخوان الفيليين فليقم بتعديل القانون بحيث يجعل الحكم الاخير بمنح الجنسية او انكاره بيد سلطة قضائية. لاسيما وان هناك تجربة سابقة مماثلة لم تتعظ بها فأن مثل هذا الحل او الوعد اعطاه لنا وزير داخلية الرابع عشر من تموز 1958 ونكل عنه بعد بضعة ايام.[4]

4ـ كان هذا تخريجي الخاصّ. أحيانا كان محمود عثمان وسامي يختلفان معاً الي مساءً بعد الاجتماع بالوفد الحكومي ويشركاني ببعض مادار. وانكر اني هيّأت لهما هذا الاقتراح كتابةً بصياغة المادة التي يجب تعديلها، والمادة الاضافية الملحقة بها وقد اخذاها ولاادري ماذا تم بعدها.

وبعد اقل من سنتين لاعلان بيان 11 آذار تمّ طرد ثمانين ألف مواطن كردي فيلي عراقي من البلاد شر طردة وصودرت ممتلكاتهم التي قدرت بأكثر من اربعين مليون دينار وكانت لطخة عار في جبين الحزب الذي تبنى مشكلتهم من الاول وضمن عليهم بالمساعدة الاخوية وهو في اوج قوته. عندما بدأت قوافل المطرودين المحملين باللوريات تجتاز الحدود لم تقدم القيادة احتجاجاً عملياً ولم تنظم مظاهرات ولم تهدد بشيء ما .. أجل، ظهر مقال شديد اللهجة في جريدة الحزب يندد بعمل الحكومة.. بعد ان اجتاز آخر كردي منهم الحدود فبدأ هذا المقال وكأنه مرثية تتلى على قبر ميت.

وضع لتنفيذ بنود بيان آذار أمد قدره أربع سنوات. لماذا هذه السنوات الاربع؟ في غضون فترة زمنية أقل من هذه نجحت ثلاثة انقلابات في الاستيلاء على الحكم في العراق. ماالذي كان يمنع من وضع صيغة قانونية للحكم الذاتي تعلن مع الاتفاقية؟ قالوا في تعليل ذلك أنّ هناك نقاطاً لم يتفق فيها بعد وستترك للقاءات واجراءات ومداولات فرعية تالية. لكن ظهر قبل انتهاء مفاوضات آذار وبعدها ان النقاط الفرعية المشار اليها انما هي في الواقع نقاط جوهرية. انها العمود الفقري في الحكم الذاتي فكيف غفلت القيادة عن ذلك؟ كيف اعتبرتها نقاطاً تفصيلية وفرعية؟ هل اغفلت؟ كلا إنها لم تكن بمثل هذا الغلفة السياسية. لكنها كانت تخشى ان هي أصرت على حسم هذه النقاط ان تبلغ المفاوضات طريقاً مسدوداً ومن دون ان تضع في تقديرها الاسباب والضرورات التي دعت الحكم الجديد الى تغيير جوهري في خط سيره ومبادئه لاجل الحصول على فترة زمنية يلتقط بها انفاسه ويثبت اقدامه. ان اية مفاوضات من هذا النوع تجري في مثل هذه الظروف هي بمثابة امتحان دقيق لمتانة الاعصاب والامانة والحرص على المصلحة الوطنية فضلاً عن كونها محكاً للبراعة والحنكة السياسية والذكاء وحسن انتهاز الفرص.

من النقاط التي ارجيء بحثها مسألة مدينة (كركوك) وضواحيها. ان هذه المنطقة هي من اغنى المناطق النفطية في البلاد ومع ان الحكم الذاتي المنشود لم يتعرض مطلقاً الى سيادة الحكومة المركزية عليها سياسياً او اقتصادياً او اجتماعياً شأنها في ذلك شأن اية بقعة تقع ضمن اطار الحكم الذاتي. الاّ ان استبعادها من خارطته ولو كان اسمياً سيعد فشلاً معنوياً كبيراً للثورة وحرمان عشرات الالوف من حقوقهم القومية. بدء النقاش حول هذه النقطة وكان الجو المشحون ينذر بالقطيعة وانهاء المفاوضات لكن ذهن التوفيقيين والحريصين على

مصالحهم في القيادة استطاع انقاذ الموقف وحمل الباقين على الموافقة على شطب المسألة مؤقتاً من جدول الاعمال (ان وجد) وتأجيل البحث فيها الى حين اجراء احصاء قومي عام لسكان العراق وتحديد منطقة الحكم الذاتي على ضوئه.

ان اصواتاً من الداخل والخارج حذرت القيادة من مغبة ذلك. لكن الامر كان قد فرط لانّ القيادة اتفقت فيما بينها واقنعت البارزاني بوجهة نظرها ذلك الذي جابه الوفد الحكومي في (ناوبردان بقولته المشهورة) "لو بقي في كركوك كرديان فقط فانها كردية" مشيراً طبعاً الى ان الحكم في بغداد قد يعمد الى تزوير الاحصاء او التهجير او الاستيطان القومي في المدينة لتغيير معالمها السكانية والقضاء على الاكثرية الكردية فيها. واجل البحث كذلك بالنسبة الى خانقين ومنطقة (سنجار) المركز الرئيس لطائفة اليزيدية الذين يعتبرون اثنوغرافياً أنقى العناصر الكردية وكلتاهما منطقة نفطية.

بعد اعلان بيان 11 آذار وسط تهريج وعواطف لامعنى لها في بغداد انصب اهتمام القيادة على توزيع المناصب والمغانم ومن بينها الوظائف الرسمية التي خصصتها السلطة المركزية لاعضاء القيادة والبارزين في الثورة وعلى خاصتهم واقربائهم واعوانهم دونما مراعاة للقابليات والكفاءات. وبدت تلكم المناصب فهي اشبه بالعطايا والهبات التي ارتقت الى مرتبة الرشاوى لقد فسرت عبارة المشاركة في الحكم الواردة في بيان آذار بمعنى تخصيص نسبة معينة من المراكز الحكومية الادارية والتنفيذية للجانب الكردي. واناطت السلطة برئيس الحزب وقيادته امر توزيعها مع احتفاظها بحق التغيير او التبديل. كانت القيادة ترشح الاسماء للمناصب المختلفة وتعرضها على البارزاني الذي لم يتدخل والحق يقال مطلقاً (الاّ حين يتنازع اثنان من القيادة منصباً ما فيتدخل ليفصل في الامر كما يعرف الكاتب نفسه انه تدخل في حالتين او ثلاثة ارغم عليها ارغاماً). على ان هذه المناصب في الواقع لم تكن تعني شيئاً كثيراً اذ لم يكن لاصحابها من سلطة خلا الاسم والمظهر لان كلاً من السلطتين الاشتراعية والتنفيذية الفعليّة كانتا محتكرتين للحزب الحاكم الذي أبى من الاول ان يسمع اي نقاش حول مشاركة الجانب الكردي فيهما.

حمل الوفد الحكومي في طريقه الى (ناوبردان) هدايا شخصية للرئيس وولديه ولكل عضو في المكتب السياسي وعضو في الوفد الكردي المفاوض تتضمن حلياً لنسائهم واقمشة ومبالغ مالية فلم ترفض وكانت على تفاهتها بداية مشؤومة لتبرير قبول هدايا وعطايا من نوع آخر.

اننا نعلم بأن هذه الهدايا انما قبلت على سبيل المجاملة ولم ترفض خشية ان يؤدي رفضها الى نفرة ويخلف أثراً معكوساً اذ لم يكن احد في حاجة اليها الا ان صدى قبول تلك الهدايا في ذلك الوقت المعين بالذات ولان المفاوضات كانت تجري في جو من السرية خلف انطباعاً سلبياً لدى جماهير الشعب الكردي.

عند المباشرة بتوزيع المناصب الكبيرة نشبت صراعات عنيفة غريبة داخل القيادة بسبب التنافس عليها سرعان ماانقلبت الى نوع من المهاترات الصبيانية ونشر الغسيل القذر على اشجار (ناوبردان) اذ اخذ المتنافسون على المناصب يتبادلون السباب والشتائم وينبش احدهم ماضي الآخر ويظهر جرائمه وعيوبه السابقة. وفي غمرة من الحرص والخوف على (مستقبلهم) كانوا يطرقون ابواب الرئيس او يوسطون اقرباءه ونوي الحظوة لديه لتزكيتهم لهذا المنصب او ذاك. كما فعل مثلاً احد اعضاء اللجنة المركزية معلم الابتدائية السابق الذي وجد ان منصب المدير العام الذي عين فيه أصغر من ان يناسبه ولم يقبل بأقل من منصب محافظ..

مع ذلك كله بقيت الكلمة الاخيرة في التعيينات طبعاً للسلطة المركزية التي كانت ترتاح عند ترشيح شخصية ضعيفة. وتسرع بالموافقة ان رشح صديق لها او مهادن وتتصلب وترفض عندما تحكم الصدف ان يرشح شخص قوي الخلق والارادة مخلص كفوء. والقيادة التي كان مفروضاً فيها ان تقف موقفاً صلباً من الاسماء التي تقدمها احتراماً لنفسها وللمهمة التي انيطت بها والجهة التي تمثلها ـ وافقت على ان تتقدم باكثر من اسمين للمنصب الواحد تاركة للسلطة حق الاختيار. وكثيراً ماكانت تعاد هذه القوائم مرفوضة ويطلب منها ترشيح اسماء جديدة.

بلغ تحكم السلطة في هذا الباب حد التدخل في التعيينات الحزبية الصرفة والى ابعد من الاختصاص الحكومي حداً لايمكن اغفال تخاذل القيادة المخزي ازاءه. لقد اختارت اللجنة المركزية ومكتبها السياسي بموافقة رئيس الحزب والثورة شخصاً لرئاسة تحرير جريدة الحزب في بغداد. الاّ ان السلطة رغم نص بيان آذار رفضت منح امتياز الجريدة وصدورها حاملة اسم ذلك الشخص متعللة بنفس الاسباب التي لم تمنعها من تعيين احد اعضاء قيادتنا لمنصب وزير. فلم يبدر من هذه القيادة بادرة اعتراض ونزلت عند رغبة السلطة واقنعت رئيس الحزب بتدبير غريب للتخلص من الورطة وعدم اغضاب الحكم وهو ان يزاول الشخص المرفوض مسؤوليات رئاسة التحرير الفعلية وان يعين رئيس تحرير (رسمي) آخر. وكانت النتيجة ان

ضاعت المسؤولية في اخطر واهم أداة تعبيرية وتوجيهية للحزب والثورة. وبعد بضعة أشهر من صدورها بهذا الشكل المهين تبين للقيادة (رغم المكانة العظيمة والاحترام العميق اللذين حظيت بهما في افئدة المواطنين العراقيين كافة) انها لاتسير بانسجام مع الخط الذي تنتهجه هي نفسها مع السلطة الحاكمة (سياسة التساوم والخنوع) ووجدت ان السلطة الحاكمة تضيق ذرعاً باسلوب الجريدة وكانت النتيجة ان راح رئيس تحريرها (المرفوض اسماً) ضحية واحد من العديد من التآمر الداخلي ضمن قيادة الحزب. واقيل ليحل محله مهندس مدني لايحسن كتابة مقال صغير واحد ولم يسبق له ممارسة في العمل الصحافي. الا انه يمتاز بصفة بارزة وهي علاقته الحميمة بالسلطة الحاكمة وتزعمه للجناح الذي يدعو الى اتباع سياسة الترضية والتساهل مع السلطة الحاكمة داخل القيادة مهما كان الثمن المدفوع. وهكذا مالبثت الجريدة (اخطر اداة تعبير سياسية للحزب واعظم رسول حر للشعب العراقي) الى بوق دعائية تسبح بحمد السلطة الحاكمة وتمجد بالاتحاد السوفييتي واشتراكيته متنكرة لمباديء الحزب الديمقراطية وشعاراته الوطنية. لقد تمت تصفية جماعة المحررين الحزبيين والعاملين في الجريدة تباعاً وجيء اليها بمحررين من اعضاء الحزب الشيوعي أو من اصدقاء حزب السلطة[4].

كانت سياسة المهادنة والتسكين - تحت غطاء جدوى الحوار السياسي مع السلطة - الاسلوب الغالب في مجال تطبيق بيان آذار الذي اختارته القيادة بعد انتقالها الى بغداد. أطلقت هذه القيادة العنان لبعض اعضاء الحزب الجانحين الى التحكم والسلطان فاتوا باعمال مخجلة تقع تحت طائلة القانون والحق يقال. ومن جهة أخرى اعطت التنازلات الكبيرة تحت شعار تحاشي الاصطدام مع السلطة في الامور الثانوية والتصلب في الامور الخطيرة. فوفر للسلطة الحاكمة في الحالة الاولى الحجة لاستخدام العنف ومطاردة اعضاء الحزب بدون تفريق اوتمييز بين الطيب والخبيث. وتحت زعم وقوع جرائم وخرق للقانون هوجم أكثر من مقر للحزب هجوماً استخدمت فيه القوات النظامية وضرب بعضها بالقذائف.

يمكن القول ان السلطة نجحت ايما نجاح في الاختبار النفسي الذي أخضعت قيادة الحزب والثورة له. فمن جملة الرشاوى التي قدمتها السلطة للقيادة انها اعفت السيارات الخاصة التي يستوردها اعضاء اللجنة المركزية من الرسوم الكمركية. فتسابق بعضهم على

4 - راجع الفصل الخامس المضاف للمزيد من التفاصيل.

الشراء ثم البيع مستفيدين من فرق السعر الكبير. وباع احد الوزراء عضو المكتب السياسي سيارته هذه واشترى بثمنها بيتاً. كان ذلك اوسع من ان يكتم عن قواعد الحزب وعندما اضطرت القيادة الى معالجة الموقف واتخاذ قرار لوقف هذا التهافت انبرى احد اعضائها يطلب تأجيل العمل بالقرار الى حين اكمال معاملة سيارته الواردة من الخارج.

أزف موعد البدء بتنفيذ بنود بيان آذار بخصوص مستقبل الحكم الذاتي في كردستان ولاح الخلاف عميقاً وبدأ شبح الحرب المرعب امام القيادة التي أصابت كل ماتمناه اعضاؤها من مغانم سواء في ذلك اولئك المستفيدون من حالة السلم فوائد غير مشروعة او اولئك الذين اتكاؤا باسترخاء على كراسي مناصبهم الكبيرة. رشح رئيسُ الحزب سكرتيرَه العام لمنصب نيابة رئاسة الجمهورية بمقتضى نص بيان آذار الذي يقضي بأن يكون احد نواب رئيس الجمهورية كردياً. وفي هذه القيادة الذي كان التنافر والتباغض والتحاسد بين اعضائها سراً مفضوحاً ـ لم يكن احد يكن وداً للرجل الثاني في الحزب الذي اعتبر دخيلاً جيء به الى هذا المنصب الرفيع (سخرة) كما كان هو نفسه يصرح به مازحاً. لذلك كان رفض السلطة تعيينه لان (اباه عراقي بالتجنس) مصدر راحة وسرور لكثير من اعضاء القيادة. على ان رئيس الحزب ابى ترشيح غيره رغم محاولة السلطة (رشوته) هو الآخر باقتراحها عليه تعيين ابنه (ادريس) للمنصب. كانت الحجة التي استند اليها حكم بغداد في رفض تعيين السكرتير العام هي عين الحجة التي لم تمنع ذلك الحكم من ان يضّم اعلى جهاز (وهو مجلس قيادة الثورة) عضوين من اصلٍ كردي. فلم يعترض أحد من القيادة على الرفض.

بعد شهرين ونيف من التهيؤ للاحصاء القومي العام الذي كان سيقرر حدود منطقة الحكم الذاتي. فوجيء الرأي العام الكردي بتأجيله الى اشعار آخر (بسبق اتفاق بين القيادة والسلطة). لم ينشر تعليل واضح مقبول حول هذا التأجيل لكن شاع في الاوساط الحزبية (بوحي من القيادة طبعاً) ان هذا التأجيل هو من مصلحة الجانب الكردي الذي ستتوفر له امكانية الاستعداد للاحصاء بعد عودة النازحين بسبب الحرب الى مناطقهم وبذلك تؤمن الاكثرية العددية. ليس ثم تشويه للحقيقة اعظم من هذا. فالنازحون على فرض وجودهم ليسوا غير قلة لاتغير في الميزان السكاني شيئاً والاكثرية كانت مضمونة في كل زمان ومكان قبل الاجراءات الحكومية التي شرعت بها الحكومة قبل التأجيل وبعده. كان يجب القيام بالاحصاء حالاً لاسيما وان السلطة كانت خلال الاسابيع القلائل التي تلت اعلان البيان تخشى (تحريك

الماء) واثارة نزاع جدي حول اسس القضية قد يؤدي الى القطيعة واستئناف القتال وهي بعد لم تكمل استعدادها للخطوة الثانية من المخطط الذي رسمته للقضاء على ثورة الشعب الكردي او تصفيتها فكرياً بعد ان فشلت محاولات القضاء عليها عسكرياً.

بعد التأجيل مباشرة واصلت السلطة في تغيير المعالم السكانية للمناطق المختلف عليها ولاسيما مدينة (كركوك) بنشاط مضاعف فراحت تغير أسماء الشوارع وتضع لها اسماء عربية واخذت تعمل جادة وفي وضح النهار لتغيير المعالم العرقية للمدينة وضواحيها وصارت تنقل أسر افراد الجيش والشرطة المقيمين بحكم وظائفهم اليها مهيئة لها كل اسباب الاستقرار كمنحهم الهبات المالية والاراضي والمساكن. واغرت الوفاً من عرب الجنوب بالنزوح والسكنى داخل المدينة وفي اطرافها مستخدمة عين الوسائل[5]. وبمقابل ذلك شنت في عين الوقت حملة ارهاب عنيفة على كرد المدينة واحيت نعرات وحزازات قديمة بينهم وبين تركمانهم وكردهم وراحت تطارد اعضاء الحزب النشطين. وتعرض مقر الحزب فيها الى محاولات نسف وتخريب واغتيال افراد من لجنته المحلية فهرب جل الاعضاء خوفاً من تعقيب السلطة او بناء على طلب المقر العام ووقع فريق في يد السلطة فقتل بعضهم وشوه بعضهم الآخر عقلياً وجسدياً. واضطر الحزب بعد سنة واحدة من اعلان بيان آذار الى اغلاق فرعه في الموصل وكركوك وخانقين وبعض المدن والقصبات الاخرى.

على ان الخطر العسكري والهجوم النظامي المسلح الذي تعرض له مقر الحزب في الموصل كان بعد البيان بأشهر قليلة. وفي خانقين شنت الحملة العسكرية على مقر الحزب بعد شهرين ونيف اذ القي الحصار على المقر والجيء اعضاء لجنته المحلية على الهروب او الاختفاء. وتصاعدت حركة اضطهاد اعضاء الحزب وانصاره بشكل غير مفهوم قط. ولم تكن احتجاجات القيادة في بغداد على ايٍّ مستوى من الجدية والقوة. كان اعضاء القيادة الذين يتسنمون مناصب رفيعة يتحدثون فيما بينهم عن اندفاعات طائشة وتهور ويشكون من التحرشات بالسلطة التي يقدم عليها اعضاء الحزب غافلين عن ان السبب في ذلك - ان وجد - يعود الى التسيب وفقدان الانضباط الحزبي والقيادة هي المسؤولة عن ذلك بالدرجة الاولى. لقد انفرط عقد القيادة بسبب المناصب التي تقلدوها والمهمات التي انيطت بهم وتوزعوا في رقعة واسعة تمتد من جنوب بغداد حتى اقصى الشمال ومن شرقه الى غربه واضحت الاجتماعات الحزبية

5 - الفصل السادس المضاف للمزيد من التفاصيل.

والسياسية قلقة عسيرة حتى تبلورت قيادتان واحدة في بغداد وتتألف من بعض اعضاء اللجنة المركزية ومكتبها السياسي من ذوي المناصب والمسؤوليات وثانية في (ناوبردان). واخذت مقررات مضادة تصدر وغدا الاختلاف في وجهات نظر القيادتين واضحاً وتباعدت افكارهما وكانت الاجتماعات القليلة التي يلتقيان خلالها في المنطقة الكردية بحضور رئيس الحزب او بدونه موقوفة في الغالب على مسألة اسلوب التعامل مع السلطة. ونادراً ماتطرق البحث عن وضع الحزب واعضائه ولو بصورة عامة.

المنصف الذي يكتب للتاريخ ليس بامكانه لوم الحكم في العراق على اسلوب تعامله مع قيادة الحزب. فانه ماتوقعه منها كان يختلف تماماً عما وجده.

توقع ان يجد تماسكاً فوجد تفككا. توقع ان يجد اتحاداً في الرأى فوجد انشقاقاً فكرياً توقع صلابة فوجد لينا وتسامحاً يصل حد التفريط بالحقوق. توقع الحكم ان يجد اخلاصاً للمبادىء وتحمساً لها فوجد تخاذلاً وتنكراً للعقيدة. توقع ان يجد تعففاً فوجد تسابقاً لنيل الرضا. فضلاً عن هذا كله ليس ثم دولة ذات سيادة مهما كان شكلها وكيفية مجيئها للحكم تستطيع ان تعايش سلطة منافسة لها في الداخل. فالقانون قانونها تطبقه بحسب تفسيرها له ومادامت حرصت على حصر السلطة في يدها وابت النزول ولو عن جزء قليل منها. او بكلمة أخرى مادام مفهوم الحكم الذاتي الذي كان سيمنح للمنطقة الكردية غامضاً لم تتقرر حدوده فالكلمة الاخيرة للسلطة المركزية طبعاً وليس في امكانها ان تسمح لهيئة او فرد ينازعها السلطان ومن باب أولى لاتستطيع السكوت عن التعديات والتجاوزات اللاقانونية التي يجترحها بعض المنتسبين الى الحزب والثورة باسم الحزب والثورة. كان على القيادة ان تتدخل لوقف هذه التجاوزات بنفس الصرامة التي كان عليها ان تتدخل لوقف تعديات الحزب الحاكم باسم السلطة. الا انها ظلت مكتوفة اليدين في الحالتين. احياناً كانت تخرج اصوات هامسة حول مرتكبي الجرائم من معسكر الثورة خلاصتها انهم من المقربين الى رئيس الحزب وانه يبسط عليهم حمايته. ان صحت هذه المقولة واذا قبلنا بها فاية حجة يمكن ان تقدمها القيادة لاغفالها واحداً من اهم مباديء الحزب ومقوماته ومصادر قوته في الماضي وهو مبدء النقد الذاتي العلني لسياسة الحزب العامة ولتصرفات الاعضاء صغارهم وكبارهم وتطبيق العقوبات الانضباطية بحقهم. لقد قمع النقد العلني لتصرفات الاعضاء القياديين الخاصة منها والحزبية. ولم تعد المحاكمات الحزبية الانضباطية السرية وبغياب المتهم (عادة) على ندورتها

تستخدم الاّ لفرض العقوبات على الاعضاء المخلصين او غير المرغوب فيهم او التي ترى تلك القيادة انهم يهددون علاقاتها مع السلطة.

ان هذا التفسخ القيادي يعود الى اسباب كثيرة يمكن حصر بعضها بما يلي:-

1ـ اصبحت فروع الحزب مجرد نواد او مقاه يغشاها الاعضاء مع اصدقائهم وخلانهم واقربائهم لا لسماع محاضرات او خطب ولا للتثقيف الحزبي وانما لشرب الشاي وقضاء الحاجات الخاصة وتمشية المعاملات الشخصية الموقوفة في دوائر الدولة. واقتصر عمل لجان الفروع على ترويج تلك المطالب واضاعة الوقت في تعقيب تلك المعاملات. شكا لي يوماً عضو لجنة مركزية عين محافظاً. بانه هو ورئيس الفرع تسلما رسالة من جهة مقربة جداً من المقامات العليا في الثورة تطلب فيها تعبيد طريق بين قريتين في كردستان لتسهيل مرور موكب زفاف عروس احد اتباعه. اجل لم تعد مقرات الفروع مدارس سياسية ووطنية تعقد فيها الاجتماعات الحزبية والندوات العلمية وانما اصبحت مجرد فنادق وقاعات حفلات للمناسبات ومواعيد لقاء.

2 ـ بسبب تسنم الاعضاء القياديين المناصب العالية في العاصمة ومراكز المحافظات والاقضية الكردية ولصيرورتهم المراجع العليا الادارية ـ تحولت علاقة اعضاء الحزب بهم من علاقة ديمقراطية مبنية على المساواة والصراحة والروح الرفاقية الى صلة مصلحية انتهازية مبنية على الخضوع الذليل والخوف. عندما يجد عضو الحزب ان عضو مكتبه السياسي محافظ وعضو لجنته المركزية رئيس بلدية محافظته ومدير شرطتها احد البارزين في الحزب فانه ليس بحاجة الى اجهاد فكرة ليدرك ان ايّ نقد ذاتي للحزب بشخص هؤلاء او اي نقد سري او علني لتصرفاتهم عامة او لسلوك احدهم الخاص كأدمانه الخمر او المقامرة او سرقته الاموال العامة او اهماله الفاضح لواجباته الحزبية او الادارية سيجعله حتماً في قائمة المنبوذين المكروهين وسيحارب ضمن النطاق الحزبي والمعاشي او على الاقل يحرم من التقدم في المجالين. ان هذا العضو الحزبي لايكتفي بشراء سلامته وسلامة حاله بسكوته عن تصرفات قادته فحسب، بل هو يدرك ان شكل استقباله وضمان ترويج حاجته يتوقفان على حسن علاقته بذلك الكبير وان سكوته عنه قد يفيده في مساومته على مصلحة له. فلا بد انه سيكون يوماً بحاجة الى مراجعة واحد من هؤلاء (المسؤولين).

3 ـ انشغال اعضاء الحزب انفسهم ولاسيما الفريق المتقدم والكادر المتفرغ انشغالهم بالوظائف وبتصريف شؤون المراكز التي تبوأوها وبالكسب التجاري الذي كان ينتهي عند

بعضهم باستغلال النفوذ والاستيلاء على اموال الآخرين عنوة واقتداراً وبطرق غير مشروعة متخذين بيان آذار بمثابة فرصة سانحة قد لاتعود لاستدراك فَوْتِهم من الثراء وشمل هذا عدداً من قادة الثورة ومسؤوليها وبعض امراء الهيزات (الالوية) الذين اشتهروا قبلاً بالتفاني والاخلاص والبلاء الحسن. ومن خلال هذا التحلل الخلقي والتنكر للمباديء الثورية الذي نشر دخانه الاسود الكثيف على الضمائر نشطت اعمال التهريب في مختلف مناطق كردستان على طول ثلاثمائة كيلومتر ونيف من الحدود التي كان على قوات البشمركة حمايتها بعد ان تحولت هذه القوات الى حرس حدود بحكم القانون. وليت اعمال التهريب هذه اقتصرت على الممنوعات غير الضارة كالكساء وبعض المأكول والمفروش والوقود. اذ قد يلتمس العذر لهذا نظراً لما كانت تشكو كردستان من نقصان وحاجة الى هذه المواد. لم تعد اعمال التهريب قاصرة على هذا بل اتسعت رقعتها لتشمل السموم المخدرة القاتلة كالحشيش والهروين والافيون والكوكايين. لقد استفاد بعض القادة العسكريين والمسؤولين في الثورة من سيطرتهم المطلقة على الحدود بحكم رتبتهم العسكرية الجديدة. فشكلوا عصابات تهريب من محاربي الثورة وابطالها وتم الاتصال بعصابات التهريب الدولية لهذا الغرض فجرت خلال سنوات 1970 ـ 1973[6] عمليات تهريب للمخدرات بمبالغ خيالية. كان موقف السلطة المركزية من هذا في مبدء الامر موقفاً بدا فـ في العام 1970 اصدر مجلس قيادة الثورة في بغداد قانوناً لمكافحة الاتجار بالمخدرات وتعاطيها، يقضي بفرض عقوبة الموت على مهربيها والمتجرين بها على اثر تفشي عمليات نقل المخدرات عبر كردستان. وكان ثمّ شبكة دولية لتهريب المخدرات تتالف من عرب وكرد واجانب ذات صلات واسعة بمنتجين وتجار في القارتين، وقد بدأ اهتمام بعض قياديّ البشمركة في قيادة "لشكر يك اي الجيش الاول"، ببابينان بهذا النوع من النشاط ذي المدخول الكبير وحام الشك حول (عيسى سوار) آمر قاطع زاخو ـ عندما وُفق الى القاء القبض على زمرةٍ منهم في تشرين الأول 1970 وكان اذ ذاك قد عُيّن آمراً لحرس الحدود برتبة نقيب في الجيش، أبى اطلاق سراح افرادها إلاّ بعد افتداء انفسهم بمبلغ عشرة آلاف دينار (حوالي اربعين الف دولار) وقد تسلّم المبلغ الاّ انه صادر الحشيشة التي كانت قد ضبطت معهم وتزن مائة وثلاثين كيلو، وعن طريقهم اتصل بشبكة أخرى تعمل في الموصل، ونسق مع الجهتين لعمليات تالية، وفطن مسؤولو الفرع الأول للحزب لما يجري وبعد جمع المعلومات الكافية قدم الفرع بتاريخ 18 تشرين الاول (اكتوبر) تقريراً بذلك للمكتب السياسي، لكن لم يتخذ ايّ اجراء، وتواصلت عمليات التهريب لتنتهي بمأساة مريعة، ففي 11 من كانون الاول 1971 القت شرطة الكمارك في الموصل على خمسة من افراد البشمركة العائدين لهيز (زاخو) وهم ينقلون مازنته ثمانون كيلو من الحشيشة وهم لايدرون بطبيعة الحال حقيقة ماينقلونه ولمن، فأحيلوا الى محكمة الثورة ببغداد، وصدر الحكم عليهم بالاعدام. وفي تشرين الاوّل 1972 نفذ فيهم وسلّمت جثثهم الى ذويهم بمعرفة الفرع الأول.

للسذج موقفَ خائفٍ او متساهل متغاض يريد تفادي المجابهة مع القيادة ورئيس الحزب ولو على حساب السمعة والهيبة الحكومية بل على حساب السلامة العامة. الاّ ان هذا التغاضي الذي بدا كذلك. لم يكن يتناسب مع الصرامة القاسية التي عولجت بها الصراعات الفكرية بين الحزبين في المناطق الكردية الى حد المجابهة العسكرية بما في ذلك القصف الجوي والضرب بالمدفعية كما حصل في منطقتي سنجار وعقرة.

في كل هذا دلالة على ان الحكم كان يعمل على ان يفوض الحزب في حماة التحلل الخلقي والتفسخ الوجداني اكثر فاكثر ليسهل قهره وتمزيقه ان لم يكن عسكرياً فسياسياً. اذا كان للسلطة اسبابها هذه في الاغضاء عن هذه الجرائم الخطيرة فما هو عذر القيادة في السكوت عنها ولم تكن بخافية عن اي فرد منها وكثيراً ماكانوا يتهامسون بها فيما بينهم. اجل كانوا يروونها فيما بينهم همساً وربما تجرء بعضهم على استنكارها امام رئيس الحزب بشكل فردي فحسب. من الصعب تبرير ميوعة موقف القيادة من هذه الجرائم وعدم محاولة اتخاذ اجراء حدي من تلك الفضائح الاخلاقية والاعمال الجرمية كأصدار قرار بعزل المجرمين وطردهم او تجريدهم من سلطاتهم رغم ارادة رئيس الحزب او غضبه ان كان يحميهم فعلاً. ثمّ اعلان هذا القرار. فليس من المنطقي او المعقول ان يتخذ رئيس الحزب (الذي يعزون اليه الآن صفة الدكتاتورية والتحكم) موقفاً انتقامياً من القيادة دفاعاً عن مجرم ثبت اجرامه كالعزل او السجن او الطرد.[7]

7ـ كان الإمعان في حماة التفسخ موضع ارتياح للسلطة، بل كانت تعمل على تشجيعه بشكل غير مباشر، وخير مثال يمكن تقديمه هو سرقة ارزاق افواج حرس الحدود (البشمركة) من قبل آمريها والمشرفين عليها، فقد تشكّل بموجب البيان إثنا عشر فوجاً في سائر كردستان وهم افراد البشمركة، بملاك تعداده خمسمائة لكلّ فوج، دوّنت اسمائهم وكُناهم وثبتت هوياتهم وقدمت بهم قوائم للسلطة. فكانت تجري عليهم الرواتب والارزاق اسوةً بجنود الجيش العراقي، لكن لم يكن يوجد من هؤلاء في الخدمة الفعلية اكثر من خمسين في كلّ فوج يقتصر عملهم على حراسة الآمرين وخدمتهم. كان امراء الهيزات يتسلمون الرواتب فيقتسمونها فيما بينهم ويبيعون فوراً القابل للتلف من الارزاق (كاللحوم والخضراوات) ويحتفظون بالممكن اختزانه (كالسكر والشاي) للإتجار به.

كانت السلطة تعلم بهذا، كانت تعلم ان امراء الهيزات هؤلاء سرّحوا في دقيقة واحدة 1800 من البشمركة واطلقوهم ليعودوا الى مزاولة اعمالهم في الفلاحة. فلم تقم بايّ اجراءٍ لوقف ذلك واستمرت في صرف الرواتب والارزاق، كأن الأمر لايعنيها في شيء.

ان تخاذل القيادة في معالجة الاجرام والتفسخ الخلقي داخل الحزب يعبر عنه اصدق تعبير قول ادلى به عضو في اللجنة المركزية في اجتماع لها اذ علّق ساخراً "اذا كان مقدراً لعمليات تهريب المخدرات ان تستمر تحت سمعنا وبصرنا. فلماذا لانتولى نحن تنظيمها وجعلها مصدراً من مصادر دخل الثورة بدل ان تدخل ارباحها جيوب افراد منه؟".

وصار فريق من اعضاء الحزب المقربين سماسرة ووسطاء لقضاء حاجات الناس لقاء عمولات وظهر منهم ومن اقربائهم فجأة متعهدون ومقاولون دخلوا المناقصات الحكومية للقيام بالاعمال الانشائية التي قررتها الحكومة لمنطقة كردستان بموجب مشاريع التطوير. بعض هؤلاء المقاولين فرض من قبل المسؤولين الاداريين الكرد الجدد وان كانت عطاءاتهم تزيد كثيراً عن عطاءات الاخرين وليست لديهم اية تجربة في الاعمال الانشائية. فانهارت مدارس بعد سنة واحدة من تشييدها وامتلأت طرق حفراً بعد أشهر من تبليطها وكان الطرد او النقل اهون مايتوقعه المهندس او الموظف المشرف الذي يرفض تسلم هذه الانشاءات مهما كانت مخالفات المتعهد واضحة وكبيرة. من الصعب على العضو الحزبي ان يصمد امام هذه الاغراءات عندما يجد من تصرفات القياديين او الاعلى منه في التدرج الحزبي مايشجعه ويقضي على بقية تردد وتعفف فيه.

كذلك كان من العسير تفسير اطلاق القيادة العنان للآلوف من اعضاء الحزب ولاسيما اولئك المكلفون منهم بمهام خاصة او ممن انيطت به مسؤوليات ـ الكشف عن هوياتهم وطبيعة مهامهم والتصرف باستهتار ورعونة دون تقييدهم بتعليمات محددة تتعلق بسلوكهم. لقد اطلقتهم في المدن والقصبات دون التفكير بسلامتهم ودون الاحتفاظ بخط رجعة لهم او تصور امكانية تعرضهم للاخطار او الارهاب الحكومي او الاغراء. وكان من بعض نتائج هذا الاهمال انه مامرت بضعة أشهر على اعلان البيان حتى كانت السلطة قد جمعت كل ما ارادت جمعه وأطلعت على كل ماارادت الاطلاع عليه من معلومات حول ذلك الحزب الذي كان قد بدا لها قبلاً ضخماً مهيباً. لم تكن المعلومات كثيرة ولامهمة. ومع هذا لقد بهتت واندهشت للسرعة والسهولة التي انجزت بهما العمل. لقد أخذت تشك في تفاهة ماتوصلت اليه عن هذا الحزب الذي بدا للجميع قائداً لثورة عظيمة أكثر من عشر سنوات امام آلة حربية حديثة بجيش عالي التدريب. انها في تصورها ـ ماكانت مستعدة للاعتقاد بان الطيش والاستهتار وضعف التجربة وانعدام الرقابة الحزبية بل ايمان الثورة والحزب بحسن نوايا تلك السلطة سيبلغ بقيادة الحزب الحد

الذي تطرح جانباً كل وسائل الحذر والحيطة وتضع سلامة اعضاء حزبها الفعالين في كفة القدر بقذفهم الى ميدان العمل العلني صفقة واحدة دون اي حساب للمستقبل ودون الاحتفاظ بخط رجعة لهم مهما كان قصيراً.

ان هذا العمى السياسي والتنظيمي الذي ادى الى الانفتاح التام والمطلق على السلطة والحزب الحاكم اسلم الاخيرين بدوائر امنهما واستخباراتهما الى حيرة حتى شكت لفترة من الزمن بأن هذا الانفتاح ينطوي على خدعة او مناورة وان قيادة الحزب الديمقراطي الكردستاني كأية قيادة ثورية مجاهدة لابد وان تحتفظ في الخلفية بقيادة احتياط (قيادة ظلّ) تتولى المسؤولية اذا مااعترى العجز قيادة الحزب الظاهرة لاي سبب كالاعتقال الجماعي او التصفية الجسدية.

ان نشاط الحزب العلني في المدن والقصبات ولاسيما في تلك الاجزاء من العراق التي كان ظهور الحزب فيها بارزاً من النواحي السياسية والادارية والعسكرية. ادى الى ان تتعرض كوادره ومراكز فروعه الى الحملات القمعية الجماعية والفردية بحق او بدونه. فهوجمت مراكز بعض الفروع بقطعات عسكرية وضربت بالنار واستخدمت القوة الجوية في بعض المواقع فضلاً عن المدفعية الثقيلة. من الصعب ان نتقدم باحصاء دقيق او تقريبي عن حوادث اختطاف الاعضاء النشطين والفعالين والمؤازرين المتحمسين وما اكثرهم واخضاعهم الى الوان بشعة من التعذيب وقتل عدد كبير منهم بعد تجرعهم الاما تفوق طاقة الحيوان نفسه. ان ذلك دون ان تأخذ قيادة الحزب الشهامة الحزبية او تفكر بالرابطة الرفاقية لتحريكها الى اجراء فعال. لان موقفها من السلطة كان يجعلها في مأمن مما يذوقه سائر الاعضاء الاخرين. هناك حالات نادرة قامت تلك القيادة (وليتها لم تَقم) بأحتجاج مؤدب ضعيف شبيه بالرجاء او التوسط عند اختفاء هذا العضو أو العثور على جثة ذاك ملقاة في الطريق العام. هذه الاحداث الدامية كانت في نظرها اقل من تدعوها الى المخاطرة بمراكزها باستقالات جماعية او بعمل حاسم مثلاً. كل ما اتخذته من اجراء في هذا الصدد انها اصدرت قراراً تعتبر كل اعتراف تنتزعه اجهزة الامن والتعذيب الحكومية من العضو الحزبي باستخدام الاكراه الجسدي والنفسي غير مخل بشرف العضو الحزبي ولا بمركزه او عضويته. فكان هذا ابلغ اعتراف واقوى دليل على ضعفها وتخاذلها وقلة حيلتها امام السلطة. لقد سكتت القيادة عن اعمال القتل والاغتيال والتعذيب حيناً الى ان شعرت بحراجة موقفها امام الجماهير الكردية الساخطة

والناقمة بل الذاهلة. كان عليها ان تفصل شيئاً ما. أتخاطر بمراكزها في استقالة جماعية؟ قالوا كلا ان ذلك تهور وطيش. هل ترد على الجرائم باعمال ثارية مماثلة كلا ابداً فهذا يعقد الامور ويقدم حجة للسلطة لمضاعفة الارهاب. وقمعت اصوات داخل القيادة نفسها كانت تطالب بعمل مقابل. ان مجاملة القيادة للسلطة وحرصها على ان لاتقطع (شعرة معاوية) جعلها تنظر الى كل هجوم عسكري او حادث اغتيال او خطف او قتل او تعذيب قضية منفردة قائمة بذاتها لاتتعلق بالقضية العامة فتختلق الاعذار لتبرر بعض تبرير او تخفف من وقع عمل السلطة لترضي ضميرها ولكي تنتهي بالنتيجة المرسومة وهي انه لاداعي للمخاطرة بالعلاقات مع السلطة بسبب موت فلان او خطفه او تعذيبه او قتله. وهو بالتالي الملوم لانه كان مندفعا أكثر من اللازم. او أنه لم يتخذ الحيطة لنفسه أو ... أو...

ان هذا التخاذل شجع جهاز السلطة الامني والتصفوي للتآمر على حياة قلة صغيرة جداً من القياديين والبارزين الذين لم تنجح السلطة في اغرائهم او تدجينهم وارتفع الى حد اطلاق النار على سيارة ادريس البارزاني [8]ابن رئيس الحزب وعضو اللجنة المركزية في بغداد

8ـ في ليلة السابع من كانون الأول 1970 جرت محاولة اغتيال أدريس البارزاني. وكان ضحيتها، مقاتل جريء وستراتيجي بارع في حرب الانصار وعضو قديم في البارتي. واقصد به السيّد حميد برواري. الذي عُرف في الثورة باسم "عريف حميد". تشاء الصدف وحدها أن يُستدعى ادريس الى منطقة الثورة على عجلٍ بسبب مرض عمه المفاجيء فترك بغداد قبل ساعات معدودات من تنفيذ عملية الاغتيال دون ضجةٍ. وهي صدفة عجيبة لم يحسب المنفذون والمخططون حساباً لها في خطتهم المحكمة ومعرفتهم المسبقة بوجود أدريس ومن في معيته بضيافة عشاء وكذلك بطريق عودته الى الفندق الذي كان نازلاً فيه وبنوع السيّارة التي كان سيستقلّها. وتشاء الصدف وحدها ان يكون عريف حميد فيها عندما انهال الرصاص على السيارة اثناء وقوفها باعتراض سيارة أخرى طريقها، وانقطع التيار الكهربائي في الشارع "بمحض الصدفة!" يقول البرواري: توقفت بنا السيارة عند عمود كهرباء بعد أن خرج السائق الشجاع من دائرة النار، وحاولتُ اشهار مسدسي إلاّ انّ يدي اليمنى لم تتحرك، وكذلك رجلي اليمنى. ثم اكتشفت ان اصابتي كانت في جنبي الايمن ورجلي اليمنى وقد نفذت في ركبتها الرصاصة:. كانت نجاته اعجوبة، فقد فقد الأمل في حياته. (اجريت له عدة عمليّات جراحية وهو الآن لاجيء في السويد يسير بمساعدة عكاز).

والصدف وحدها هي التي جاءت به الى بغداد، فقد كان آمراً لقاطع (هيز) كرميان وقرداغ وارسل الى بغداد منضّماً الى وفد رسمي ومعه قوائم لحرس الحدود بغية تقديمها للسلطة، وما من شك في أن المهاجمين كانوا يتوهمون به ادريس، فهو يكاد لايختلف عنه مظهراً ان نَظُر اليه من بعد بالتكوين الجسماني أو الملامح او الثياب=

بقصد قتله. وبالاخير ادى هذا التشجيع غير المباشر الى تدبير تلك المؤامرة المتقنة للقضاء على حياة قائد الحزب والثورة بالذات في مقره ثمّ تلتها محاولتا اغتيال اخريان. هذه المحاولات لتصفية رئيس الحزب قد تؤخذ دليلاً منطقياً على ان السلطة الحاكمة ماعادت تقيم للقيادة اي وزن. او انها كانت مطمئنة من سلوكها الذي جعلها تعتقد بأن كل شيء سيكون على مايرام لو ارتفعت العقبة الوحيدة من البين بازاحة رئيس الحزب.

كانت مؤامرة الاغتيال الكبرى واضحة المصدر بقدر وضوح القصد فيها. ومع ذلك أظهر بعض القياديين شكه في ان يكون للسلطة يد فيها. وبالاخير لم ترفض تلك القيادة اقتراح السلطة فكرة مشاركتها في اعمال اللجنة التحقيقية التي نصبتها للكشف عن مدبري المؤامرة. فساهمت فيها.[9]

وفي قاعة المؤتمر الثامن للحزب المنعقد في تموز (1970) وضعت اللبنات الاولى لسياسة الترضية والتهدئة التي اتبعتها القيادة على طول الخط فيما بعد. كما وضعت الاسس لتدهور سمعة الحزب الجماهيرية وتطعيم اللجنة المركزية بعناصر خائرة والاصرار على ابقاء العناصر الضعيفة السابقة. أضاع الحزب فرصته الذهبية في ادخال دماء جديدة الى القيادة بمؤتمره وراح هو ومندوبوه الى المؤتمر ضحية تآمر غريب اضطلعت به القيادة نفسها عند تدخلها السافر والفاضح لانتقاء من تريدهم لاملاء النقص العددي الذي كانت تشكوه من جهة وللابقاء

= يحف الغموض بالاسباب والدواعي التي اقتضت اغتيال أدريس. وهناك شائعات عدة لاتستقيم ايٌ منها مع المنطق. فالسلطة لم يكن من صالحها أن تقضي على حياة ابن قائد الثورة في العاصمة. في الوقت الذي كانت قد خصصت فرقة حراسة للفندق الذي ينزل فيه، وخير تعليل مقبول هو انّ اجنحة من حزب البعث الحاكم ارادت ان تكيد للسلطة التي عقدت اتفاقية آذار - لابسبب عقد الاتفاق، بل كجزء من الصراع الداخلي في حزب البعث.

وربما قصد المخططون باغتيال أدريس خلق مبررٌ يستدعي استئناف القتال باتهام الحكم بالجريمة. او لانّ استئناف القتال سيؤدي الى استظهار الفريق المناوىء لحور البكر - صدام وانصارهما. ذلك الصراع الذي استقطب في 30 حزيران 1973 بمحاولة انقلاب ناظم كزار مدير الامن العام ومحمد فاضل رئيس المكتب العسكري لحزب البعث وهي المؤامرة التي كانت ترمي الى تصفية البكر وصدام، وانصارهما (قتل حماد شهاب وزير الدفاع جراحا وجرح وزير الداخلية سعدون غيدان، ونجا البكر والقي القبض على رؤوس الحركة واعدموا). بدليل ان منفذي عملية محاولة اغتيال ادريس هم من رجال السلطة. لم يكن من مصلحة الحكومة في ذلك الحين التعمق في التحقيق. أو اخذ المسألة ملخذاً جدياً بسبب من ذلك.

9 - راجع الفصل السابع المضاف [الرواية الكاملة للمحاولة]

على طاقم القيادة القديم من جهة ثانية والتخلص من بعض.

لانشك في صدق (البارزاني) عندما وقف في قاعة المؤتمر لينبه المندوبين بأنهم احرار في اختيار من يريدون للقيادة. ونفى في عين الوقت ان توجد قائمة بأسماء اصدرها هو او اطلع عليها تتضمن اسماء من يرغب فيهم للقيادة. ومع هذا كانت هناك فعلاً قائمة يقوم بترويجها فريق من اعضاء القيادة وبموافقة الباقين. مع الايحاء (بالقول الصريح احياناً) بانها موضع رضى البارزاني نفسه بدليل وجود اسمي ولديه (ادريس ومسعود) فيها.

فكيف حشر أسم هذين فيها وماذا كان عرض القيادة من ادخالهما عضوين في اللجنة المركزية؟ كان ابنا البارزاني هذان يتمتعان بصلاحيات اعلى من صلاحيتهما قبل انتخابهما عضوين في القيادة كما يعرف الجميع. اجتمعت القيادة قبيل الانتخاب بفترة وهي شاعرة بالضعف الشديد وعدم قدرتها على تحمل المسؤولية وبعد أجهاد عقلها توصلت الى أنَّ الطريقة الوحيدة للتغلب على هذا الضعف هو الطلب من ابني البارزاني (أدريس ومسعود) الدخول اعضاء في اللجنة المركزية. واجمعت على هذا الرأي وطلبت من البارزاني السماح لادراج اسم ولديها في قائمة ترشيح الاشخاص الذين جمعت القائمة اسماءهم الى اسمي هذين؟

وقال واضعو تلك القائمة (التي يكن ثم منافس لها) في تبرير تضمينها بعض العناصر الامية الجاهلة التي لم يسبق لها العمل في العمل السياسي انَّ هؤلاء هم من قادة البشمركة الذين ابلوا بلاءً حسناً في اثناء المعارك وقد فقدوا مراكزهم العسكرية بعد البيان وبحلول السلام في الوقت الذي كان يتعذر اسناد مناصب حكومية لهم وسيكون ضمهم الى القيادة (تمثيلاً للبشمركة) فيها فضلاً عن كونه تعويضاً لهم ومكافأة.

من المؤسف ان مروجي هذا التعليل كانوا من المثقفين القياديين المتمرسين في العمل الحزبي. بعد ان افلح هؤلاء في اقناع البارزاني بوجوب (تقوية) اللجنة المركزية بدخول ولديه حبذ أدريس للدعوة الى قائمتهم وراح بعض افراد القيادة المتحمسين لهذا الرأي يدفعونه الى زيارات تجمعات المندوبين القادمين من شتى انحاء كردستان ترويجاً للاسماء التي تحتويها تلك القائمة.

وكان ذلك لم يكن بكاف. اذ عمدت القيادة الى خرق نظام الحزب الداخلي بقبولها اعضاء جددا في الحزب عشية انعقاد المؤتمر ليس الاّ لان هؤلاء (الاعضاء الجدد) سيغدون بعد يومين او ثلاثة اعضاء في اللجنة المركزية الجديدة. في حين يقضي نظام الحزب بعدم جواز ترشيح

عضو الحزب نفسه الى اللجنة المركزية ان لم يمض علي عضويته سنتان على الاقل.[10]

قالوا ان القيادة قبلت ترشيح هؤلاء للعضوية ثم للجنة المركزية بناء على رغبة البارزاني واصراره (لانه كان يريد ان يكون هذا العضو الجديد عضواً في القيادة المقبلة عدت واحدة من هفواته هو) وأقول ان هذا صحيح ولكن ألم يكن في مقدور قيادة الحزب ان تصر على رفضها خرق النظام والطلب من البارزاني نفسه اتخاذ القرار بفرض هذا او ذاك على القيادة؟ أليس هو احفظ لكرامة القيادة وهيبتها واجدى لها من الانسياق وراء خوفها من اغضاب (البارزاني) وإزعاجه مثل هذا الخوف لاوجود له الا في مخيلة خائري العزيمة او ذوي المصالح والطموحات الشخصية الحريصين عليها. لقد اتحدت كلمة هذه القيادة في آذار 1974 وقررت ضرورة ايفاد ادريس البارزاني الى حكام بغداد في محاولة أخيرة لتفادي المجابهة رغم معرفة (البارزاني) نفسه واكثرية كاثرة من جماهير الشعب الكردي بعقم المحاولة ورغم احتمال تعرض الرسول الى الخطر ورغم ارادة البارزاني نفسه، فخضع للقرار وارسله.

وليت الافتئات على نظام الحزب اقتصر على ماذكرنا فقد تعدى التحدي الى التزوير. فعندما اصر المندوبون على حرية اختيار مرشحيهم وملؤا القائمة بأسماء من يدركون اهليته ومن يريدون رأت القيادة الا ان تتدخل فتزور النتائج عن طريق رشوة قارئي الاسماء ومسجليها بوعدهم بالمنصب انكشف بعض هذا التزوير عندما خرجت نتائج الاحصاء بعدد متساو من الاصوات لكل من ادريس ومسعود خشية ان يحرز احدهم صوتاً واحداً اكثر من الآخر فيخل ذلك بنظرة المساواة التي كان ينظر بها الجميع الى الاخوين. مجاملة تافهة خرجت عن طور المعقول واوجبت التساؤل الحاد.[11]

---

10. لبعض الامثلة راجع الفصل الثامن المضاف.

11 ـ مما انكره في هذا الصدد. ويشاركني في استنكاره الكثيرون أن اقلام حبر باركر وزعت على المندوبين. وسمعت نكتة متداولة "هذا قلم (فلان) بمناسبة المؤتمر" وقد عددتُها كذبةً متعمدة للنيل من المسمّى. وجاءني احدهم واراني ورقة كتب عليها بخطّ عرفت صاحبه منه حقّ المعرفة. وفيها هذه العبارة "راجعني في بغداد لاسجّل لك منزلاً! ورأيت عَرَضاً اجتماعات تعقد مع المندوبين في الخيم المضروبة لهم كان يتكلم فيها ادريس وسامي وادارا توفيق كلاماً طويلاً. في حين كان اعضاء المكتب السياسي واللجنة المركزية الباقون منصرفين الى شؤونهم غير عابئين بما يجري من اجتماعات. والكل سكوت ولاتعليق على مايجري. وجرى التزوير بشكل بسيطٍ مفضوح جريء : =

ان المقام لايتسع لسرد مصير كل فرد من اعضاء القيادة (اللجنة المركزية) الجديدة

= عين لقراءة اوراق الانتخابات عددٌ تحت اشراف محمد محمود عبدالرحمن. والمشرفون على الصناديق وتدوين الاصوات على السبّورة تمّ انتقائهم ونُسّب معظمهم في مناصب ادارية كبيرة فيما بعد (او كانوا قد حصلوا عليها مقدماً). وافهموا بان يعملوا على الشكل التالي:

كلّ ورقة تخلو من اسم مدون في القائمة المعدة سابقاً، يجب ان يقرأ بدلاً من اسم آخر لاوجود له فيها.

مالبث الأمر ان انكشف. ولم اكن حاضراً طوال عملية الاقتراع فقد تركتُ من البداية. لكن الانباء والتفاصيل اصبحت على كلّ شفةٍ ولسان في اليوم التالي.

ففي الساعة الثانية عشرة من ليلة 8/7 تموز، تبيّن للمشرفين والقارئين ان مسعوداً يسبق ادريس بحوالي (55) صوتاً، ووجدوا ان هذا امرٌ خطير يجب تلافيه، لم يكن مسعود في كردستان اذ سافر قبلها الى لندن بصحبة الشيخ محمد خالد. الاّ ان حيازته اصواتاً اكثر من ادريس فسّر عند بعضهم بانه قد يقوم دليلاً على انه اكثر شعبيةً من أخيه وهو غير صحيح وأن عليهم تدارك الأمر.

اعلنوا فترة استراحة واجتمعوا خلالها وتوصلوا إلى حلّ.

قرئت (55) ورقة فيما بعد وليس فيها اسم مسعود. وعندما تساوت الاصوات بدت الورقة الواحدة تثبت الاسمين معاً وكانت النتيجة ان حاز كلاهما (450) صوتاً بالتمام والكمال. وحورب دكتور محمود بضراوة وتعمدوا أن يسجل له اقلّ مايمكن من الاصوات، ونال الشيخ محمد هرسين عقابه بإخراجه نهائياً من اللجنة المركزية.

قال لي احد اعضاء اللجنة المركزية المرشحين الذين فازوا انه كان ثم مؤامرة ترمي الى اقصاء عناصر معينة معادية للشيوعية الى جانب تطعيمها بامين ونكرات وضعفاء النفوس مما يؤمن لواضعي القائمة الهيمنة على القيادة ومقدراتها بعين ذلك السكرتير "السخرة"، الذي قنع بالاحتفاظ بمركزه رغم ماكان يستهدف له من تعليقات وراء ظهره انتقاماً لشأنه، لان وجوده مفيد وضروري في تلك المرحلة من الصراع. وقد بلغني طرفٌ من نقاش حصل حول استبعادي الى عضو احتياط في اللجنة المركزية بدلاً من عضوية كاملة، وما كنتُ لأحفل بايٍّ من الاثنين قطّ بل كان ترشيحي في غيابي، ذكروا لي ان الدكتور محمود عثمان قال عنّي من "حقّه ان يكون عضواً كاملاً فاللجنة بحاجة الى امثاله، فاعترض بعضهم بالقول انه لم يكن هنا (من الاول) وسيسند اليه منصب تنظيمي هام ويستفاد منه في التنظيم، فردّ احدهم بقوله: "حسن فليأت الى اللجنة إذن وهو كاتب معروف خيرٌ من ان يضمّ اليها (فارس باوه) وهو اميٌ لايعرف كيف يكتب اسمه".

لاادري إن كان في نية ثلاثي القائمة توجيه ضربة أخرى لمحمود عثمان في الانتخابات. لكن يبدو أنهم عجزوا عن التمادي في التزوير بحقّه اذ كان المندوبون مصرين عليه ورغم اغفال اسمه في عدد كبير من الاوراق والدعاية التي نشرت ضدّه، لم يكن بالوسع اغفال اكثر من حوالي مائة صوت اعطيت له وبدا مجموع الـ 375 صوتاً المسجّلة له تحدياً كبيراً لمن اضمر له سوءً. =

واخوانهم القدماء الذين ثبتتهم القائمة في مراكزهم الحزبية. فقد ظهر منهم العميل والسارق والخائن والمتآمر. وبقيتهم ابت بالاخير مشاركة الشعب الكردي الجريح المنفى عن بلاده. فعادت تتمسح باذيال السلطة معلنة انها نالت كفايتها من (الركض وراء البارزاني) عارضة خدماتها على بغداد بكل صورة من الصور.

وكل هذا يهون امام التضحية بأهم مبدء من مبادىء الحزب تزلفاً وتقرباً من الحزب الحاكم. ظل الحزب وقياداته المتعاقبة منذ تأسيسه حتى الجلسة الثانية من مؤتمره الثامن (1970) يدعو الى النظام الديمقراطي البرلماني واشاعة الحياة الديمقراطية في البلاد على اساس الانتخاب الحر السري المباشر المتساوي. وكان يؤمن بحقٍ ان الديمقراطية هي الضمان الوحيد الحقيقي للشراكة الصحيحة في الوطن الواحد بين القوميتين العربية والكردية ونصّ واكدّ مؤسسوه على ذلك في منهاجه بعبارة صريحة واضحة لاتقبل التأويل. وفي اثناء مفاوضات الصلح التي سبقت المؤتمر وخلال تلك المحادثات (العشائرية) صرح الوفد الحكومي - الحزبي بأن نظامه الحالي لايؤمن ولن يؤمن قط بالديمقراطية التي يدعو اليها حزب (البارتي) واطلق عليها مصطلح (الديمقراطية الليبرالية). وقال ايضاً انه غير مستعد قط للبحث حول ايجاد مؤسسات برلمانية تقوم على مبدء الاقتراع العام الحر المباشر السري المتساوي. ففهم اعضاء قيادة البارتي الاشارة. وعرفوا ماتوجّب عليهم عمله في سبيل احداث التناسق المبدئي بين الحزبين (المتآخيين). واتفقوا على مناورة لحمل المؤتمر على الغاء هذا المبدء من المنهاج ضمن بعض التعديلات الهامشية والثانوية التي عرضها المكتب السياسي على مندوبي المؤتمر. لقد استغل القياديون افتقار جل هؤلاء الى التفهم القانوني والوعي السياسي لتمرير هذا التعديل. ومع هذا فقد لقي معارضة شديدة ولم يمرر الا باغلبية ضئيلة جداً وبعد أن أعيد احصاء الاصوات ثلاث مرات ورغم طلب بعض الاعضاء ان يجري الاحصاء بمناداة الاسماء لا

= ظلّت قصة ازاحة محمود عثمان (النسبيّة) عن مركزه الأول تؤلمني. وفي اعتقادي ان بعض اسبابها يعود إليه. فقد وضع ثقته واعتماده على من هو لااهل لهما. ونسي في لحظةٍ معينة المقدار المسموح له بالظهور أمام الزعامة البارزانيّة مثلما نسي (ابراهيم احمد) ذلك في فترة حرجةٍ جداً من الفترات التي كان الحزب والثورة - في حاجة اليه والى اعوانه القياديين. كان ادريس ومسعود في الوفد الرسمي يشعران بأنهما يمثلان والدهما. وان محمود عثمان رغم رئاسته الرسمية - خرق "البروتوكول" إنْ لم يكن لديهما اية فكرة عن هذا فقد وجد اناس يشعرونهما بها.

وليس بعدّ الايادي. لقد كان واحداً من اغلى واسمى التضحيات العقائدية التي قدمت باسم الحزب الى السلطة الحاكمة في (طبق من ذهب) عربوناً للتنازلات الكثيرة التي سبقت او لحقت.

*** *** ***

في نظر قيادة الحزب والثورة ان "*بيان 11 اذار كان مفتاحاً لحل القضايا المعلقة في البلاد وطريقاً لتحقيق منجزات كبرى للشعب .. وانتصاراً لمبادىء الحزب الديمقراطي الكردستاني (كذا) وحزب البعث العربي الاشتراكي معاً وتحقيقاً لهدف سام ناضل من أجله الشعب العراقي وقواه الوطنية ردحاً من الزمن. وكان كذلك ضربة للافكار الشوفينية والعنصرية والقوى التي استندت على تفرقة ابناء الشعب العراقي في فرض سيطرتها ... ان ما نتج عن هذه الاتفاقية نهج مبني على التحالف والتعاون بين حزبينا على مختلف الاصعدة. وكانت حصيلته تحقيق منجزات كبرى للشعب العراقي والسير خطوات كبيرة نحو تطبيق الحقوق القومية للشعب الكردي ...*" *(في سبيل السلم والوحدة الوطنية. ص 3. ط بغداد 1973).*

كان هذا رأي القيادة في بيان آذار بعد ان مضى على نشره ثلثا المدة المقررة لتطبيق بنوده كافة. وبعد ان لاحت اشباح الحرب وتكاثفت غيوم سوء الظن وخيم اليأس فوق ذرى جبال كردستان. وبعد أن بدا جل نصوصه في نظر المراقبين السياسيين والواقعيين من رجال الحزب والثورة مجرد وعود مكتوبة غامضة او متحايل عليها لاتختلف مطلقاً عن وعود مماثلة قطعتها على نفسها حكومات سابقة عراقية لتتكل عنها بعد حين. هكذا كانت القيادة تنظر اليه!!

وفي هذا الوقت بالذات كانت السلطة الحاكمة قد فرغت من انجاز خطّ عملها في تصفية القضية الكردية او حلها حرياً او سلماً. وقد بنيت هذه الخطة بالاساس على واقع حال القيادة وبالشكل التالي:-

(اولاً) ان معظم اعضاء قيادة (البارتي) لاخطر منه. وبالامكان التفاهم مع بعضه لانه صديق. كما كان بالامكان اخفات اصوات الاقلية المعارضة في تلك القيادة اما بشرائهم واما بتصفية المعاندة منها جسدياً عند اللزوم.

(ثانياً) ان رئيس الحزب (البارزاني) يمثل عقبة جدية في سبيل (الحل النهائي الذي تم

تخطيطه بغية تصفية القضية الكردية. ان موقفه المتعنت هذا قد يؤدي الى فشل المخطط برمته. لان رئيس الحزب مدعم من جهات خارجية وصفت (بجهات امپريالية واستعمارية). في الواقع شرعت السلطة في تنفيذ مخططها هذا قبل قدوم وفد المفاوضات الحكومي الى مقر الثورة بنشرها في جريدتها الرسمية سلسلة من المقالات تهدف الى تكوين خطّ أو خندق فاصل بين القيادة نفسها وبين البارزاني وتظهرها بمظهر المخدوع به بقولها ان (خيمة) البارزاني تجمع الى جانب الوطنيين المخلصين (امثالهم) العملاء والرجعيين والجواسيس واعداء الوطن. وقد استمرت تضرب على هذه النغمة حتى الاخير.

(ثالثاً) ان ازاحة (البارزاني) عن مركز الزعامة بأي شكل كان سيرفع عامل الرهبة والتردد الذي تشعر به قيادة الحزب امام الرئيس الذي كانت مكانته في قلوب الشعب الكردي تسمو لتقف حائلاً دون اية مؤامرة او مناورة على حقوقه القومية.

ان الحزب الحاكم وفقاً لمخططه الموضوع سلفاً. لم يكتف بتقديم الادلة الصارمة على تصوراته الشوفينية لحل القضية الكردية (حلاً نهائياً). وبتفسير بيان اذار تفسيراً منسجماً مع مخططه هذا. بل باشر تحقيقاً لهذا الغرض- بعملية كانت جد مكشوفة فلم تخف عن ابسط اعضاء الحزب تفكيراً. حين شرع يخلق احزاباً كردية سياسية ورقية تعمل ضد الحزب والثورة مرتبطة بدوائر الامن والاستخبارات [12] لقد بدأت السلطة في تنفيذ المخطط بهذه

12- خلق البعثيون حزباً كردياً اطلقوا عليه اسم "جبهة تحرير كرد وكردستان" راح يصدر بيانات تتضمن تعريضاً بالحزب الديمقراطي الكردستاني، ففي تموز 1971 . بعث المكتب السياسي للپارتي بكتاب إلى السلطة هذا نصّه:

"صدرت خلال الاشهر الأخيرة بين آونةٍ وأخرى بعض المنشورات الصفراء عن شرذمة اطلقت على نفسها اسم جبهة تحرير كرد وكردستان. ان محتويات هذه المنشورات كانت تسيء الى الوحدة الوطنية واتفاق آذار التاريخي. ونتيجة لوقوع خلافات بين افراد هذه الزمرة فقد توجّه الى طرفنا معظم اعضاء القيادة لهذه الجبهة المزعومة وادلوا بمعلومات تفصيلية عن الجهات التي تقوم بتخطيط وتوجيه فعالياتهم تناولت بعض المسؤولين في اجهزة الدولة وبالنظر لأهمية الموضوع وخطورته ترى من الضروري اجراء تحقيق مشترك للتأكد من صحة اقوالهم وتسليمهم فيما بعد للجهات الرسميّة المختصة لاتخاذ ماتراه مناسباً بحقهم، انبؤنا رجاءً".

لم يصدر من السلطة مايشير الى استعدادها لقبول عرض المكتب السياسي، فقام هذا بعرض بعضهم على المسؤولين الحكوميين اثناء زياراتهم كردستان. واسمعوهم اعترافاتهم وذكروا لهم الجهات التي كانت تمدّهم بالمال ووسائل الطباعة وتستأجر لهم المقرّات كما عددوا اسماء مسؤولين في الدولة كانوا يعملون بتوجيههم (دوائر

(الافتتاحية) خلال الاسابيع الاولى التي عقبت البيان كما شرعت بواسطة عميل او نصير لها في القيادة بعرقلة الصلح الذي جرى بين القيادة السابقة وبين الثورة الكردية. أجل كان فريق من اعضاء قيادة الحزب والثورة يتمنى فشل مساعي الصلح وبقاء القطيعة. أهي مجرد غفلة؟ ام خوف على المراكز الحزبية؟

ثمّ جاءت المرحلة الثانية من مراحل (الحلّ النهائي).

نشرت السلطة الحاكمة مادعي (بميثاق الجبهة الوطنية) ودعت جميع الاحزاب والفئات والكتل السياسية في البلاد الى دخوله. لم تكن جبهة بل هي ارادة حزب مسيطر سيطرة تامة على مقادير البلاد مصمم على عدم التنازل عن اي جزء من سلطانه الى احزاب اخرى. لتكون فيهما مجرد توابع تدور في فلكه وتستسلم لارادته وتمتثل لاوامره.

في ميثاق الجبهة هذا اوضحت السلطة انها غير مستعدة للمناقشة في اية نقطة من النقاط التالية:ـ

1ـ ان الحزب الحاكم هو (الحزب الطليعي) القائد وصاحب المنزلة الاولى وان الاحزاب والفئات السياسية الاخرى هي متساوية في منزلتها الثانية منه ضمن الجبهة المقترحة.

2ـ ان القوات المسلحة العراقية (الجيش والشرطة والجيش الشعبي بل حتى حرس الحدود وهم البشمركة سابقاً) هي مؤسسات مقفلة في وجه جميع الاحزاب المنضمة الى (الجبهة) باستثناء الحزب الحاكم الذي يملك الحرية المطلقة في السيطرة عليها وبث نشاطه وخلاياه فيها. وبالتالي فان اقدام اي حزب على ممارسة نشاطه داخل هذه المؤسسات العسكرية وشبه العسكرية يعرض صاحبها الى عقوبة الموت.(13)

الامن)=

بعد بقاء هؤلاء معتقلين في مقر الثورة ردحاً من الزمن اطلق سراحهم ولم يحاول البعث مثلها هذا الا قبيل استئناف القتال في اواخر 1974 عندما لجأ عزيز عقراوي وهاشم عقراوي واسماعيل ملا عزيز من اعضاء اللجنة المركزية الى الحكومة المركزية.

13ـ كانوا تسعة وثلاثين بينهم ضابط واحد وعدد من ضباط الصف وشرطة وعدد من المدنيين تم تنفيذ حكم الاعدام بهم رمياً بالرصاص وشنقاً في نيسان 1978. وقد سيقوا الى محكمة الثورة بتهمة قيامهم بنشاط تنظيميّ شيوعي داخل الجيش، وهي تهمة رحيبة الارجاء بالنسبة الى الجهاز القضائي المخيف الذي خلّفه حكم البعث، قدر ماهو ضيق بالنسبة الى المتهم الى الحدّ الذي يفقده حق الدفاع عن نفسه.

3ـ ان الحزب الحاكم يستقل في رسم سياسة البلاد الداخلية والخارجية على السواء ولن يكون موقف الاحزاب الباقية ضمن اطار الجبهة في هذا الصدد الاّ موقفاً استشارياً.

4ـ يبقى الحزب الحاكم يجمع بيده (طوال فترة الانتقال التي لم يحدد لها نهاية) السلطات الثلاثة في البلاد ـ الاشتراعية. التنفيذية. القضائية. عن طريق مجلس قيادة الثورة.

ان القبول بمثل هذا المركز في اية جبهة معناه انتحار فعلي لايّ حزب كبيراً او صغيراً او قوياً او ضعيفاً وصهره في بوتقة الذيلية او التبعية. في الواقع كان الحزب الديمقراطي الكردستاني هو المقصود بهذا الفخ (فخ الجبهة) كجزء من مؤامرة التصفية و(الحل النهائي)

= كان الحزب الشيوعي العراقي عضواً حليفاً للبعث في الجبهة القومية والتقدمية التي ذكرناها منذ العام1973 وله في الحكومة وزيران.

نقل عن (عزيز محمد) سكرتير الحزب أنه قصد (صدام حسين) متشفعاً لهم وان هذا الرجل الذي كان يعدّ نفسه لرئاسة الجمهورية اجابه متأففاً من تلك المطالب التعجيزية قائلاً هناك قانون صريح يحرّم كلّ نشاط حزبي غير بعثي داخل القوات المسلّحة. كان عليكم ان تنبهوا جماعتكم عند ادائهم الخدمة العسكرية بالتوقف عن كلّ نشاط طوال مدة الخدمة وابى قبول الشفاعة.

ويبدي الآن عدد شهر نيسان 1997 من "طريق الشعب" لسان الحزب الشيوعي العراقي وفيه رواية مفصلة عن هذه المأساة المروعة بقلم عضو المكتب السياسي والوزير وقتذاك عامر عبدالله ـ منها جواب رئيس الجمهورية له بماثل ماتلقاه زميله من صدام حسين فيما اعتبره حلاً للمشكلة. فقد اجابه: "يذهبون (اي المنتسبين الى الحزب) الى معسكرات الخدمة، وعندما يعودون الى اهلهم يومي الخميس والجمعة يتصلون بمنظماتهم الحزبية ويمارسون واجباتهم فيها. أوصوهم فقط ان لايصحبوا معهم وثائق او كتب شيوعية الى المعسكرات".

والطرف من هذا هو الجواب الذي تلقّاه الراوي من عدنان الحمداني، وقد حسبه [متعقلاً]. مثلما حسب أحمد حسن البكر صادقاً وجاداً، قال له: "ان تنفيذ الحكم هو بمثابة تحنير للحزب الشيوعي، وهو في مصلحة الجبهة لتجنيبها مايمكن أن يصدع علاقات التحالف بين الحزبين مستقبلاً، وليس لدينا اي مبررٌ لتكذيب مانقله السيد عامر هنا.

بمعنى آخر او بعبارة اكثر اقتضاباً: ان اعدام هؤلاء الشيوعيين كان في مصلحة الحزب الشيوعي تماماً مثلما كان إعدام الناطق بهذه الحكمة مع الوجبة الكبيرة من القياديين البعثيين بعد سنةٍ وشهر ـ في مصلحة حزب البعث العراقي! ـ

والعقدة الكبيرة هي ان زعماء الحزب الشيوعي العراقي، بقوا الى الأخير ورغم تكرار التجارب، يجهلون قابلية احمد حسن البكر العجيبة على الكذب والمراوغة وطبعه الحاقد، وقد خبرناها شخصيّاً منذ العام 1946 عندما كان ضابطاً صغيراً برتبة ملازم اول.

للقضية الكردية. بلا جدال كان (البارتي) الحزب السياسي الوحيد الذي يملك من المقومات المادية والروحية مايمكنه من الوقوف في وجه الحزب الحاكم. ومركزه يختلف عن مركز الفئات والاحزاب السياسية الاخرى التي فت في عضدها الانقسام وانهكها تعرض اعضائها الى السجن والتعذيب والتقتيل. فكان عليها ان تتخير بين الانضمام الى الجبهة وبين التصفية النهائية المرعبة وعلى اساس مبدء (حفظ النوع) قبل الحزب الشيوعي الانضمام الى الجبهة متنازلا عن عنوانه العزيز عليه (الحزب الطليعي) الذي بقي يحرص عليه ويدافع عنه لأكثر من ربع قرن لاسيما امام الحزب الديمقراطي الكردستاي عندما كان ينكر عليه تبنيه الشعارات الاشتراكية واليسارية معتبراً اياها امتيازاً واحتكاراً وحقاً موقوفاً عليه. (انظر الباب الاول من هذه الرسالة). فلم يعترض ولم يحاول الدفاع بل لم يطلب المشاركة او المناصفة في احتكاره هذا من الحزب الحاكم. لاشك ان النجاة من القتل والتعذيب حتى الى حين. فضلاً عن موقف الاتحاد السوفياتي الوبود من الحكم في العراق وهو مكسبٌ للأمميّة كانا من اهم الاسباب التي حملته على النزول من مركز (الحزب الطليعي) الى مركز الحزب (التابع). كان على فلول وبقايا الاحزاب الاخرى ان تتخير ايضاً بين الموت السريع او الحياة الذليلة الاّ ان الامر كان مختلفاً بالنسبة الى الحزب الديمقراطي الكردستاني كما بينا. مع هذا اخذ بعض القياديين المتعاونين مع السلطة او القريبين منها اكثر من غيرهم وممن تمتع لديها بالحظوة - يمتدح الناحية الايجابية في ميثاق الجبهة ويخفف من وقع سلبياته مبدياً تفاؤله في امكان اجراء تعديل على هذه السلبيات بالحوار الذي قد يؤدي الى زحزحة الحزب الحاكم عن موقفه. واخذ الميل الى دخول (البارتي) الجبهة يقوى عند القيادة بمرور الايام لا الاسابيع. وهنا يتدخل رئيس الحزب لينقذ بقية سمعة للحزب من الضياع بوقوفه موقفاً حدياً من المسألة ويمنع من وقوع الحزب كلياً في فم الاسد. قيل انها لم تكن مبادرة من البارزاني. بل من الحكومة الايرانية التي نصحت بذلك. وانا لااستطيع نفي ذلك او اثباته لكني أقول اذا صح ذلك فهل كان يترتب على الحزب والثورة القبول بالهون ويعمل نتيجة التصفية النهائية حتما للحزب والثورة لمجرد معاكسة ايران او لان النصح بدر منها؟

لم يكن سِراً ان اقتصاد الثورة والمناطق المحررة كان يعتمد على المساعدة الايرانية بالدرجة الأولى. وان ايران نصحت البارزاني بعدم جدوى الاتفاق على بيان الحادي عشر من آذار الذي مازال موضع مفاخرة واشادة من بعض قياديي الثورة والحزب المشاركين في

صنعه. ولاعجب فالوليد عزيز على امه وان خرج مشوه الخلقة دميما.[14]

بعد قليل من الزمن شرعت السلطة الحاكمة تسلح الحزب الشيوعي العراقي الذي اضطر بعد انضمامه الى الجبهة الى تنفيذ اوامرها ورضخ الى تحريض السلطة له واغرائه بمناطق نفوذ ونشاط في كردستان الامر الذي ادى الى صدامات مؤسفة بين (رفاق الطريق) في اواخر العام 1973 واوائل 1974 وسقوط قتلى من الجانبين. هذا والسلطة وحزبها الحاكم يتفرجان على المأساة وكأن هذه الاشتباكات المسلحة تجري في ارض غير عراقية او كأن الامر لايعنيها في شيء.

من المفيد هنا ان نثبت فقرة من رأي القيادة الظاهري في البارزاني بعد رفضه دخول حزبه في الجبهة المقترحة مباشرة. (جريدة التآخي ـ العدد 1171 الصادر بتاريخ تشرين الثاني 1972).

"لقد قضى (اي البارزاني) عقوداً طويلة من عمره المديد مناضلاً في الكهوف والجبال والمنافي في سبيل حقوق شعبه مكتفياً بالقليل من الزاد في حين كانت العهود المتعاقبة تصرف

---

14 ـ الخطّ السياسي الذي انتهجته الحكومة الايرانية بتوجيه الشاه، هو أن تستمرّ الحرب بين قوى الثورة الكردية وبين القوات المسلّحة العراقية كوجهٍ من وجوه الضغط على حكومات بغداد المتعاقبة للتسليم بادعاء ايران بنصف شطّ العرب، وحلّ مشكلة تعيين الحدود العراقية ـ الايرانية وهي مشكلة امتدت لأكثر من نصف قرن وبهذه المناسبة ـ انكر ان ابراهيم أحمد قال لي ونحن نستذكر احداث الثورة في طهران العام 1976 ـ "رغم كلّ شيء ورغم كلّ مؤاخذاتي، فانا لاشك في وطنيّة ملامصطفى وبانه شخصية قومية مناضلة لاغبار عليها لاتساوم على حقوق شعبها، وخير مثال لهذا هو اصراره على عقد اتفاق الحادي عشر من آذار، رغم معارضة الشاه الشديدة وتنبيهه بأن حكام بغداد يريدون منه كسب الوقت ليس إلاّ".

انبأني من اثق به أن البارزاني استطاع اقناع الشاه وحكومته بجدوى هذه الاتفاقية وبأنها لاتلحق ضرراً بمصالح ايران رغم ضعف ايمانه بها قال له إن البشمركة بحاجة الى الراحة وكردستان بحاجة الى فترة سلام. في حينه كنت من الفريق الذي لايضع ايماناً كبيراً بالاتفاق، وسنحت لي الفرصة للاطلاع على رأي البارزاني في خلوةٍ لي معه واثناء ماكان الوفد الكردي في بغداد. قال لي باسلوبه المعتاد الملمّح وغير المباشر "ان القايغ (اي القارب) سيبقى يتنقل من هذه الضفة الى الأخرى وان يتعطل". ففهمت قصده. إلاّ ان السنوات الاربع التي انقضت بعد الاتفاق، قتلت معنويات البشمركة، ومزقت القيادة شر تمزيق، وهذا مالم يكن في حسابه قط مع الأسف. كما خَمّنت

[راجع الفصل التاسع الملحق للمزيد من التفاصيل]

عشرات الالوف على المرتزقة من أجل القضاء عليه وتصفية الحركة الكردية... انه لم يكن في يوم من الايام طالب مال ولا باحثاً عن ثروة ...'.

مع ذلك اصدر المكتب السياسي للحزب في اوائل النصف الثاني من العام 1972 بيانا وضع التوصل مسبقاً الى حلول نهائية وصيغ متفق عليها بشأن مسألتي تحديد الحكم الذاتي وصياغة محتوى هذا الحكم كشرط للانضمام الى الجبهة المقترحة وكأنه اراد بهذا تدارك الغموض في بيان الحادي عشر من آذار. الاّ ان الفرصة كانت قد افلتت منذ زمن بعيد واصبحت المبادأة كل المبادأة بيد السلطة. ان الحزب الحاكم في هذا الوقت بالذات اصبح من القوة بحيث ماعاد يهتم لو اشتبك معنا في حرب ثانية.

"اذا تناولت طعامك مع الشيطان فلتكن ملعقتك طويلة ".

هەوالنامە ی کتێب

الباب الرابع

الدعم الخارجي ـ ضرورته للثورة واثره ـ المبررات في الاعتماد عليه ـ تدخل القوى الخارجية لمساندة النظام العراقي ضد الثورة ـ الموقف العربي العام من القضية الكردية ومن الثورة واثر ذلك في مواقف الاتحاد السوفياتي ودول الكتلة الشرقية ـ الاهتمام الغربي بالثورة الكردية ـ الانهيار الداخلي والتصفية ـ التبعة في الخيانة والتقصير والخطأ.

الآن وبعد الفشل الذي انهى ثورة 1961 الكردية للعام اخذ فريق من اعضاء الحزب القياديين يعتبر اعتماد الثورة على المساعدة والدعم الخارجيين من الاسباب الجوهرية التي أدت الى فشل الثورة ان لم يكن السبب الرئيس.

قلنا في ما سلف بيانه ان الحزب الديمقراطي الكردستاني ورئيسه لم يقدرا لتلك الانتفاضة المسلحة التي ترأسها اصحاب المصالح المضروبة وملاك الارض ضد اللواء قاسم ان تتحول الى حركة شعبية واسعة النطاق ثم لتنقلب رأساً الى ثورة كاملة الابعاد، الا بعد ان اخذ زعماء تلك الانتفاضة ينفضون من حول الفلاحين المسلحين الذين تبعوهم بدافع المصلحة

المشتركة والولاء القبلي والنفرة الطبيعية من الحكومات العراقية المتعاقبة. لقد اخذ هؤلاء الرؤوساء والاغوات شأنهم في ذلك شأن آبائهم واجدادهم يعقدون صفقاتهم الخاصة مع السلطة تاركين الفلاحين يتخبطون ويدورون حول انفسهم. ولم يكن الحزب ورئيسه يقادرين على مدّ هؤلاء المسلحين البسطاء بأكثر من القيادة والتوجيه والتوعية. وبمقابل ذلك منحتهما جماهير الشعب الكردي الثقة الكاملة وحق التصرف المطلق بالارواح والاموال. ولم يكن هذا الاخير يكفي باية صورة لسد مطالب ثورة امتدت زهاء ثلاث عشرة سنة للوصول بها الى اهدافها لاسباب وعوامل عديدة نذكر منها:

(1) اخذت رقعة القتال تتسع بالتدريج لتشمل كردستان العراقية باسرها ومع هذا الاتساع ازداد استخدام قطعات الجيش العراقي وقوات الشرطة ثمّ ادركت حاجة السلطة الى تجنيد الالوف العديدة من المرتزقة الكرد والعرب كوحدات غير نظامية واطلقتهم في الاراضي والقرى التي يحتلونها ليقتلوا الماشية ويحرقوا الزرع ويدمروا المساكن وكل مايقع عليه ايديهم تطبيقاً لخطة محاصرة الثورة اقتصادياً ومن ثم القضاء عليها عسكرياً.

(2) كان من نتائج خطة الابادة والتدمير هذه ان هجرت مئات القرى وتركت مساحات شاسعة من الاراضي الزراعية غير مستغلة اذ ان اهلها وفلاحيها اضطروا الى الهروب من وجه القطعات العسكرية واللجوء الى قلب كردستان ليغدوا عالة على الثورة ويزيدوا في مسؤوليتها.

(3) تنامي قوة الثورة وزيادة عدد المقاتلين بشكل غير متوقع وغير مدروس ونزوح اعداد كبيرة جداً من سكان المدن الى مناطقها المحررة لاسيما اثناء فترات الارهاب الدموي في العام 1963. فقد هرب الكثير من الشيوعيين واليساريين والقاسميين وافراد القوات المسلحة واعضاء النقابات والجمعيات حفظاً لارواحهم. فضلاً عن النزوح الاكبر قبيل استئناف القتال في 1974.

(4) ازدياد الحاجة الى خدمات معينة لايمكن توفيرها للثورة من الداخل مطلقاً كالخدمات الصحية والكساء والطعام والوقود وزيت المحركات وغيرها لقد كانت الثورة في حالة شلل اقتصادي تام وكان المحصول الزراعي صفراً والافواه الاكلة تتضاعف بدون توقف والاتصال بالعالم الخارجي لنقل انباء الثورة استرعاء لانتباهه وجلبا للرأي العام العالمي كان ينزل في مستوى حاجة الثورة الى السلاح والغذاء لان الحكومات العراقية المتعاقبة احكمت ضرب الطوق الفكري على كردستان بقدرما احكمت حصارها الاقتصادي.

(5) تسليح الجيش العراقي باسلحة عصرية باستمرار ومنذ عهد (قاسم). لقد كان من المزاح الثقيل الاصرار على القول بمواجهة آلة الحرب العراقية الجديدة ولا سيما بعد 1974 ـ بالسلاح الذي توفر للثورة منذ بدايتها.

إن الثورة الكردية بموقعها الجغرافي وظروفها السياسية والاقتصادية كانت أحوج الى العون الخارجي من اية ثورة من الثورات الحديثة بقدر ما كان الحصول عليه صعباً. ولنعد الى الواقع القريب. لنعد الى تجارب الشعوب الحديثة التي حررت نفسها ونالت حقوقها القومية بقوة السلاح. لنعد الى التاريخ القريب ولنبتعد عن الخيال وعبادة النظريات المجردة والمبادىء.

صحيح ان كل ثورة شعبية كقاعدة عامة باختلاف اتجاهاتها واهدافها بدأت باعتمادها على مواردها وطاقاتها الخاصة الاّ انها كانت اقصر باعاً من ان تخوض غمرات كفاحها المرهق الشاق الى النهاية معتمدة على مواردها الخاصة ولاسيما في هذا العصر الذي جعل تطور الاسلحة من اصغر الدول قوة يعتد بها لاتقوى على مجابهتها ثورة شعبية داخلية. والاسباب والمبررات وفيرة. فالشعوب الثائرة كانت قد بقيت فترات طويلة وهي مستغلة ومستعبدة مجردة من وسائل المقاومة والتحرك تواجه عصر سباق في التسلح لانظير له مع تطور سريع جداً في نوعية السلاح وشدة تأثيره. فالجيش العراقي مثلاً احدث ثلاثة انقلابات في اسلحته خلال فترة لاتتجاوز خمس عشرة سنه. ففي 1952 ـ 1955 تزود من بريطانيا والولايات المتحدة بآخر تطور للاسلحة الحديثة مما كان قد استخدم في السنوات الاخيرة من الحرب العالمية الثانية بما في ذلك الطائرات. وفي 1958 احدثت ثورة 14 تموز انقلاباً في سلاح الجيش عشية تأسيس العهد الجديد علاقاته الصميمة مع الاتحاد السوفيتي. واذ ذاك فتح السوفييت مخازن سلاحهم بوجه الحكم العراقي وعقدت صفقات كبيرة بما يشبه المجان. وفي ظرف سنتين فحسب من قيام الثورة أصبحت الهوة سحيقة بين اسلحة الثورة البدائية والاثرية وبين سلاح الجيش العراقي.

ان استمرارية الثورة وضعف جبهة (اللواء قاسم) الداخلية اقلقت بال اصدقائه السوفييت. ولهذا فحسب اخذوا عليه اقدامه المتهور واصراره على (الحل العسكري) للقضية الكردية ولكنهم لم يقطعوا عنه سيل الاسلحة. ولما اشتدت المعارضة الداخلية لحكمه وتحالف عليه اعداؤه وادرك الاتحاد السوفيتي ان الثورة الكردية ستصمد امام الحل العسكري وستبقى وتقوى انتهز (نيكيتا خروشچيف) فرصة وجود الوفد العسكري العراقي الذي سافر الى موسكو في اواخر

العام 1962 لطلب المزيد من السلاح والعتاد. وابلغه ان الاتحاد السوفياتي سيعيد النظر في قرار ارساله الاسلحة الى العراق اذا بقي (قاسم) مصراً على (الحل العسكري) فبادر (قاسم) من جانبه فحسب ليعلن فترة هدنة ولقي مصرعه بعد ايام قلائل دون ان يدري احد ماذا كان يدور في خلده من حل. لم يكن الاتحاد السوفيتي يهتم ببقاء الثورة الكردية عشر معشار ماكان يخشى على حكم قاسم من السقوط.

وشن الحكم الجديد الحرب على الثورة في حزيران 1963 مستعيناً هذه المرة بالجيش السوري. فقد عبر (لواء اليرموك) الحدود العراقية واخذ مواقعه بجانب قطعات الجيش العراقي في الجبهة.

دولة تساعد دولة لقمع ثورة داخلية فيها.

وثورة يؤخذ عليها طلب المساعدة الخارجية.

هل كان يترتب على الثورة الكردية في هذه المرحلة ان تبقى معتمدة على نفسها وتجلس كالاوزة المهيضة الجناح تنتظر النهاية المحتومة؟

ماهو الطريق التي كان على قيادتها ان تسلكه؟

ان الاصرار على الاعتماد على النفس. هذا التزمت (البيوريتاني) الذي التزمت به قيادة الثورة في البداية صار الآن محض حمق وقصر نظر سياسيين.

كان من الطبيعي ان يتخذ الحكم الجديد (عهد عبدالسلام عارف) موقفاً عدائياً مشوباً بالحقد من السوفييت. لقد بدء بمقتلة في الشيوعيين لم ير الشرق الاوسط لها مثيلاً تنفيذاً للتعهد الذي قطعه للغرب الذي ساعد المؤتمرين على الوصول الى الحكم. وساءت علاقاته مع الاتحاد السوفياتي الى درجة هددت حكومته بقطع الصلات الدبلوماتية. وهنا قوي امل الثورة الكردية بعون السوفييت. ان الثورة الكردية كانت ثورة تحررية تقدمية تقوم على سواعد الفلاحين والكسبة وتتوفر فيها شروط الثورة طبقاً لنظرة الماركسية اللنينية. والحكم الجديد حكم شوفيني موغل في الرجعية لايخفى علاقاته بالغرب بل يحاول توثيقها واضعاف علاقاته مع العالم الاشتراكي في عين الوقت. الا ان الاتحاد السوفييتي لاسباب تتعلق بِستْراتيجه السياسي في الشرق الاوسط خصوصاً، أصر على الا يفقد امله في تحسين علاقاته بالحكم العراقي الجديد حاول ان يحتفظ بمواقعه القديمة او بجزء منها في العراق عن طريق (الرئيس عبدالناصر) ولم يكن تقربه من الثورة الكردية في ذلك الحين الا واحدة من وسائل الضغط التي

كان يستخدمها مع الحكم الجديد في هذا الاتجاه. وليس علينا الآن ننوه تنويهاً بالمقابلة التي تمت بين (خروشجوف وعبدالسلام) بمناسبة افتتاح (سد اسوان).[1] الاّ ان زوال حكم عبدالسلام عارف ـ الذي اصغى الى نصيحة (عبدالناصر) وعقد كارها هدنة مع الثورة فترة

1ـ يتناول الصحافي محمد حسنين هيكل مؤرخ عبدالناصر وموضع سره ـ بالتفصيل في كتابه الصادر في لندن 1973 بعنوان Nasser The Cairo Documents واليك ترجمتها نصاً:

(تمت مقابلة الاثنين بمناسبة افتتاح سدّ اسوان):

كان محتوماً ان تبرز مشاكل، فمن بين الضيوف الذين دعوا الى اسوان لمشاهدة عملية تحويل مياه النيل، كان هناك عارف: وهو مع عبدالناصر وخروشجوف واحد من الخطباء الرئيسين، وقبل اسبوعين من لقائه هذا (بخروشجوف) كان قد حوكم اثنان من الشيوعيين العراقيين ونفّذ فيهما حكم الاعدام الذي صدر عليهما.

في (أسوان) كانت المصالحة بين خروشجوف وعبدالناصر كاملة، وقام الزعيم السوفييتي بتقليد عبدالناصر وسام لينين مع منحه لقب بطل الاتحاد السوفييتي، لكن "عارفاً" كان شيئاً مختلفاً. قوبل (خروشجوف) باستقبال حماسي من اهالي السودان عند صعوده منبر الخطابة، الاّ ان خطابه كان طويلاً زاده طولاً ترجمته فقرةً فقرةً. لكن، ماان بدأ "عارف" يخطب ويقتبس من الآيات القرآنية وكان رجلاً دينياً ـ حتى جن جنون الجماهير وراحت تهتف هتافات تشق عنان السماء وتهدر هدير الرعود كلما تلا آية قرآنية. لم يكن بوسع (خروشجوف) ان يفهم السبب في هذا الهتاف الجنوني لجهله باللغة. ولاسيما لشخص يشنق الشيوعين وبدا واضحاً انه بلغ غايةً من الانزعاج بهذا الترحيب الحماسي الذي قوبل به خطاب "عارف". وفي السيارة التي كانت تقله الى فندق (كاتراكست) التفت الى عبدالناصر وقال له:

ـ أي صديقي الرئيس، إلى متى ستحاول فرض هذه العنزة عليّ؟

فسأله عبدالناصر "اي عنزة؟".

اجاب خروشجوف صارخاً "عارف، عارف، عارف!" ثم تناول جريدة نشرت صورت عارف وقال "ألايبدو شبيهاً بالعنزة؟"!

بعد الانتهاء من عملية تحويل المياه، وكانت عملية شاقة للغاية، رتبّ ان نستمتع بيوم راحة، إذ كانت حرارة الجوّ قد نالت من الزعيم السوفييتي، وفي (برنيسه) على ساحل البحر الأحمر كان ابن بللا وعارف معنا. وهيئت زوارق لمن يرغب في صيد السمك. وفي فترة انتظارنا لها ونحن في يخت (الحريّة) توجه "عارف" الى خروشجوف ليبثه اعجابه بالاتحاد السوفياتي.

فالتفت اليه خروشجوف فوراً قائلاً له بصوت جهوري.

ـ لايمكن ان نكون اصدقاء مع اولئك الذين يشنقون الشيوعيين

صعق "عارف" وجمد في مكانه. عرا الخجل عبدالناصر، ولم ينطق احدٌ بكلمة، الاّ ان (بن بللا) الذي كان يتمتع بمقام خاص عند السوفييت بوصفه بطل ثورة الجزائر، توجّه الى خروشجوف وانطلق يدافع عن القومية العربيّة=

من الزمن في محاولة منه لوقف نفوذ الاتحاد السوفيتي اليها ـ احيا الامل في نفوس

= باللغة الفرنسية لأنه لم يكن يعرف من العربية الاّ قليلاً، بقوله ان الزعيم السوفييتي لايفهم شيئاً عن الوحدة العربيّة وعن العرب، واستمر في بسط حججه الاّ ان خروشجوف قاطعه بقوله.

ـ يجب ان اقرّ بأنني لا افهمك، اذ لايوجد ثمّ إلاّ وحدة واحدة، هي وحدة الطبقة العاملة ....[انتهى]

تطرقت الى هذه المقابلة الفريدة مؤخراً الصحيفة الروسية [أركومينت إي فاكت] الصادرة في موسكو بالعدد 41 الصادر في تشرين الأول 1997 ضمن مقال كتبه الصحفي [الكساندر موزوزف]. فنسبنا نقل ماجاء عنها حرفياً لطرافتها ولمضاهاتها بما كتبه (هيكل) عنها. [تفضل الدكتور خليل عبدالعزيز بترجمتها لنا].

• من بين ضيوف جمال عبدالناصر، كان الرئيس العراقي السابق عبدالسلام عارف الذي عرف بممارسة اعمال القسوة على الشيوعيين العراقيين، فنال عنها كره موسكو وسخطها.

ويبدو ان عبدالسلام حاول ان يساوم على تعديل موقفه من الشيوعيين العراقيين مقابل الحصول على المساعدات السوفيتية فجلس بالقرب من [اوليغ كلتونوفتش] المترجم الخاص للزعيم السوفييتي وابلغه برغبته في التحدث اليه. فانهى المترجم الرغبة لرئيسه. وانتبه خروشوف مُتذكراً. وبادر يقول متسائلاً:

ـ اليس هو عارف الذيّ قتل الشيوعيين؟.

اجابالمترجم:

ـ انه هو.

قالخروشوف:

ـ اذن فابلغه، أني لست على استعداد للحديثْ معه لحسب بل لست مستعداً ايضاً للتفوّط الى جانبه لو ضمنّا مرحاضٌواحدٌ.

قال هذا وراح يتطلع برضا وانشراح الى عارف ليرى اثر قوله منتظراً ردّ الفعل.

كان بالنسبة الى المترجم المسكين موقفاً في غاية من الحراجة. أن يكلّف بترجمة عبارات خروشجوف المهينة لرئيس دولة وينصّها هذا. في النهاية قررّ في ذات نفسه ان لايفعل وان يستعيض عنها بعبارات رسمت على وجه الرئيس العراقي علامات الرضا والارتياح.

وادرك خروشجوف ان شيئاً قد حصل خلاف ماتوقع. فتوجه الى مترجمه قائلاً.

ـ هل نقلت له كلامي بالنص؟

اجابالمترجم.

ـ ابلغته بانك مشغول ولا وقت لديك للتحدث اليه الآن.

وعصف الغضب بخروشجوف وطرد المترجم فوراً.

السوفييت حتى خيل اليهم ان بوسعهم اعادة مواقعهم في العراق على عهد (عبدالرحمن عارف). وعندما تطلع هذا بانظاره الى السلاح الفرنسي وبدء بمفاوضاته الجدية حول ذلك سارع الاتحاد السوفييتي بعرض اسلحته كما بدء الحكم الجديد بمحاولة التقرب من ايران التي بدأت في ذلك الحين تمد الثورة بالمساعدات بشكل متصاعد.

وانفتح حكم (البكر) على الاتحاد السوفييتي بشكل غير منتظر وراح يوثق علاقاته بدول الكتلة الشرقية باندفاع فعقد معاهدة صداقة وتحالف مع الاول وأقدم على الاعتراف بالمانيا الديمقراطية وتبادل التمثيل الدبلوماسي معها بجرأة يحسد عليها ليتقاضي الثمن فوراً فقد بادر الاتحاد السوفييتي الى فتح مستودعاته الحربية بوجه الحكم الجديد وزوده بأسلحة حديثة أثارت القلق الشديد في نفوس الدول المجاورة لان انواعاً منها ولاسيما الطائرات المتطورة والصواريخ كانت تعتبر سراً حربياً ضن بها السوفييت حتى على حليفاته من دول الكتلة الشرقية. وسددت المانيا الديمقراطية الدين وردت الجميل بشتم الثورة الكردية ووصف قائدها البارزاني بالعميل الرجعي في تصريح رسمي ادلى به وزير خارجيتها ببغداد ويتعاونها الوثيق مع النظام الجديد في ميدان التعذيب وانتزاع الاعترافات بالاكراه وارسالها الخبراء والاجهزة الخاصة لها وبعمليات النسف والتخريب حتى قيل ان التفاصيل الفنية والتكنولوجية لعملية اغتيال الرئيس رئيس الحزب المشهورة بعملية (مؤامرة العلماء) اضطلع بها هؤلاء الخبراء.(2)

كانت استمرارية الثورة ومقاومتها تتوقفان على الدعم الخارجي والدعم الكبير بعد تغير الموقف بصورة ملحة. كان على الثورة ان تستفيد من الصداقات ومن الخصومات الدولية ومن التعقيد في سياسة الشرق الادنى وبكلمة اخرى من حالة الصراع على مناطق النفوذ. وفي نظرنا ان صح لوم الثورة على شيء فليس لأنها نشدت العون الخارجي بل لانها ابطأت في اطلابه ولم تعرف كيف تستفيد منه عندما ضمنته. ان حرص القيادة الاولى على (لاانتمائية الثورة) ثم على نشدان العون من دول الكتلة الشرقية عبثاً كان متأتياً من ان الثورة في الحالة الاولى ستفقد استقلالها الفكري وفي الحالة الثانية ستتخلص من تهمة الرجعية والعمالة الامر

2ـ كانت استعانة الجهاز الارهابي البعثي بالمعرفة التكنية لجهاز الاستخبارات الالماني الشرقي (ستاسي) كبيرة وقد استهوته منها بصورة خاصة لعبة لعب الكارتون الملئى بالمتفجرات التي تنفجر في وجه من يفتحها فتقضي عليه وعلى من هم حوله، وقد بُعث خلال الثلاثة ايام المتوالية 16 و17 و18 من كانون الاول 1971 بثلاث منها الى كردستان ادت اولاها الى مقتل المسؤول الحزبي لمنظمة قرية (نار كيله كان) مع سبعة آخرين، وشك في امر ثانيتها فجيء بها الى مقرّ الثورة حيث جرى تفكيكها، وادت الثالثة الى مقتل اثنين من البشمركة.

الذي سيحملها على التنازل عن مبادئها واهدافها. وكذلك كان مبعثه الخوف على سمعتها عند الاحزاب والفئات الوطنية في العراق واتهامها بالرجعية والعمالة اذا جاء العون من العالم الغربي وأصدقائه مثلما كانت تخشى في باديء الامر ان تتهم بالشيوعية والالحاد واليسارية من جانب احزاب محلية اخرى. ولقد انحدر بها هذا الخوف الى التذبذب والانتظار الطويل حتى وجدت نفسها تنحدر الى احضان الحكومات العراقية المتعاقبة بصرف النظر عن اتجاهات وسياسات تلك الحكومات لتكون لااكثر من واحدة من الجماعات المسلحة التي كانت تلك الحكومات تستأجرها وتسلحها وتوجهها لمحاربة الثورة باسم الفرسان او القوات غير النظامية.

لقد توارثت هذا الخوف الموهوم القيادة اللاحقة التي خلقها البارزاني فكنت تراها تخجل عندما ينوه لها احدهم بهذا العون وتتستّر وتتكتم واحياناً ينكر اعضاؤها الاكثر خوفاً (معرفتهم) به. كما لو كانت ترتكب جريمة بحق المباديء وبحق الشعب الذي تتولى قيادته. في الواقع ان (الاتهام) بقبول هذا العون سبق المساعدة الفعلية بوقت طويل. اذ نشر الحزب الشيوعي فرع كردستان في ايلول 1961 اي عند بدء الثورة بياناً وصف فيه الثورة بانها "حركة برجوازية اقطاعية تحركها أصابع الاستعمار ضد الحكم الوطني وتقودها حفنة من الشيوخ والاقطاعيين الذين تضرروا من قانون الاصلاح الزراعي وفقدوا امتيازاتهم في العهد الجمهوري". مثلما وصفها القوميون بعد زوال حكم اللواء (قاسم) بانها "اسرائيل ثانية. وخنجر مسدد الى ظهر الامة العربية".

على ان الحزب الشيوعي العراقي ومن ورائه اعضاؤه الذين كانوا يقاتلون في الجبهة سكتوا سكوتاً مطبقاً رغم معرفتهم بان الطعام الذي يأكلونه والكساء الذي يرتدونه والاسلحة والاعتدة التي يقاتلون بها - بل العناية الطبية التي يتلقونها انما هي من ثمرات دعم العالم الرأسمالي (اي الرجعية والامبريالية). وفي هذا الوقت بالذات وبعد ان زادت المساعدات الخارجية عمقاً وحجماً اصبحت الثورة في ادبيات الشيوعيين "ثورة تقدمية تحررية تعبر عن اماني الشعب الكردي وتطلعاته خير تعبير، وتمثل خير تمثيل كفاحه في سبيل اثبات حق تقرير المصير الذي ظل الحزب الشيوعي يطالب به لكرد العراق منذ تأسيسه باعتباره مبدء مقررا من مباديء الاممية الشيوعية" (جريدة الحزب السرية - طريق الشعب).

ولنعد الى اصل الموضوع. بعد ان ساءت العلاقات بين زعماء انقلابيْ شباط 1963

وتشرين 1963 وبين الاتحاد السوفياتي خيل للثورة الكردية ان الوقت مهيأ لها لطلب العون من الاتحاد السوفييتي. كان العدو يؤلب عليها ويحاول احكام الحصار حولها من كل الجوانب في الوقت الذي كان الانشقاق الداخلي يهددها بالدمار. في هذا الوقت بدأت المحادثات حول الوحدة العربية الثلاثية بين مصر والعراق وسوريا في القاهرة ولم يعد في اجهزة اعلام (عبدالناصر) موضع لاهتمام وعطف على القضية الكردية. وصرح الرئيس المصري لاحد مندوبي الثورة قائلاً "احب ان اقول لك اني ضد اي عملية انفصالية في اي وطن عربي. وستقاوم الجمهورية العربية المتحدة اي اتجاه من هذا النوع مهما كانت الظروف" (وواضح انه كان يعني ضمناً ان كردستان العراقية هي جزء من الوطن العربي طبيعي وغير قابل للتجزئة ـ (قصة الاكراد في شمال العراق تأليف امين سامي الغمراوي ص 407).

لقد تكرر هذا في 1966 ببيان للقيادة السياسية الموحدة (المصرية ـ العراقية) الذي أكد بشكل جازم في مادته الخامسة مايلي "تؤكد القيادة السياسة الموحدة وحدة التراب العراقي وتقف في وجه اية محالة خارجية او داخلية لفصل او اقتطاع اي جزء منه. وهي في سبيل ذلك تساند العراق لانهاء التمرد القائم في جزء منه".

وهكذا بقي الشك العظيم يساور الضمير العربي المتأثر باتجاهات حكوماته. وفي افضل الاحوال اي عندما تكون دولة عربية ما على اسوء العلاقات مع الحكم في العراق وتتمنى زواله. او حتى عندما تكون مهددة به فانها كانت تخشى على سمعتها (العربية) اذا مدت يد العون للثورة الكردية. طلب من رئيس دولة عربي كان يتمنّى زوال النظام العراقي في العام 1972 ان يدعم الثورة الكردية فأجاب "اجل اني اعطف على الكرد وادعو الله لنصرتهم. ولكن ماذا سيقول عني سائر العرب عندما تنكشف مساعدتي هذه؟.[3]

وفضلا عن هذا كله فان سرعة العداء والصداقة بين الانظمة العربية والخوف المتبادل فيما

3ـ التخطيط السياسي، واتخاذ القرارات غير المدروسة، فضلاً عن إناطة أمر تنفيذها بمن افتقر الى معرفة حقيقية بشؤون الشرق الاوسط، ولاسيما بعلاقات حكام دولها بعضهم ببعض وبطبائع السياسات المحلية الموجهة، كان واحداً من الأمراض التي تشخّص في قيادة الحزب. ولعلّ ابلغ مثال عن هذا التخبط، ونتائجه المضحكة ولا اقول الخطيرة ـ حَدَثٌ شاع أمره في دوائر الثورة وتناقلته الافواه واصبح حديث المجالس بعد ان افتضح امره. لكن لم يجرأ أحد على تدوينه او اذاعته علناً حتى هذه الساعة.

كان ذلك عندما توصلت اللجنة المركزية أو المكتب السياسي بالأحرى الى وجوب التقرب من الانظمة العربيّة. لغرض طمأنتها بأن أهداف النضال الكردي والثورة لاتتضمن انفصالاً عن العراق. جرى ذلك في الوقت الذي=

بينها كان يحث تلك الانظمة على اهتبال الفرص للدخول في مزايدات ومسابقات ومنافسات

=كثُر التحدث في الصحف الاجنبيّة عن صلة الثورة باسرائيل ومن المساعدات والزيارات المتبادلة، وخروج الأمر من دائرة الشائعات التي تفتقر الى برهان.

كان راديو الثورة في ذلك الحين يذيع ماسمّاه برسائل مفتوحة من مسؤول الاعلام (دارا توفيق) الى صديقه (سالم ربيّع علي) زعيم اليمن الجنوبي. وملامصطفى يتساءل بشيء من التهكم عمن يكونُ سالم ربيّع علي هذا وماذا يستطيع ان يعمله للكرد. وعلى كلّ فقد اتجهت قيادة الحزب الى انتهاج التقارب من الدول العربية وحزمت امرها على هذا بالقرار المتخذ مباشرة بتأليف وفد او سفارة تقوم بجولة تبدأ بالمملكة العربية السعودية ثم تنطلق بعدها لمقابلة انور السادات في مصر. وتألف الوفد من السيد محسن دزئي (غير حزبي) ومن محمد محمود عبدالرحمن (عضو المكتب السياسي). وبعد مقابلة للعاهل السعودي وصل الوفدان الى القاهرة. ورتب مسؤولنا الدكتور فؤاد معصوم هناك مقابلة له مع الرئيس المصري وحضرها هو شخصياً.

احتكر (محمد محمود عبدالرحمن) معظم الحديث بعد كلمة ملطّفة وترحيب حار من الرئيس المصري افقدت موفد الثورة ولاشك كثيراً من الحذر وسلبته التحفظ . فانطلق على رسله دون ضابط.

سبق للسادات ان تلقى رسالة خاصة من (احمد حسن البكر) يرجوه فيها استخدام صداقة شخصية ودالّة على الشاه الذي سيكون في طريقه الى الجزائر بعد شهر او نحوه سعياً لابرام اتفاق ونتيجة المفاوضات السريّة التي كانت ستجري هناك بتوسط (هواري بومدين).

واستهل الموفد الكردي كلامه مشيداً بالعلاقات التاريخية التي تربط الشعبين الكردي والعربي. والعطف الذي لقيته الثورة من قادة ثورة يوليو وفي مقدمتهم الرئيس الراحل جمال عبدالناصر وسئل من قبل السادات او هو تطوع بالحديث عن علاقة الثورة بايران والولايات المتحدة. فبادر بالقول ان الثورة مضطرة إلى طلب العون من الشاه رغم انها لاتثق به ولاتطمئن الى نواياه وان السبب في هذه الصلة يعود الى مواقف الدول العربية من قضيّة التحرر الكردية. وان الشاه في الواقع لايريد بالثورة الكردية خيراً لكن من مصلحته ان يرى دم الشعبين ينزف لأن ذلك من شأنه اشغال الحكام العراقيين عن مطالبهم بعربستان (خوزستان) ووسيلة للضغط عليهم بقبول تسوية للحدود.

كل ذلك كان حقيقياً وصحيحاً بطبيعة الحال، لكن اكان من الكياسة وحسن السياسة ان يقال لصديق للشاه؟ وفضلاً من ذلك، فقد كان جهاز الاستخبارات في الثورة الكردية (الپاراستن) قد علم قبل اشهر بوجود محاولات جديّة سريّة لتقريب وجهات النظر بين ايران والعراق تختم باتفاق يحسم نزاع الحدود نهائياً. ولم يعبأ احد في القيادة بهذه المعلومات ولم يقيموا لها وزناً. كانوا متأكدين بأن الشاه لن يدير ظهره للثورة مطلقاً.

في منتصف كانون الأول حلّ الشاه ضيفاً على انور السادات في القاهرة وهو في طريقه الى الجزائر ونوه السادات لزائره باستعداد العراق لقبول شروطه وبموضوع المساعدات التي يخصصها للكرد الثوار، واشار بأنّ لديه تأكيدات بان الاتفاق مع جاره لن تقف امامه عراقيل أخرى غير هذه. فأجاب الشاه ان مايتلقاه الكرد هو

على رفع الشعارات القومية العربية الاكثر تطرفا. الامر الذي كان يجعل الاعتماد الثابت على

= مساعدات انسانية بحتة لاتتعدى العناية بجرحاهم وسدّ حاجة ملحة الى اسباب عيش وفتح الحدود بوجه اللاجئين من القصف الجويّ.

وبطبيعة الحال لم اكن انا ولم يكن غيري اثناء هذه المقابلة لينقل ماجرى بين الزعيمين من حديث ولامن يسترق السمع اليه ولا الى مشهدٍ آخر غير ممثليه الحقيقيين. وما ذكرناه في الفقرة مستخلص مما رُوي عن المقابلة الأخيرة بين ملامصطفى وبين الشاه بعد اعلان اتفاقية الجزائر. زائداً بعض التفاصيل التي أصطنعها خيال راوية القصّة وهو تحصيل حاصل وافتراض لما وقع. يقول الراوي غفر الله له:

عند ذلك نادى السادات وزيره (اشرف مروان) قائلاً:

"اشرف!هات الشريط".

كان السادات قد سجل وقائع المقابلة التي تمّت بينه وبين الوفد الكردي وهي العادة المتبعة في المقابلات الرسمية، وقيل والعهدة على الراوي ان الشاه سمح التسجيل صامتاً واخذه معه.

في ذلك الحين كانت المساندة العسكرية الايرانية للثورة قد بلغت حدّها الاقصى نتيجة الضغط العسكري المتزايد والفشل المتلاحق في وقفه وبسبب تهافت معنويات البشمركة وقد ادّى هذا الى خسران مواقع ستراتيجية هامة نتيجة سوء القيادة فاستنجد بمنفعية الجيش الايراني الثقيلة التي بدأت تعبر الحدود بمقطورات لتجد طريقها الى خطوط القتال، وقد ارتدى ضباطها وجنودها زي البشمركة فبدوا فيه مناظر تثير التعليق والابتسام وكان يسهل تمييزهم بسبب عدم اتقانهم ارتداءها.

كانت الدبابات العراقية قد نجحت في الإنحدار من شمال راوندوز مخلفةً (هندرين) وراءها، ذلك الجبل الأشم الذي شهد في العام 1966 اعظم هزيمة لحقت بالجيش العراقي عبر تاريخه هددت قلب الثورة في عقر دارها.

بعد اعلان اتفاق الجزائر بيومين شخص ملامصطفى الى طهران بصحبة محمود عثمان ومحسن دزني وهناك وفي مقابلة مع الشاه - قالوا والعهدة على الراوي ان الشاه نكرهم بأقوال موفدهم الى السادات وهي الاقوال المدونة في الشريط ولاندري هل اسمعهم اياها أم لا. ولعله فحسب نكّرهم بها. ليس هناك كبير أمل في ان يتفق الباقيان على قيد الحياة لنقل وقائع هذا الجزء من تلك المقابلة. فلا احد في الثورة يريد أن يبدو مقصراً أو مداناً عند الجميع او عند اقرانه. لذلك كان انتقاد المواقف الفردية من المحرمات. فلا توجه تهمة علناً في اجتماع حزبيّ للقيادة والجميع يتبادلون الكتمان. إلاّ انهم يسمحون لأنفسهم باغتياب احدهم الآخر (الاعداء فقط) من وراء ظهرهم والكشف عن هذا الموقف أو ذاك باسلوب الغيبة والنميمة. بهذه الوسيلة وحدها تمكنا وتمكّن غيري من الفوز بقصة الشريط المسجل وبفصولها الثلاثة واذكر مما انكر أني سألت الدكتور (فؤاد معصوم) وكان في زيارة على أثر شيوع أمر الفصل الاوّل منها. فسألتُه - كيف سمحتم لعضو وفدكم بحرية هذا القول؟. ألم تتفقوا مسبقاً على ماكنتم ستقولونه للسادات؟ نفى أن تكون هناك خطّة معدّة. والقى باللوم على عضو الوفد المتكلّم، واقرّ بانه وزميله الآخر فوجئا بهذه الإنطلاقة الكريمة الصريحة!=

اي دعم عربي على فرض امكان الفوز به محفوفاً بالمخاطر بسبب الانقلابات الفجائية والتغير السريع في المزاج السياسي عندها.

مع هذا حاولت الثورة منذ بدايتها حتى نهايتها لفت انظار الرأي العام العربي اليها واستجلاب عطف الحكام العرب فكان الفشل حليفها. بل وجدت حالات فيها كان بعض الانظمة العربية المعادية لنظام الحكم في العراق يكيد للثورة تقرباً من ذلك الحكم وطمعاً في تحسين علاقتها به. ومع هذا فليس بوسعنا اطلاق هذا الحكم على سائر سياسات الحكام العرب طوال الفترة الزمنية التي عاشتها الثورة. فقد اجبر تصاعد الشعور القومي الكردي في كل مكان وصمود نضاله المسلح - الكثير من الاوساط العربية السياسية على اتخاذ مواقف ايجابية جداً من الحركة الوطنية الكردية وان دخلت هذه المواقف احياناً في نطاق السياسة العدائية العامة الموجهة ضد نظام الحكم العراقي.

ان التحول العقائدي الجوهري الحاد الذي اتخذه الحزب الحاكم في العراق. وان كان مناورة مكشوفة للتقرب من الثورة الكردية سياسياً بغية تنفيذ مخطط تصفيتها. الاّ انه على كل حال اقرار رسمي بشرعية الثورة وصحة مبادئها كان على القيادة لا ان تقبله بتحفظ فحسب بل ان تسلح به نفسها بعد صدوره مباشرة وقبل بدء مفاوضات آذار واثناءها وتتخذه اداة للتقرب من العالم العربي لغرض تنمية شعور العطف وان تبشر به كرسالة توعية لتلك الانظمة العربية التي كانت تقف بالمرصاد لنظام الحكم في العراق وتطمح الى ازالته. الا انها اعتبرته اعترافاً محلياً ونفت عنه صفة الدولية عندما بادرت الى الاتفاق على بيان آذار دون تريث وانتظار ردود الفعل العربية والدولية لهذا الاقرار الرسمي بعدالة المطالب الكردية. ولو انتظرت القيادة ردود الفعل بعد بذلها قليلاً من الجهد واتصفت بشيء من الاناة وبعد النظر فلا شكّ انها كانت ستجد عوناً لها من تلك الانظمة ودعماً معنوياً واعلامياً على اقل تقدير قد يخشى منه نظام الحكم العراقي ويدفعه بالنتيجة الى المزيد من التساهل واعطاء الضمانات لشروط الاتفاق على حجم تلك الحقوق التي يناضل من اجلها شعبنا أكثر مما تضمنه بيان آذار نفسه. فضلاً عن ان هذه الصلة السياسية الجديدة ستكون وسيلة واداة لاقتراب الثورة من تلك

= "المافيا مصطلح الأومرتا Omerta المشهور ويطلق على قانون التكاتم الذي يلتزم به الجندي منهم عند صيرورته عضوا في العصابة ليقع تحت طائلة الموت في حالة افشائه اسرارها.

وهذه هي (الاومرتا) الثورية لقيادة الحزب الديمقراطي الكردستاني، اي مظهره الديمقراطي.

الانظمة. الاّ ان قيادة الحزب والثورة كانت قد بنت خطوط تحركها في هذا المجال على ثقة تكاد تكون مطلقة بحسن نية الطرف المقابل ـ او بكلمة اخف على فروض مغرقة في التفاؤل والخيال ونظريات ومعطيات مبالغ فيها لاتخلو من ضيق افق وتصلب في وجهة النظر يبلغ بها حد الانجماد الفكري والعناد الطفولي الذي ينقلب فجأة وعند طروء حالة سياسية حرجة غير متوقعة ـ الى لين استسلامي وشلل في التفكير.

لم يكن احد من القيادة يفكر (او يجروء على التصريح ان كان يفكر فعلاً) بامكانية حصول التقارب بين وجهتي النظر الايرانية والعراقية وحل خلافاتهما وانهاء النزاع السياسي بينهما على اساس التنازل العراقي التام عند جميع المطالب الايرانية. فقد بدا لهم ان الحزب الحاكم في العراق مصمم على عدم التنازل عن وجهة نظره في النزاع بأي شكل كان. كانت التحركات السياسية نحو التقارب بما فيها الوساطات الدولية قائمة بين الطرفين قبل سنتين من نهاية الثورة ولم تعر القيادة اهتماماً الى مغزى الاجتماعات التي كانت تعقد بين مسؤولين من الطرفين في بعض العواصم. وتطوع أكثر من حاكم عربي بالوساطة تقرباً من ايران ونشدانا لصداقتها.

*** *** ***

أجل، فأمام فيض الاسلحة المتدفق على الحكومة العراقية لم يكن أمام الثورة من سبيل الاّ اطلاب العون. العون السريع الكبير غير المشروط. الثورة باسلحتها الاثرية القديمة تجابه جيشاً حديثاً واسلحة عصرية متقدمة. الثورة تتسع لتشمل مناطق كردستان كلها. والجيش والقوات غير النظامية المساندة يدفعان الى قلبها وهما في زحفهما عشرات الالوف من المشردين المعدمين وكلهم افواه آكلة لاسبيل لاملاء بطونها. الثورة لاتجد لها نصيراً فعّالاً في العالم العربي. الثورة سجينة وراء نطاق محكم من الحصار الفكري والاقتصادي والجغرافي. ولذلك قبلت بالمساعدة الايرانية. لقد اخترق رئيس الحزب حاجز التردد والخوف الذي كان يساور بعض القياديين اليساريين اصرّ على الخطوة واضعاً مصلحة شعبه ومستقبل نضاله فوق كل الاعتبارات متحدياً ومجتازاً جميع العقبات فانقذ الثورة وهي في أحرج ساعاتها تشكو آثار التصدع وتقف على شفا الانهيار. لقد اختار أنسب ظرف لذلك ولذلك سكت عن انتقاد خطوته والتنديد بها من كان يجد نفسه أحق الاطراف السياسية بانتقادها واقصد بهم شيوعيي العراق والاتحاد السوفييتي نفسه. كان هذا العون بنوع خاص يلائم الستراتيجية

السياسية السوفييتية من جهة علاقته المهددة دائماً بالانظمة العراقية لان اطراد المساعدة الايرانية ثم الامريكية [4](فيما بعد) للثورة كان من شأنه ان يزيد من اعتماد واتكال الحكم العراقي عليه. ولذلك لم يكن بعجيب (وان بدا كذلك للسذج وقصيري النظر) ان يستمر الاتحاد السوفييتي في ارسال مساعداته المالية الصغيرة للثورة ويسكت عن مهاجمتها في عين الوقت الذي كانت تتدفق عليها مساعدات تلك الدول "الرأسمالية الرجعية". وتبعاً لذلك لم يكن بالمستغرب ان تتفق انذاك صحافتا العالمين الغربي والشرقي على اتحاف الثورة الكردية بخير مالديها من عبارات العطف والتشجيع. انه لانجاز كبير في ميدان التعامل السياسي راحت قيادة الحزب تهلل وتصفق له مطرية حكمة رئيسها وثاقب نظره السياسي وسارعت لتقف بوجه المعارضين والمستنكرين والناقدين (وما كان اقلهم) موقف المدافع عن سمعته الى آخر لحظة من عمر الثورة.

واستمرت المساعدة الايرانية للثورة بشكل متصاعد ومطرد باطراد الهزائم والانكسارات التي كان يمنى بها الجيش الثوري الكردستاني في سائر الجبهات بعد استئناف القتال في آذار 1974.

في هذا الوقت بالذات كان الانقسام داخل القيادة واضحاً ظاهراً لكل ذي عينين. فأعضاؤها لايتورعون عن الشتائم والكشف عن العيوب والنقائص ونشر الفضائح كل وراء

4- ثم الاسرائيلية، بدأت في العام1965. لم اكن وقتها هناك. وفي 1968. لم يكن أمثالي ممن يصح ان يطلع على هذا. لكني توصلت اليه استنتاجاً وبمحض الصدفة. كنت اعد النشرة الانكليزية للإذاعة فيترجمها الدكتور محمود الى الفرنسية وتقوم سوية باذاعتهما. فاذا بي اجد اهم ماجاء فيها او مختصراً لها يذاع من القسم العربي لراديو اسرائيل وهو برنامج محبب للعراقيين منذ اثنتي عشرة سنة تقريباً. وكان هذا يسلمني الى دهشة لعلمي ان دائرة بث اذاعتنا محدود جداً حتى تكاد لاتسمع في بغداد، سيما وان محطة تشويش حكومية ركبّت عليها. وبقيت اعزو الأمر الى اجهزة التقاط اسرائيلية فائقة للعادة. حتى اتضح الأمر لي في العام 1973 اذ اعلمني من لااريد ان اذكر اسمه ان نسخةً من نشرتي كانت تسلم فوراً الى بعثة اسرائيلية مقيمة عندنا مزودة باجهزة ارسال واستقبال قوية وعن طريقها ترسل النشرة في غضون دقائق.

والمسألة هنا ليست مسألة صلة الثورة باسرائيل ومشروعيته لكنها مسألة الاسلوب الأخرق في الكتمان والاستمرار فيه رغم التقارير الصحفية العديدة التي كانت تنشر حول تلك العلاقة بتفاصيل ودقائق، بلغت حدّ معرفة الاشخاص من القيادة الذين كانوا يزورون اسرائيل ويستمتعون بضيافتها. وكلّ هذا كان معروفاً عند السلطة البعثية منذ العام 1970 عندما جلس قادتها مع معظم هؤلاء يتفاوضون ولم يجدوا حرجاً.

ظهر الاخر وعلى ملأ من الناس. مثلما لم يكونوا ليتحرجوا عن الاجتماع بعد ذلك مباشرة وكل منهم يرتدي قناعاً من المجاملة والود الكاذبين. فاية فكرة نيرة مفيدة. بل اي قرار صائب صالح نتوقعه للثورة والحزب من قيادة كان شغل اعضائها الشاغل تسقط العشرات والهفوات او التستر على اخطاء بعضهم بعضاً حيناً.[5] سرى شعور اللامبالاة الانحلال الخلقي في معظم القادة العسكريين وكان مقدراً له طبعاً ان يتسرب ويتفشى في صفوف البشمركة (افراد الجيش الثوري الكردستاني). لقد امسى داء قتالا فيه امتص كل حماسته ومعنوياته خلال اعوام 1970 ـ 1974 واصاب بالشلل والتحلل قوته القتالية التي اكسبته فيما مضى شهرته العالمية واوقعت الرعب في قلوب اعدائه. فانطوت اسطورة البشمركة فعلاً. اذ بعد ان كان هذا المقاتل الجريء يسترخص حياته. صار يضن بقطرة دم واحدة منها وبعد ان كان يعد التعب والجوع حلية وشرفاً وينافس اخوانه فيها ويفاخر بهما غدا يحاسب آمريه بجرأة ويحرص البخيل على مقدار ماينا ط به من واجب وعمل وما يعطى من مال او ارزاق مقارناً بما يعطى للاخرين ولايتردد في انتهاز الفرصة ليتهرب من الواجب. ولم يعد الجبن ورفض المشاركة في الحركة يشار اليهما وينتقدان بل صار الاقدام والشجاعة يفتقدان ليحمدا ويثنى عليهما.

كان في سلوك البشمركة هذا منطق الواقع المؤلم. وله فيه العذر والمبرر. سئل احد المقاتلين عن هذه الحال في معرض التأنيب والانتقاد فاجاب ـ "ماالذي يدعوني الى المخاطرة بحياتي؟ لماذا يطلبون مني ان اقاتل؟ وفي سبيل من؟ أليصبح (سعيد) غنياً وليعين (سعد) محافظاً؟ كلما سددت بندقيتي الى امام وجدت امثال (سعد وسعيد) امامي".

وجلس معظم القادة الحزبيين والامرين العسكريين في المؤخرة او احتموا في كهوف جبلية أمينة تتوفر فيها اسباب الراحة والحماية يحيطون انفسهم ببطانة من الطفيليين ويستعين بعضهم على قضاء الوقت بمعاقرة الخمر والتمتع بخير الطعام وكل منهم ينتظر نوبته للسفر الى ماوراء الحدود للاجتماع باهله وقضاء اجازة طويلة هناك. ولم يكن لديهم من عمل في الجبهة الاّ نقل انبائها الى المقر والمراكز المسؤولة بشكل مضلل بعيد عن الحقيقة لاعطاء صورة مطمئنة براقة عن الوضع العسكري.

لقد عمت الفوضى وفقدت المسؤولية الحزبيّة الى درجة لايصدقها العقل المنظم ولايستسيغها. وظهرت بوادر العصيان والتمرد على الاوامر وفقد قواد الجبهة السيطرة على

5 ـ راجع الفصل العاشر المضاف للمزيد من التفاصيل.

وحداتهم ولم تعد كلمتهم مسموعة. بل كانوا هم أنفسهم يخشون اصدار اوامر بالهجوم او الاشتباك مع العدو او التقدم او التمركز في موقع خوفاً من عصيان علني يفقدهم بقية سلطة كانوا يتوهمون وجودها في حين لم يبق منها غير الاسم والقشرة. ان السنوات الاربع التي قضوها راكضين وراء المراكز والمناصب وجمع المال باية صورة حتى ولو ببيع اسلحة الثورة وعتادها حطت من قدر معظمهم وافقدتهم هيبتهم الى الدرجة التي حملت المركز على اتخاذ قرارات متلاحقة بالنقل والعزل. اما القادة الذين احتفظوا بوقارهم وارتفعت انفسهم عن هذه التصرفات فلم يحسن الاستفادة منهم ولم يثبتوا في المواضع الجديرين بها.

ابتدء القتال في العام 1974 دون ان يكون عند الثورة خطة عسكرية واضحة. الا اذا اعتبرنا (الصمود والدفاع ومقاومة الهجمات) خطة عسكرية. لقد تغير القتال بشكل جوهري وحاد عما كان عليه في بداية الثورة ولم تعد الحرب حرب انصار تتولاها جماعات صغيرة متحركة بل انقلبت الى حرب ذات خطوط ثابتة وجبهات يستعمل فيها كل انواع الاسلحة العصرية الثقيلة منها والخفيفة. لقد التحق بالثورة اكثر من ثلاثمائة ضابط عسكري وضابط شرطة من القوات المسلحة تتراوح رتبهم العسكرية بين امير لواء وملازم. معظمهم ان لم نقل كلهم متحمس مستعد للتضحية والفداء. لم تفسدهم سنوات الهدنة الاربع. فقد اجتذبهم الى الثورة شعورهم الوطني وكرههم اطاعة امر قتال اخوانهم وسفك دمائهم فضلاً عن سمعة الثورة الداوية وانتصاراتها السابقة وعدوا التحاقهم بها فخراً وواجباً. عدد لايستهان به كان من ضباط الاركان ومن اذكى وانشط قادة الجيش وضباطه. فماذا فعلت بهم الثورة وكيف افادت قيادتنا من خبرتهم وحماستهم؟ المطلعون كافة يعرفون كيف آل مصير هؤلاء. كان وجودهم مصدر قلق عند بعض الآمرين والقادة العسكريين القدماء اذ عدوا وجودهم خطراً على مراكزهم وسمعتهم وخشوا ان ينكشف عجزهم اذا ماانيط بالقادمين الجدد واجبات حساسة او وضعوا في مراكز المسؤولية. لقد ادركوا بمنطق مبرر ان استخدام هؤلاء الضباط بشكل يناسب كفاءاتهم وعلمهم واندفاعهم سيفضح عن قصورهم هم وبالتالي يفقدهم مراكزهم التي طالما استخدموها للاثراء والربح الحرام. راح هؤلاء ضحية هذه المؤامرة الصامتة اذ وجدوا انفسهم في مراكز ثانوية ومقرات كتابية وكان أسعدهم حظاً من أنيط به مهمات تدريبية خلف خطوط الجبهة. وفي حالة تعيين احدهم في مهمة قتالية في الجبهة فانه يجد نفسه تحت امرة ضابط صف او نائب ضابط او مفوض شرطة او رئيس عشيرة لايفقه شيئاً من فنون القتال

العصري. وانتظر عدد كبير منهم ان تناط به مهمة او يعطى واجباً وطال به الانتظار حتى نهاية الثورة وهو يستعين على البطالة بالزيارات وشرب الشاي.

كانت ظاهرة مخجلة حالت دون تغذية الجيش الثوري الكردستاني بدم جديد مندفع ومتحمس متلهف للعمل مدرك واجبه العسكري متعود على الطاعة وتنفيذ الاوامر. كان للقيادة كل المبررات لاستبدال بعض القادة العسكريين السابقين بالضباط الجدد او على الاقل بتطعيمهم فالثورة في بدايتها كانت تفتقر الى هذا العنصر وكان تعيين معظم قادتها وضباطها العسكريين (ماعدا قلة بلغوا مركز القيادة بشجاعتهم وقابلياتهم القيادية) بدافع من الضرورة ولاسباب تتعلق بالولاء العشائري ولان القتال انذاك كان قتال انصار لاحرب جبهات ثابتة ولاسيما بعد استئناف القتال في 1974 حين اصبحت حرباً حقيقية يصعب على القادة الاولين استيعابها فنياً ووقع ماكان لابد من وقوعه. ونقم الضباط الملتحقون على انفسهم ثم وعلى الثورة وملئت قلوبهم بالخيبة والمرارة وقد حيل بينهم وبين ما كانوا يطمحون الى تقديمه في سبيل كفاح شعبهم من خدمة بعد التضحية بمناصبهم العسكرية وبمستقبلهم الوظيفي المرفّه فضلاً عن تعرضهم للموت الاكيد اذا ماوقعوا في يد العدو.

قلنا لم يكن للقيادة خطة عسكرية تواجه بها الهجوم العام الذي شنه نظام الحكم العراقي ولم يخطر ببالها ان تهيء خطة بعد بدء الهجوم الاّ اذا اعتبرنا الدفاع في وجه هجوم خطةً. ولذلك مني الجيش الثوري الكردستاني بهزائم سريعة متلاحقة واقدم على انسحابات بدون مبرر او داع ذهل لها العدو نفسه حتى وظنّها احياناً خدعة عسكرية. ولم تثبت قوات البشمركة في اي محور من المحاور التي شرعت قوات العدو بالتعرض لها في حين ظلت المحاور التي لم يتعرض لها العدو ساكنة ساكتة لاتقوم باي نشاط حتى لتخفيف ضغط الهجوم على المحاور الاخرى او لمشاغلة العدو على الاقل فكانت كالشاة في المجزرة تنتظر مصيرها من سكين الجزار وهي ترقب اخوات لها.

في غضون الايام القلائل الاولى شنت شمل هيز (هەولير) الذي كان يسيطر على سهل اربيل نفسه حتى منطقة المرتفعات المنتهية بپيرمام وسلسلة سفين ولحق به هيز سفين ملاقياً نفس المصير وانسحب هيز (زاخو) الذي كان يسيطر على منطقة تمتد من مفرق دهوك (45 كيلومتر غرب الموصل) انسحب الى ماوراء زاخو محتمياً بجبال الحدود التركية العراقية وبقي حتى نهاية الثورة لايقوى على شيء. وتخلى هيز (دهوك) عن بعض المواقع الجيدة والحساسة

في اثناء انسحابه محتمياً بمرتفعات دهوك الحصينة وبسلاسل جبال بهدينان وبقي كذلك دون ان يقدم على فعالية هجومية تذكر محققاً بذلك غرض العدو الذي كانت خطته تقضي بتثبيته في مواقعه فحسب. وانسحب هيز (بيتواته) انسحابات خطرة متتالية وفقد كثيراً من مواقعه الهامة رغم المقاومة العنيفة التي ابداها ونكص هيز رزكاري على اعقابه بعد مقاومة صورية الى ماوراء جبل سورداش وخلف سد دوكان وكان يسيطر على المحور المنيع (دوكان - چم ريزان - شوان - اغجلر. وبعد ان جمد القتال في هذه المحاور على هذه الشاكلة تبلورت خطة العدو واتضحت عندما ركز اندفاعه على محور طريق اربيل - رواندوز - حاجي عمران فتقدمت قواته من كلي علي بك على محور كوره - سپيلك - حرير - ديانا - رواندوز غير مصادفة اكثر من مقاومات موضعية عشوائية ليفدو الطريق الى قلب الثورة ومراكزها الحساسة مهددا تهديدا حقيقياً. اخذت فصائل البشمركة تولي الادبار دون ان تبذل قطرة واحدة من الدم في مقاومة جدية. البشمركة الذين كانوا مصدر دعاية لاينضب للثورة بدوا خائري العزائم فاقدي المعنويات يتهربون من القتال ويجبنون عن الاشتباك مع العدو. ولذلك اخذت المواقع الحصينة ذات المناعة الطبيعية التي كان الجيش العراقي لايحلم باقتحامها يوما ما تسقط بيده الواحدة تلو الأخرى اما دون قتال واما بانسحاب سابق خشية هجوم موهوم. أو بابداء مقاومة صورية لتبرير الانسحاب عند وقوع هجوم مرتقب ذلك بدت قوات الجيش العراقي قوية العزم مستعدة للتضحية وتحمل مشاق القتال اكثر من اي وقت مضى.

حقاً لقد ابدت قوات البشمركة في ساعات او ايام القتال الاخيرة ضروباً من الشجاعة والتضحية ماذُكّر بامجادها الماضية. كانت معاركها الموضعية ولاسيما بعد ان بدت النهاية المحتومة ماثلة للعيان تتألق كالنجم المحتضر اذ اوقفت زحف العدو الكبير وكبدته خسائر كبيرة. كانت انجازات عفوية موضعية لم يسبقها تخطيط ولذلك ماكان بالامكان توسيعها او استثمارها في تحقيق انتصارات اخرى ولا ابقاء جذوة الحماسة والاندفاع متقدتين. اذ سرعان ماكانت تلك الشعلة المتوهجة تخبو وما تلبث قوات العدو ان تسترجع الموقع او الربيئة اثر انسحاب فجائي غير مفهوم او بعد قصف بالمدفعية او الطائرات.

كانت الحالة العسكرية في غضون الاشهر الثلاثة الاخيرة من عمر ثورتنا حالة مينوساً منها. وحاول الجانب الايراني انقاذ الموقف بتدخل جديٍّ من مدفعيته الثقيلة فخذلته قواتنا البرية واصبح الانهيار ماثلاً للعيان عندما بدء المقر يتوسل بقادة الوحدات للقيام بالهجوم.

وافتقد البيشمركة في الجبهة فلم يكن في خطّ القتال اكثر من ثلث العدد المسجل رسمياً في اي وقت من الاوقات بسبب التهرب من القتال تمارضاً او قضاء لاجازات طويلة كانت تمنح بسخاء لامثيل له. لم يبق في كأس الذل الاّ ان يطلب تدخل صنف المشاة من الجيش الايراني لتفدو الدولتان في حالة حرب غير معلنة.

في اي فترة من الفترات كان عدد البيشمركة وراء الحدود ـ وبالعلل والحجج التي ذكرناها قدلايقل عما في الجبهة ولم يكن في وسع القيادة او ايّ مسؤول في الحزب او الثورة ان يتشكى من ذلك او يجرء على محاسبة احد منهم او يستطيع رفض طلب اجازة لان القياديين ضربوا من انانيتهم وحب ذاتهم اسوء مثل للمقاتلين عندما اسرعوا عند اول غارة جوية على مناطق الثورة بنقل اهلهم واثاثهم حتى (المكنسة) الى منازل مريحة وراء الحدود واعقبوا ذلك بمنح بعضهم بعضاً الاجازات الدورية والمستمرة للانضمام اليهم.

في هذا الظرف المؤلم كان يمكنك ان تصف الحركة الوطنية الكردية بأي وصف الا ان تطلق عليها اسم (الثورة).

هذه الحركة التي ولدت في احضان البؤس والفاقة. وترعرعت وثبتت اصولها بفضل التضحية ونكران الذات قدر لها ان تنتهي لابتحقيق اهدافها السامية الوطنية وانما بأغراق قادتها واصحاب الحظوة والمتزلفين والاقرباء والطفيليين والبطانات بالمال الحرام وبالترف لتختنق بالاسراف وسوء التصرف والخيانة وفقدان الانضباط والتسيب وموت روح التضحية. كانت الثورة الكردية جثة ميتة قبل اتفاق الجزائر وهناك مئات يعرفون هذا الواقع المر والجميع كان ينتظر معجزة تنقذها من براثن الموت. كان اتفاق الجزائر بمثابة الرصاصة الاخيرة Coup de graceوضع نهاية لانهيار محتوم قريب وجنب كردستان العراق مزيداً من سفك الدماء والمآسي. ان القرار الذي اتخذه قائد الثورة والحزب كان قراراً واقعياً بعيداً عن التهور وجموح العاطفة. والقيادة كشأنها في اللحظات الحرجة لم تجد في نفسها الشجاعة لاتخاذ القرار الجسيم بطي صفحة من صفحات النضال الكردي. وبدت مشتتة ذاهبة اللب لاتستقر على رأي تخاف المسؤولية التاريخية من جهة وتتشبث اعضاؤها بغريزة حب البقاء فلاتقوى على اتخاذ قرار حاسم وتتطلع الى رئيس الحزب والثورة متوقعة منه ان يتحمل المسؤولية التأريخية العظمى وكلهم يعرفون في باطن نفوسهم ان تلك الثورة التي اطفأت جذوتها اعمال مسؤوليها كانت تستمد قوة الاستمرار وتقوى على العقبات بفضل استعداد هذا الشعب للبذل و

ورصيد البارزاني وما استلهمه من تجارب ثورات الشعب الكردي في العراق التي قادها هو خلال خمس واربعين سنة. لقد انبرى وحده ليتحمل تبعات الفشل وهو يعلم جيداً ان اولئك الذين احجموا في تلك الساعة العصيبة وتركوا له اتخاذ هذا القرار المر. سوف ينادون بملء اصواتهم فيما بعد بانهم ابرياء من هذا القرار وان رئيسهم هذا استقل به رغم انفهم لانهم كانوا يحبذون مواصلة القتال الى آخر پشمركة.

والى الذين مازالوا يتصورون ان دورهم في قيادة الحركة الوطنية الكردية غير منته قدم لهم (اتفاق الجزائر) فرصة ذهبية في محاولتهم رد اعتبارهم واعادة ثقة الجماهير الكردية بهم فقد بادروا بنقل التبعة في الغدر والخيانة والخطأ والتقصير اليه متخذين منه ماتخذه (معاوية) من قميص (عثمان). لماذا؟ لعل الانظار تتحول عنهم اليه ولعلهم ينجون بهذا من عقاب التأريخ.

ان اولئك الذين اعدوا اتفاق الجزائر بين الحكومتين الايرانية والعراقية السبب الاصلي لفشل الثورة الكردية من غير الذين ذكرناهم آنفاً هم اولئك الذين كانوا بالسذاجة السياسية فيهم - يعتقدون بأن اتفاقاً كاتفاق الجزائر لايمكن ان يحصل مطلقاً. انهم اولئك الذين كانوا يبنون سياسة الثورة وستراتيجها على فرضية لاسابقة تاريخية او دپلوماسية لها وهي عدم امكان حصول تقارب وتصاف بين دولتين جارتين مطلقاً.

لكل دولة من الدول سياستها الخاصة المبتناة على مصلحتها. وتلك السياسة تعتبر ناجحة او فاشلة بمقدار ماتحققه من مكاسب في الداخل والخارج لنفسها. ورجل السياسة في هذا العالم المتكالب على المغانم الخاصة والعامة لن يكون ملوماً اذا الحق ضررا بالآخرين وهو ماض في طريقه للوصول الى اهدافه التي رسمها. وميدان السياسة هذا وهو الكرة الارضية والدول التي تنتشر فوق رقعتها - اشبه بميدان لعبة (جرّ الحبل) الرابح من الفريقين المتباريين من يفلح في سحب عقدة الحبل الوسطى اليه غير مبال بما يصيب الفريق الآخر لانه اذا اهتم او تهاون او ارخى من قبضته فانه لاينتظر ان يقابل بالمثل من خصمه وسيخسر اللعبة ويصبح موضع نقد وسخرية ليس من الآخرين فحسب بل من جانب خصمه الرابح ايضاً. وعلى هذا فان الاتفاقات السياسية المبتناة على التعاون المتبادل مرتهنة بوجود المصالح المتبادلة فاذا انتفت تلك المصالح انفك ارتباطها. ليس هناك علاقة سياسية ما مبنيّة على مجرد العطف او مرتكزة على مباديء الفضيلة ومكارم الاخلاق والتاريخ اوثق شاهد. ان تاريخ العلاقات الدولية الطويل يؤكد لنا بجميع امثلته ان الضمان الوحيد للمحافظة على شرف الكلمة في المعاهدات

والاتفاقات الدولية لم يكن في يوم من الايام غير المصالح المتبادلة والقوة. ومن ثم فليس ثم مكان لشرف الكلمة واحترام التوقيع فالدول في العادة لاتتحرج من انهاء مفعول اتفاق او الغاء معاهدة عندما تجد معادلة تبادل المصالح قد اختلت لغير صالحها ولو قليلاً.

هذا بخصوص التعامل السياسي بين الدول ذات السيادة. فما بالك بالتعامل بين دولة وبين ثورة داخلية في بلد آخر؟ ثورة ليس لها كيان سياسي خارجي او داخلي أو شخصية دولية.

ان عنصر الخطأ في تقديرات قيادة الثورة الكردية كان واضحاً منذ البداية. فأقدام ايران او غير ايران على دعم الثورة ومدها بالمساعدات الجسيمة لم يكن سببه انها تكن حباً خاصاً للكرد. او انها تهتم بمصيرهم اكثر مما تهتم بمصير شعوبها نفسها. وانما هي كغيرها من دول هذا العالم كانت تعمل بما يساعدها على تطبيق استراتيجيتها السياسية ومصلحتها كاية دولة مسؤولة عن امنها الخارجي والداخلي فضلاً عن مستقبل شعبها.

ان قيامنا بتحليل الاسباب والدوافع السياسية التي حملت ايران وغيرها على دعم الثورة الكردية ومدها بالمساعدة يخرج بنا على موضوعنا الى حد ما ولكن من المفيد القول بانه كان ثمّ مصلحة متبادلة ظرفية ولدت هذا التعاون وكان يجب ان يدرك بان هذا الدعم مقدر له ان ينتهي بانتفاء تلك المصلحة. مصلحة الثورة من التعاون كانت ستنتهي بتحقيق اهدافها (وهذا ماكان يعلمه الجانب الايراني حق العلم) ومصلحة (ايران) كانت ستنتهي بتسوية نزاعها الاقليمي مع اي نظام عراقي مستعد للتسوية بالشكل الذي ترضى به (وهذا ماكان يجب على قيادتنا ان تدركه). لكن ماالذي اعدته القيادة لمواجهة هذا الاحتمال الذي ماكان بعيداً ولا محالا ـ قبل ان تنتفي المصلحة الكردية؟ هل انها افترضت كواقع ثابت استحالة ذلك.

الموقف السياسي العالمي كان واضحاً اذ ذاك بمافيه الكفاية. ففي الوقت الذي كانت ايران تقدم مساعداتها الى الثورة بسخاء كانت هناك معاهدة سوفيتية عراقية بمقتضاها ترتب على السوفييت ان يقدموا كل المساعدات العسكرية للحكومة العراقية بما في ذلك احدث الاسلحة مع خبرائها في هذا الوقت بالذات شرعت الولايات المتحدة حليفة (ايران) الكبيرة تنسحب من الميدان كما فعلت في جنوب شرق آسيا الامر الذي اوقع السياسة الخارجية الايرانية في مأزق. بل في شك في امكان قيام حليفتها بالدفاع عنها اذا تعرضت الى تهديد جدي. ربما كان هذا سبباً آخر للتفاهم مع الحكم في العراق.

اذا كان هذا الاستقراء السياسي صحيحاً من جانبي فبامكاننا اضافة سبب وجيه آخر

الى الاسباب التي دعت ايران الى عقد اتفاق (الجزائر) وهو دافع الحاجة والضرورة الوطنية. اننا لانعلم طبعاً لو انه كان ممكناً في هذا الاتفاق ان يتم اخذ مطالب الثورة الكردية من الناحيتين السياسية والانسانية بنظر الاعتبار جعل ذلك متنا من متون اتفاق الجزائر لان الجانب العراقي الذي ظل دوماً يصر على اعتبار القضية الكردية قضية داخلية صرفة ويستميت في قتاله ضد محاولة تدويلها في كل زمان ومكان قد يجد البحث في ذلك من قبل دولة او اكثر تدخلاً سافراً في شؤونه الداخلية وينهي مفاوضاته من غير اتفاق.

*** *** ***

بعد هذا كله. ماوجه اللوم الذي يمكن توجيهه للثورة الكردية بسبب قبولها المساعدات الخارجية اذا فشلت قيادتها في الافادة منها واستخدامه بشكل صحيح وبتوقيت دقيق وحساب الاحتمالات ـ افضلها واسوءها؟ ما ذنب العون الخارجي ان لم يستغل في سبيل المصلحة الوطنية؟ كان على القيادة ان تدرك بان الثورة هي دائماً وابداً في سباق مع الزمن وان كل دقيقة تمر بدون تسجيل نجاح لها مهما صغر من شأنه ان يقلل احتمالات انتصاراتها او يضعفها الا انها ضيعت اربع مفاوضات مع اربع حكومات عراقية في دوامة من الوعود الموهومة والشروط الغامضة وبيانات ملتوية. ماهو ذنب العون الخارجي ان لم نحسن الافادة منه وان فقدنا به اعتمادنا على انفسنا ولم نتصور انه عون مؤقت مهما طال امده؟ ان استخدمناه للاثراء غير المشروع وبناء الثروات الخاصة بدلاً من استخدامه لمصلحة الثورة والشعب الكردي؟ ليس هناك مساعدة تبذل لوجه الله تعالى وعلماء النفس انفسهم يقولون انهم لايرون عملاً واحداً من اعمال البر والاحسان يقصد به مجرد الخير لاغير ولايستثنون من تعميمهم ذلك المحسن الذي (يعطي بيمينه مالاتدري به شماله) فيقولون في تعليل سخائه ان المصلحة التي يرجوها هي رضا النفس او راحة الضمير ان لم تكن طمعاً بغفران الخالق ... الخ..

ألا فلنكن واقعيين قليلاً. ان الدعم الخارجي (اعني تدفق المال والسلاح على الثورة) دام سنوات طوالاً. خلال هذه الفترة ثارت عشرات من الشعوب ونالت لاحكماً ذاتياً محدوداً ـ بل استقلالاً كاملاً. بينما لم تتقدم الثورة خطوة حقيقية واحدة نحو اهدافها المتواضعة. فاين هو موضع الخطأ؟ اين يكمن العيب؟ عندما تراهن على حصان سباق مرة. فيخسر وتراهن ثانية

فيخيب املك فيه وثالثة فينكص على اعقابه لاتجد احداً يلومك او يرميك بالحمق ان حولت رهانك الى غيره وان كنت مالكه.

ولتقدير اهمية وحجم وخطورة الدعم الايراني للثورة الكردية يجب ان لا يغيب عن البال بأن هذه الدولة تحتضن مالايقل عن اربعة ملايين من الكرد لايفصل بينهم وبين اخوانهم الثائرين في العراق غير خط الحدود. واذا كان التفكك والانهيار في المعنويات والتفسخ الاخلاقي واضحاً للقياديين في الثورة وللكثيرين من غير القياديين كما بينا انفاً فمن البديهي انه لم يكن بخاف عن الجهات التي كانت تقوم بدفع المساعدات للثورة وتزودها بحاجاتها وفي هذا الموقف العصيب من التفسخ والانهيار الذي وضعت الثورة نفسها فيه ولم يكن ثمّ مجال للاختيار. فان آثرت ايران سلوك سبيل التفاهم مع النظام العراقي بالشكل الذي حقق لها ما طمحت اليه وما اقتضته مصلحتها ـ هل يصح ان ننعت عملها هذا بالخيانة؟ خيانة من؟ من الاكيد انها لم تخن شعبها ولا سياستها ومن الخطأ القول انها خانت الثورة الكردية لان كلمة (الخيانة) بالمعنى القانوني والسياسي واللغوي لايمكن استخدامها هنا. عندما يفر جندي من صفوف جيشه وينضم الى عدو بلاده فهو خائن عندما يتطوع مدني للعمل ضد مصلحة بلاده مع العدو فهو خائن عندما تستأمن أحداً على سر او مال فيفضح سرك او ينكر عليك مالك فهو خائن. وعندما يتعاون الكردي مع اعداء ثورة شعبه فهو خائن وعلى هذا يكون القياس.

لم تمتد يد الادانة التاريخية الى دولة من الدول وجدت يوما ما انّ مصلحتها تملي عليها استبدال صفة خاسرة بأخرى رابحة. بالعكس فالتاريخ عادة يضفي القاب البطولة والتمجيد على تلك الشخصيات السياسية التي تحقق لشعوبها اعظم المنفعة على حساب غبن الآخرين وشقائهم وبهذا المقياس دخل (دزرائيلي) السياسي البريطاني سجل عظماء التاريخ البريطاني والتاريخ العام عندما ابتلع او قل (ابتز) قناة السويس على حساب بؤس الشعب المصري وشقائه. ان ذلك لايتنافى مع العرف والتعامل الدوليين ولايتعارض مع قواعد الاخلاق الدولية. فكما انه كان من السخف اتهام (ايران) بخيانة الشعب الكردي في العام (1975). كان كذلك من الحمق وقصر النظر اتهام الاتحاد السوفييتي بطعن الشعب الكردي من الخلف عندما تخلّى في العام 1947 عن الكيان السياسي الكردي في مهاباد الايرانية. لقد اقتضت مصلحة الاتحاد السوفييتي خلق هذا الكيان ودعمه وحمايته ومساعدته الى حينٍ حتى اقتضت مصلحته التخلي عنه عندما حصلت على وعد غير محقق ببعض الفوائد المادية والامتيازات لاحساب

للاخلاق في السياسة [6]

---

6 ـ المقصود بهذا الامتياز النفطي الذي كان ينشده السوفييت من طهران منذ العام 1944، في الجزء الشمالي من ايران (ولايتا اذربيجان وكردستان ضمناً). باستخدامهم ضغوط تواجدهم العسكري فيه، زائداً مجهوداتهم في تشجيع الحركات اليسارية والقوميّة الآذرية والكردية التي ادت مما ادت الى قيام مايعي بجمهورية اذربيجان وجمهورية مهاباد.

ففي خريف العام 1944 والحرب مازالت قائمة. طالبت موسكو بحقوق التنقيب عن النفط هناك وبامتياز استخراجه في منطقة واسعة جداً. فنوهت الحكومة الايرانية بقرار سابق لمجلس الوزراء يمنع النظر في طلب اي امتياز نفطي اجنبي الصفة حتى نهاية الحرب. عندها بادر السوفييت الى شن هجوم اعلاميّ شديد على الحكومة اضطر رئيسها على اثرها الى الاستقالة. إلا انها نجحت قبل استقالتها في حمل مجلس النواب على سنّ قانون يحظر على اي جهةٍ مسؤولة في الدولة البحث في موضوع امتيازات نفطية. كان ذلك في العام 1945. وعندما سُدّ طريق الامتياز في وجه السوفييت، القوا بثقلهم على دعم حركتي الاذربيجانيين والكرد الوطنية.

في العام 1946 ـ كان احمد قوام السلطنة رئيساً للوزارة. وقد اثبت فيما بعد بأنه واحدٌ من ابرع الساسة واوسعهم حيلةً في كلّ زمان ومكان. فقد وَجَدَ أن التواجد العسكري السوفييتي في ايران هو العامل الرئيس لفرض الارادة السوفيتية. وتفتق ذهنه عن حيلة بارعة:

ففي 5 من نيسان 1946 بادر دون تردد الى عقد اتفاق مع السفير السوفييتي (ساڤجيكوف) ينصّ على تأسيس شركة ايرانية ـ سوفيتية لاستثمار النفط. واكدّ السوفييت فيها عزمهم على الانسحاب من الاراضي الايرانية في موعدٍ آخره السادس من ايار 1946. كما ورد فيه ايضاً نصّ يوجب على الحكومة الايرانية ان تعرض على المجلس الملّي في دورته الخامسة عشرة لائحة قانون بهذه الشركة تتّم المصادقة عليه في غضون الأشهر السبعة التالية للرابع والعشرين من شهر آذار. وورد في الاتفاقية ايضاً هذا الشرط:

"اما بخصوص اذربيجان، طالما كان هذا من شؤون ايران الداخلية، فسوف تتخذ اجراءات ذات طابع سلمي لانهاء مابين الحكومة الايرانية وبين شعب اذربيجان من خلافات".

لم يكن احدٌ يتصور في كردستان الايرانية ان الاتحاد السوفييتي قررّ مقايضة مصير جمهورية مهاباد بأمل الحصول على امتياز نفطي.

وماحصل، حصل وفق الخطة التي وضعها (احمد قوام) في قضائه على حلم الامتياز النفطي وعلى الكيانين السياسيين في كلّ من اذربيجان وكردستان بضربةٍ واحدة. فبعد توقيع الاتفاق النفطي كما مرّ ذكره. اصدر مجلس النواب بايعاز خفيّ من الحكومة قانوناً يمنع فيه اجراء انتخابات نيابية طالما بقيت جيوش اجنبيّة في البلاد ـ وكان الغرض منه التعجيل في جلاء القوات السوفيتية ـ اذ بتأخر الانسحاب يتأخر انتخاب المجلس الجديد ويتأخر تبعاً لذلك عرض الاتفاق النفطي.

اطبق الفخ على السوفييت ـ وبضغوط من الولايات المتحدة في هيئة الامم المتحدة وكانت تعمل بتنسيق =

يبدو اني لاستطيع التخلص من تهمة الدفاع عن موقف الدول الثلاث او الأربع التي ساعدت الثورة الكردية ثم آثرت التخلي عنها امام اولئك الذين يتحملون تبعات فشل الثورة كل بقدر مسؤوليته. اما بالنسبة الى البكائين الناحين الذين يتصورون بأن احياء النضال الكردي وتقديم القضية الكردية الى الضمير العالمي كقضية انسانية لشعب راح ضحية تآمر دولي وخيانة ويكتفون بهذا القدر من (الجهاد) فاليهم اوجه هذه العبارات ـ في هذا العالم الملئ بالمشاكل الخطيرة وبالخوف العام على المستقبل البشري من الحروب الذرية الماحقة وبالرعب المستولي على القلوب من وقوف العالم على شفا الافلاس والنضوب التام لموارده الطبيعية الذي يهدد بقاء الجنس البشري، ليس من المتوقع ان يفكر احد ما بمصير الشعب الكردي من زاوية الدوافع الانسانية البحتة ليجد في نفسه الرغبة في خدمته ومعونته على نيل حقوقه الاّ بقدر مايفيده ذلك في حل مشاكله او مشاكل العالم. اعنى انه اذا استطاع الشعب الكردي ان يجعل من نفسه مشكلة دولية كما كاد يفلح في السابق فأن العون سيأتيه حتماً ومن حيث لايتوقع. ان ادرك متهميّ الاخيرون هذا الواقع فلن يبقى في مواجهتي من الذين سيتسلحون بدليل الانحياز في آرائي الا اولاء الذين شاركوا بصورة مباشرة او غير مباشرة في وأد الثورة الكردية العظمى بضعفهم وانهيار معنوياتهم وبانشغالهم بجمع مال السحت. بتهالكهم على المناصب وبعمالتهم للعدو وبجرائمهم النكراء التي ارتكبوها بحق ابناء الشعب الكردي المضحي

= مع الحكومة الايرانية ـ انسحبت القوات السوفيتية. وباكمال جلائها تمّ القضاء على الكيانين في كلّ من كردستان وانربيجان كما هو معروف وبعد ان سيطر الجيش الايراني على شمال ايران. قدّم (احمد قوام) الى المجلس الجديد المنتخب تقريره حول مفاوضاته النفطية. مُبدياً في الوقت نفسه اسفه (لخطاه) في توقيع الاتفاق ومعارضاً اياه بقوله انه وقّعه بحكم ظروفٍ معينة.

وفي 22 تشرين الأول 1946 صوّت المجلس باغلبيّة (102) ضدّ صوتين اثنين على رفض الاتفاق. وجاء في حيثيات الرفض:

"ان هذا الاتفاق باطل ولاقيمة له. الاّ ان موقعه قوام السلطنة، يعفى من العقوبات التي يفرضها قانون كانون الأول 1944 الذي ينص على مؤاخذة اي وزير جنائياً يفاوض من تلقاء نفسه في اعطاء امتياز نفطي لأية جهة اجنبيّة.

[سُمي الكيان الكردي "بجمهورية مهاباد" على سبيل المجاز والفخر. فهو في الحقيقة نوعٌ من حكم ذاتي ضمن اطار المملكة الايرانية. ولم يدع مؤسسوه الكرد بانفصال او استقلال رغم ان بعض الاجراءات التي اتخذت هناك في حينه كانت توحي بذلك.]

لاسيما اولئك الذين اوكل اليهم امر المحافظة على مصالحه فتاجروا بها لمصالحهم واودعت اليهم امانة الدفاع عن حقه في الحياة الحرة الكريمة فخانوا الامانة بلاباليتهم ومحدودية تفكيرهم اولئك الذين ساهموا بالقليل او الكثير في مأسي شعبهم او وقفوا منها موقف المتفرج الصامت في حين كان بوسعهم ازالتها او التخفيف منها فضنوا بهذا المجهود خوفاً على انفسهم وآثروا السلامة. فليقل عني هؤلاء ماشاؤا اذ ليس بين الخداع والحقيقة غير الزمن وليس بخفي الاّ وسيعلم، والزمن مهما طال فهو قصير. هناك الكثير من مسؤولي الثورة الكردية ومهندسي سياستها ممن له مصلحة أكيدة في حجب الحقائق وصرف الانظار عنهم وعن مسؤوليتهم في النكبات العظمى ولذلك يحاولون نقل تبعة التقصير والخطأ والجريمة الى ميادين اخرى فالصياد يعرف النعامة من جسمها مهما اخفت رأسها. وان لم يكن محتوى رسالتنا هذه كافياً لينير السبيل الى الواقع - فليتقدم اولئك الذين مازالوا مؤمنين بطهارة نيلهم وبكفاءتهم وقدرتهم على قيادة الشعب الكردي بل حتى اولئك الذين مازالوا يطمعون في صفحه معتمدين على سرعة نسيانه وضعف ذاكرته ليكشفوا عن الحقائق كما حاولت. وليوضحوا الاسباب الصحيحة التي أدت الى الكارثة فتلك خير خدمة تقدم لقضيتنا الوطنية ونضالنا المسلّح الحالي. ليكفوا عن الترامي بالتهم فلكل سهمه. وبالاتهام المتبادل لايستطيعون انقاذ انفسهم ولا اسداء خدمة لشعبهم. وبالاخص ليكفوا عن جعل رئيس الحزب وقائد الثورة كبش فداء لاعمالهم الخاطئة فيحملونه وزر كل الاخطاء التي نجمت من تناحرهم وتحاقدهم وتحاسدهم وقصر نظرهم وعمالة بعضهم وخيانة آخرين وجنايات غيرهم. فلطالما اوقف فيهم اندفاعات طائشة سيئة العقبى وحال دون تنازلات مخجلة نتيجة سوء تقدير وتساهل مقصود. وحاز انتصارات رسخت اقدام الثورة وثبتت جذورها وامنت استمراريتها لتبلغ مصاف الثورات التقدمية والتحريرية الكبرى ويكون لها الفضل اخيراً في الاعتراف ولو قولياً بحق الشعب الكردي في الحكم الذاتي كحد أدنى. اخيراً عندما اضطره المرض والتقدم في السن الى الاعتماد على مشاورة ونصح الآخرين - فحال ذلك بينه وبين المشاركة الفعلية في القتال والعيش مع رجاله في ساحات المعارك والهاب حماستهم ومضاعفة اندفاعهم لم يتقدم احد ليملأ الفراغ الذي تركه وآثر الجميع السلامة واضطر هو في النهاية الى تحمل تبعات اتخاذ قرارات في امور أسيء عرضها عليه. اني في الواقع لاادافع عن هذا القائد القومي بل لاستطيع ان اتلمس له عذراً وامر مرور الكرام بغلطاته العظمى غلطته في اختيار اعوانه وضباطه ومشاوريه

السياسيين والعسكريين الذين ظهر رياؤهم وانكشفت انانيتهم للناس قبل انهيار الثورة حتى انتهوا بخيانة شعبهم او بالمساومة على حقوقه او انهمكوا في جر المنافع الخاصة لانفسهم فخيبوا الامل في الثقة التي وضعت فيهم ولم يحسنوا استخدام السلطة التي منحها لهم هذا القائد.

هەوالنامەی کتێب

الخاتمة

[اضيفت الى الطبعة الثانية]

ان كان القارئ هذه الرسالة يتوقع ان تنتهي بالاعلان عن حزب كردي سياسي جديد او اقتراح خطّة للنضال الوطني او طرح برنامج عمل سياسي للمستقبل فاعتقد اني مدين له بايضاح قليل عن قصدي الذي اشرت اليه اشارة عابرة في المقدمة.

ان اعظم المتفائلين واقلهم حذراً في اصدار الاحكام ماكان يتصور ان ثورة كردية جديدة مسلحة ستندلع بعد ثمانية عشر شهراً فحسب من اسدال الستار على ثورة ايلول 1961. هذه الثورة المثيرة الحالية ولدت في ظروف لاتدانيها في القسوة والبؤس اية ثورة اخرى. ولدت وقوات المنتصر المسلحة تحتل كل زاوية حساسة من ارض الوطن وقد انشأ وكأنه في سباق مع الزمن القلاع والحصون في المواقع الستراتيجية وشق الطرق التعبوية والسوّقية لتسهيل حركة انتقالات قواته الى مكامن الخطر بأسرع مايمكن ووضع اختامه على الحدود لتأمين العزلة التامة لكردستان العراقية. ووزع جواسيسه وعملاءه في كل مجتمع سكني وقرية كردية واخلى مناطق مأهولة عامرة من سكانها على طول خط الحدود وبالعمق الستراتيجي وهجر ونقل عشرات الالوف من السكان اما الى مناطق اخرى في كردستان نفسها بعيدة عن مسقط رأسهم واما بسوقهم في رحلة تمتد مئات الاميال الى جنوب العراق. وباشر بدأب ووفق خطة مدروسة بعيدة المدى بتغيير الطابع السكاني لارض الوطن اما بالتهجير القسري اليها او بالاغراء وإغراقها بالمال وصنوف الامتيازات فضلاً عن سلسلة من الاجراءات القانونية التي

تهدف بوضوح الى تصفية القومية الكردية وصهرها في المجتمع العربي العراقي الغالب.

اضف الى هذا طبيعة الحكم نفسه التي تؤمن بالتصفية الجسدية كعلاج أخير للقضاء على اية معارضة مهما بلغت من الضعف. وسياسة الحرمان والتجويع وتحديد القوة الشرائية العامة التي يمارسها هذا الحكم على نطاق الوطن وبصورة خاصة في كردستان تحت ستار السير في الاتجاه الاشتراكي تلك السياسة التي من شأنها ان تشل المقاومة الروحية والجسدية في نفوس الجماهير وتقتل التفكير الثوري فيهم.

لم يكتف الحزب الحاكم بهذا كله للحيلولة دون قيام ثورة كردية اخرى بل عمد الى تغيير جوهري في سياسته الخارجية ترمي الى توطيد علاقات معينة بالدول على حساب التنازل والتضحية بشعارات ومبادئ عزاها لنفسه ليضمن عدم تدخل خارجي او دعم لاية انتفاضة مقبلة.

زد على هذا مايعانيه الشعب الكردي نفسياً من اثار صدمة الهزيمة وجسدياً من خور العزيمة والتشتيت والتهجير الجماعي ومرارة العزلة في الداخل.

من بين كل هذا الركام من الانقاض ووسط كلّ هذه المثبطات برزت مقاومة الشعب الكردي حية ناشطة تتحدى كل التدابير الوقائية والآلام النفسية لتثبت للعالم وللامة الكردية جمعاء تلك الحقيقة التاريخية الخالدة انه لاسبيل قط للقوة الغاشمة الى قتل نضال شعب عازم على نيل حقوقه.

فكيف نحافظ على نواة القوة هذه وكيف ندعم المقاومة الثورية؟

ان العدو هنا مشخصٌ معروف. انه ماثل كحقيقة لايتطرق اليها الشك ومن الحصافة والحكمة ان لايبدد من الجهد المركز عليه اية طاقة مهما قلت في معارك جانبية داخلية او يوجه ضد اعداء مفتعلين لاي سبب من الاسباب او دافع من الدوافع. والمعركة الاصلية على كل حال هو فوق ارض الوطن ومن العبث محاولة خوضها (كلامياً) في موضع آخر. الاّ ان الواجب يقضي على العناصر الوطنية الواعية المستفيدة من تجارب الماضي العائشة خارج ساحة القتال والمالكة حرية النشاط والعمل السياسي - ان تدرك مهمتها ادراكاً صحيحاً منزهاً عن الاغراض بعيداً عن الاحقاد وشوائب الماضي مهمتها المقدسة في مساندة هذا النضال والعمل بكل ماأوتيت من عزم وصلابة على جمع الكلمة وتوحيد الصفوف ولم الشتات الذي انشعب او ضل في متاهات المبادئ والقيم والجدالات النظرية على اثر الفشل. ان اشباح انقسام 1964

تخيم على الرؤوس والقلوب. فليضع المناضلون والوطنيون نصب اعينهم فصول تلك المأساة حين وجه المقاتل الكردي وسلاحه الى صدر اخيه الكردي المقاتل بدل توجيهه الى عدوه. وترك ذلك العدو يفرك كفيه سروراً. ان الكفاح الوطني في سبيل التحرر ليس شركة احتكار ومن يعتقد انه كذلك او من يتخذه على هذا الاساس. انما هو قليل ادراكٍ بطاقات شعبه الروحية وغير واثق منه. فالزعامات والقيادة في الثورات الوطنية التقدمية لاتفرض فرضاً من الاعلى على الامة المناضلة وقد رأينا فيما سبق مآل وحال تلك القيادة (المؤمنة) التي فرضت على الثورة الكردية الاخيرة وماذا كان مصيرها.

صحيح ان التاريخ لايعيد نفسه. لكن التأريخ مخزن تجارب وعظات بليغة ومن لايتعظ بالتجارب لن يجد له موضعاً مشرفاً في صفحات التاريخ.

ان كاتب هذه الرسالة يرى والالم يعتصر قلبه تلك الاطراف الوطنية التي ابت ان تحني رأسها للهزيمة منشغلة باستحداث الفرق والكتل السياسية والاحزاب الامر الذي جرها الى مهاترات وتبادل التهم والسباب ونشر ماضي الاشخاص والجماعات بدلاً من التصافي والتقرب والعمل على جمع الكلمة. انها وربي بداية سيئة جداً لنهاية جليلة شريفة. فالاسترسال في التهاتر ونبش الماضي والمضي في التناحر سوف يقضي على الانتفاضة الوطنية الجديدة قبل ان يخضر عودها وقبل ان يتولى العدو القضاء عليها. الا فليرجع كل الى نفسه ويحاسبها قبل ان يحاسب غيره فالتركة ثقيلة والجميع شركاء فيها وكل يحمل نصيبه من المسؤولية وذلة الفشل.

وبودنا ان تضع هذه الاطراف الوطنية نصب عينها حقيقة واحدة على الاقل وهي ان وحدة الفكرة او (وحدة الهدف) التي تقف واراءها الاغلبية الساحقة من الامة (فلاحين وعمالا ومثقفين وكسبة) لايمكن في مرحلة كفاحنا هذه ان تستبدل بـ (وحدة المبدء السياسي) او ان تحل محلها وحدة النظرية. فمن العبث محاولة جمع الاطراف الوطنية الكردية تحت راية (نظرية او مبدء سياسي) واحد في هذا الوقت بالذات.

اخيرا علينا ان نتذكر انه من جملة الاخطاء المهلكة التي أدت الى فشل الثورة السابقة هو فقداننا تلك الثقة والاعتماد على النفس اللذين بدأنا بهما ثورة العام 1961. كان اعتمادنا على النفس يأخذ بالتضاول بنسبة اطرادية بزيادة اعتمادنا على الدعم الخارجي وبثقتنا العمياء بعدم انقطاعه عنا يوماً ما. لقد بلغ من اعتمادنا على المساعدة الخارجية اننا لم نعد

نجد ضرورة لاعتمادنا على انفسنا فانتزعنا هذه الحلية كخَلق ثوبٍ والقينا بها جانباً. ان عنصر الخطأ هنا ليس تطلعنا الى العون الخارجي واطلابنا له او رفضهما فهما كما برهنت الاحداث والوقائع التي أتينا الى ذكرها ضروريان جداً في مراحل معينة من الثورة شريطة استخدامهما بحذر وبعد نظر وبحيث لايكون لهما اي تأثير في مسيرتنا النضالية او في اهدافها.

اريد ان اقف برسالتي هنا وان بدت وقفتي مفاجئة للقارئ اذ اخشى لو استرسلت ان انقلب الى واعظ او ناصح او مخطط وليس هذا القصد من رسالتي الى الشعب الكردي كما لوضحت.

تشرين الاول 1978

هەوڵدەر کتێب

باب خاص

حول وضع الثورة في آخر أيامها

[مضافٌ الى الطبعة الجديدة]

عند استئناف القتال في العام 1974، بدتْ آثار السنوات الأربع المنصرمة على اتفاق أذار واضحة في سلوك البشمركه القتالي بمواجهة الهجوم الحكومي.

كان عندهم شعور عام بالخيبة تخالطه نقمة لايحاولون اخفاءها ـ على القيادات العسكرية والسياسيّة بسبب التصرفات المشينة والفضائح وكانت هناك حكايات يتداولونها حول عدد كبير من القيادات العسكرية والسياسيّة، بخصوص استغلال النفوذ والكسب غير المشروع، والتهافت على جمع المال والاقتتال على المناصب الحكومية بكل اسلوب وطريقة.

هبطت المعنويات الى الدرك الأسفل وحصل تمردٌ على القيادات في قواطع من الجبهة؛ ورفض المقاتلون في جبهات أخرى التصدّي للهجوم وانسحبوا . في حين تمّ تسليم مواقع منيعة للقوات الزاحفة بعمليات خيانيّة. وعمت الفوضى ولم يعد المقرّ يتلقى من البرقيات غير ماينبيء

بالهزائم والانسحابات.

يصعب عَليّ ان اقدم وصفاً شاملاً لما حصل عند استئناف القتال. وساكتفي بايراد امثلةٍ دونت تفاصيلها في حينه، وسأعرضها هنا دون تنقيح.

بدأ الهجوم الحكومي في قاطع زاخو. وكان متوقعاً ان يمنى الجيش العراقي هنا وفي مجال تحقيقه احتلال مدينة زاخو - بخسائر كبيرة قبل وصوله الى هدفه، هذا إن لم يواجه هزيمة تامة في محاولة احتلال مفتاح المدينة - وهو الموقع الحصين المعروف بـ كلي زاخوففي هذا القاطع لقي الجيش العراقي انكسارات وخذلاناً متكرراً منذ قيام الثورة [1].

تألفت القوات التي حشدتها الحكومة من لوائين (مابين 3000 و 4000 جندي وضابط) تساندها مدفعية ودبابات وغطاء جويّ. في 28 من نيسان 1974 شرع في العملية بقصف ارضي وجوي كثيف على مواقع البشمركة دام حوالي ستّ ساعات وتلاه تقدم لرتل الدبابات بلغ الى فم المضيق. عندها توقف الرتل في زحفه خشية وجود الغام مزروعة فيه او مواجهة صواريخ خارقة الدروع. وهو سلاح كان يملكه البشمركه وقتذاك. وكان هناك حوالي ألف وخمسمائة من البشمركه وهم (هيز زاخو) انتشروا في مواقع ممتازة وبخطٍّ دفاعي على جانبي المضيق. وفضّل آمر هذه القوة (عيسى سوار) ان يبقى في زاخو وان ينيط القيادة الميدانية بشخص يدعى (حاجي قادو). وقد عرف البشمركه هذا الشخص رئيساً لشبكة التهريب. وساعد (عيسى سوار) الايمن في عملياته المالية السريّة غير المشروعة، ووكيله في عقد الصفقات الخارجيّة والداخلية.

ووجد البشمركه في الهجوم الحكومي فرصتهم للتعبير عن سخطهم ونقمتهم على كلّ ماحصل خلال السنوات الماضية فقد تخلّوا عن المضيق الى آخر رجل من تلقاء انفسهم ومن دون أمر او اطلاق رصاصة واحدة. تركوا مواقعهم الحصينة وانسحبوا الى الخلف وبقي المضيق متروكاً ليس فيه أحدٌ طوال اربع وعشرين ساعة والقوات الحكومية تتهيب التقدم نحوه ولاتدري بانسحاب المقاتلين الكرد. وساد هدوء وانعدمت الحركة. وعند حلول الظلام ارسلت قيادة القوة الحكومية مفرزة من المرتزقة الزيباريين بقيادة (لطيف زيباري) المعروف بـ (لطو)

---

1 - راجع مادوّنه عنها "دانا آدم شمدت" مراسل جريدة نيويورك تايمز انذاك في كتابه "رحلة الى رجال شجعان. وقد نشرنا ترجمته في بيروت (1972) وهو من اصدار دار الحياة.

للاستطلاع. فتقدمت المفرزة ودخلت المضيق ثم عبرته باتجاه زاخو حتى باتت على مسافة نحو خمسين كيلومترا من المدينة وهنا قوبلت برشقات نار من سريتين للبشمركه فبادلتهم اطلاق النار برهة ثم انسحبت لتبلغ القيادة بخلو المضيق من المدافعين فتقدمت القوات الحكومية واحتلت المضيق ثم دخلت مدينة زاخو دون عائق وكانت قوات البشمركه وقيادتها قد اخلت المدينة وانسحبت الى الشمال الشرقي باتجاه العمادية.

تم التوصل الى هذه التفاصيل بعد ان بلغت انباء هذا الانسحاب الغبيّ المقّر العام وقيادة الحزب التي بادرت بالايعاز بتشكيل لجنة تحقيق سرّية تسترت تحت عنوان "لجنة رفع المعنويات في صفوف البشمركه" وغايتها الأساسيّة تقصيّ اسباب انسحاب البشمركة من غير مقاومة.

تألفت اللجنة من اعضاء لجنة الفرع الأول للحزب [نجم الدين اليوسفي وملا صالح حاجي وشعبان سعيد] وباشروا تحقيقاً سمعوا فيه افادات عدد كبير من افراد البشمركة (هيز زاخو) وتمّ تدوينها وارسالها الى المقرّ وكانت اجاباتهم صريحة ولم يتعمدوا اخفاء مااعتمل في انفسهم: رفضنا القتال انتقاماً من (عيسى سوار). أجل: قبل آذار كنّا نقاتل واستظهرنا على الجيش عدة مرات. وفي آذار عينوا هذا الرجل (المقصود عيسى سوار) آمراً لوحداتنا برتبة عسكرية وجعلونا حرس حدود، فكان يستولي على رواتبنا ومخصصاتنا من الارزاق ليبيعها. وقد اضطر اكثرنا خلال هذه السنوات الى ان يشتغل عمّالاً وفلاحين لسدّ حاجات عائلاتنا المعاشية.

ووصل تقرير اللجنة الى المكتب السياسيّ ومقّر البارزاني ويقي (عيسى سوار) أمراً للهيز المنهزم حتى نهاية الحركة المسلحة. وحاول الهروب والوصول الى ايران. فخرّ صريعاً وهو في طريقه برصاص كمين نصبه له اولئك الذين تحينوا مثل هذه الفرصة للانتقام.

**** **** ****

وفي الأول من آيار بدأت القوات الحكوميّة بالهجوم في جبهة سهل اربيل "ده شتى هه وليّر). وتقدمت في (بستانه) حتى بلغت المنطقة التي يهيمن عليها "دربندي گومەسپان" وهي منطقة مضيق جبلي بين مدينتي كويسنجق واربيل. وهذا المضيق كان تام التحصين. وهو مفتاح منطقة واسعة، يدافع عنها (الهيز) المسمّى باسمه وكانت قيادته بيد (فارس باوه) منذ زمن بعيد. وهو الآن فضلاً عن ذلك عضو اللجنة المركزية للپارتي. نسجت حول قائد هذا الهيز

وحوله قصص بطولات وموفقيّات كبيرة سالفة وكانت قواته قد جهزت مؤخراً بسلاح متطور هو مدفعية ضدّ الدبابات من طراز (ب ـ 10) وهو احدث سلاح خارق للدروع في حينه.

لم يكن هناك من سبيل لاكتساح المنطقة إلاّ بالاستيلاء على المضيق. وكان من المتوقع ان يمنى الجيش في محاولته اجتياز العقبة بهزائم متلاحقة وخسائر جسيمة اعتماداً على شهرة القائد وتاريخ الهيز المشرّف. إلاّ ان حقيقة ماحصل هو ان القوات الحكومية المتقدمة نحو المضيق لم تواجه اي مقاومة. لم يكن في المضيق خفر او حراسة ليليّة وكان الجميع يغط بنومه ولافكرة لايّ احدٍ بتقدم او زحفٍ (إلاّ واحداً). ووقعت المدفعية الجديدة غنيمة بيد الجيش ولم يمض على وصولها غير عشرة ايام ولم تطلق منها قنيفة واحدة وتشتت شمل هيز دهشتى هەولير، ولم يعد له أثر.

تبين فيما بعد ان (فارس باوه) كان غائباً عن الموقع وانه أناط القيادة بالذي يليه فيها وهو (صابر شيخ جامي). وهذا هو (الواحد) الذي اشرنا اليه كان يعلم بموعد تقدم الجيش فقد سبق للسلطة ان اشترته من خلال عمليات شراء الذمم الواسعة التي مارستها مع رجال الثورة خلال سنوات 1970 ـ 1974.

بطبيعة لم يحاسب (فارس باوه) وبقي في حاجي عمران دون ان يناط به عمل حتى النهاية.

في جبهة السليمانية لم تحصل اية مواجهة في الواقع. اذ كانت خطة القيادة العسكرية تتركز على قاطع اربيل وهو بالمصطلح السوقيّ محور ذو رؤوس ثلاثة على شكل حرف (V) . وهي على التوالي: رأس رانيه، ورأس قلعه دزه، ورأس اربيل الوَسَطي. فعندما يتم التحكم في هذه الرؤوس. يقوم الجيش بالاندفاع نحو راوندوز ويكون تقدمه سهلاً.

بعد ان تشتتّ شمل هيز (دهشتى هەولير) كما تقدمتُ. لم يعد هناك قتال جديّ بدليل انه لما بدء الهجوم على منطقة (سيد صادق) في السليمانيه، لم تواجه القوات الحكومية اية مقاومة وتم احتلال الموقع في ليلة واحدة. وواصلت القوات الزحف ودخلت (حلبجة) دون مقاومة ثم استولت على جبل (أزمر) المنيع والمحصن من غير اطلاق رصاصة واحدة واقامت فيه ربايا من شرطة القوة السيارة. وبهذا تمّ طرد القوات الكردية من المنطقة.

في الهجوم العام صمد هيز دهوك بقيادة (علي خليل) وبقي الى الأخير يردّ هجمات القوات الحكوميّة في (كلي دهوك) ولم يتقدم الجيش العراقي شبراً واحداً حتى صدر الأمر

بالانسحاب والقاء السلاح اثر الاتفاق في الجزائر.

**** **** ****

احطت علماً بالانباء المقتضبة عن اتفاق الجزائر من نشرات الاخبار العالميّة. ولم يكن فيها من التفاصيل شيء كثير. إلاّ ان وصول الخصمين الى تفاهم واتفاق مُوقّع لم يكن يعني الاّ شيئاً واحداً عندنا.

في هذه اللحظات العصيبة ـ وهو مما لايبرح مخيلتي ـ ظهر ادريس البارزاني فجأة امام باب حجرتي في حاجي عمران. كان ممتقع اللون وبدا متوتر الأعصاب. وما اظنني كنت اقل منه لو اتيح لي مرآة ارى فيها وجهي. لم يسلّم عليّ ادريس بل ابتدرني بأسئلة متلاحقة:

ـ اسمعت بالاتفاق؟ ماذا يقولون؟ هل سيؤثر علينا؟ كيف سيكون مصير الثورة؟

حرت في الاجابة وقلت بشيء من التردد "علينا ان ننتظر التفاصيل، لاشيء سمعته من تفاصيل عن الاذاعات" وماأظنه سمع بقية الجملة فقد غاب فجأة كما دخل.

كان البارزاني في طهران عندما اذيع نبأ الاتفاق. ومن هناك بعث بما مفاده انّ الحكومة الايرانية تنفيذاً للاتفاق ستغلق حدودها تماماً وتوقف مساعداتها كليًا، وانه ينتظر مقدم الشاه. وكان بصحبته كل من محسن دزئي والدكتور محمود عثمان على ما ذكرت قبلاً.

وفي أحد منازل البارزاني ووالديه وقد اقيمت على ربوة مقابل حاجي عمران بمسافة كيلومترين تقريباً اجتمع بادريس ومسعود كلّ من وجد في المقرّ من اعضاء اللجنة المركزية وبعض المقربين. ولم يكن احد من الحاضرين يتوقع مثل هذا ـ رغم ان استخبارات الثورة (الپاراستن) كانت قد دقت جرس انذار قبل حوالي ثلاثة اشهر حول وجود اتصلات سريّة غير مباشرة بين حكام العراق والشاه. فلم يعر لها احدٌ اهتماماً، اذ كان الاعتقاد سائداً بان الشاه لن يتخلى قطّ عن الثورة. وليس العكس. وانه لايستطيع التخليّ عنها.

وبطبيعة الحال ليس بينهم من سمع او قرأ مقولة السياسيّ الشهير پالمرستون رئيس الحكومة البريطانية "ليس هناك صداقة دائمة ولا عداوة تامة في التعامل السياسي. وانما هناك مصالح".

وبطبيعة الحال لم يكن للقيادة مخطط بعيد معد لمواجهة موقفٍ كهذا.

وببرقية ارسلت الى ادريس من طهران (قَصَدَبها البارزاني تبديد اشاعات او مخاوفٍ حول اعتقاله). اشارت الى الاتفاق وانتهت بالعبارة "انا موجود وانا بانتظار مقابلة الشاه ونطلب

من الله ان يوفقنا الى مافيه الخير ـ لانملك معلومات ولاتفاصيل".

ولم يجرء احدٌ من الحاضرين على النطق بما في فكره. وكانوا كما جرت العادة ينتظرون رأياً لأحد الابنين ليضربوا على نغمته وينسجوا على منواله.

اخيراً قال مسعود:

"في رأيي ان نواصل القتال؛ ننقسم الى وحدات صغيرة ونحارب. إن الوالد اصبح شيخاً وطعن في السّن ولايتحمل أيّ مجهود او مشقة. نبقيه في قرية جيدة التحصين، ونواصل القتال الى آخر نَفَس فيناً".

وكأن الجميع كان على موعدٍ مع هذا. فأسرعوا يوافقون بحماسة وراحت التعليقات تترى قام أحد الحاضرين ليذكر بانهم بدأوا الثورة وهم لايملكون اكثر من اربعمائة بندقية في حين يملك الحزب الآن كميات ضخمة من السلاّح والعتاد يكفيان لمدة سنةٍ واحدة على الأقل.

بعد ان رسا القول على هذا، أثار احدهم مشكلة: مصير عوائل القياديين في ايران.

كان الجميع قد انتقل بنويه واقربائه مع الخدم والبطانة الى ايران واسكنهم المدن المجاورة للحدود. وكان القياديون يترددون الى اهلهم لقضاء اجازةٍ اثناء القتال. فالمسألة، بل المعضلة هي كيف سيكون وضعهم بعد إحكام غلق الحدود. وتساءل بعضهم عما اذا كانت السلطات الايرانية ستسمح بابقائهم وتمنحهم حق الإقامة. وفي حالة سماحها لهم اسيكون في وسعهم الزيارة؟ وهل ان نية الحكومة الايرانية تطبيق قرار غلق الحدود تطبيقاً صارماً؟. وهل ستأمر عائلاتهم بمغادرة الأراضي الايرانية؟

بعد هذا لاحظ بعضهم فتوراً في الحماسة التي شملتهم عند الموافقة على مواصلة القتال. ويذكر أحدهم لي ان (دارا توفيق) الاكثر اندفاعاً وسخاءً في تقديم المقترحات، بدا منهاراً وقد فقد كلّ لباقةٍ وقدرة على الإسهام برأى وهو الذي كان أحد ثلاثة من الذين يهيمنون على اجتماعات اللجنة المركزية. ربما من تأثير الخيبة بعد الجهود الشخصية التي بذلها.

وحاول (مسعود) مرتين سحب مسدسه بنيّة ظاهرها اطلاق النار على رأسه فوثب اليه المجتمعون وجردوه منه فطفق يستعير باكياً بصوت مسموع مردداً القول: "خمسون الف شهيد! تهدر دمائهم هكذا؟ ماذا سنقول للتاريخ؟ كيف سنواجه التاريخ؟ ماذا نقول لأهالي الشهداء؟ هل نترك الساحة بعد ان اغرقناها بدمائهم؟".

وكان (ادريس) خلال ذلك ساكتاً منشغلاً يتلقى البرقيات من الجبهات.

والظاهر هو ان نبأ اتفاق الجزائر بات معروفاً في الخطوط الأماميّة. وبخلاف ماكان متوقّعاً من تفشّي روح الهزيمة او انهيار في المعنويات جديدٍ. بدا وكأن روحاً قتالية جديدة قد انعشت نفوس البشمركه واذ كانت البرقيات ترد واصفة الاستماتة في الدفاع عن المواقع، والصمود المعجز الذي تبديه الوحدات امام قطعات الجيش المتقدمة، وردّ الهجمات المتتالية لاسيما في قطاع (سه ري حسن بك)، ففي اثناء ماكان الايرانيون يسحبون مدافعهم الى ايران حمي وطيس القتال هناك وبقي الخط الدفاعي صامداً والبشمركة يقاتلون باصرار ودون مبالاة بحياتهم تماماً مثلما كانوا يفعلون في العام 1966 والذي سبقه. وفي احدى البرقيات وردت عبارة قرأها أدريس علنا "نحن الآن في ثورة حقيقية".

**** **** ****

كان من مقتضى بروتوكول سرّي في اتفاق الجزائر. ان يمهل الثوار شهراً واحداً ليختاروا بين قبول العفو العام الذي اصدرته حكومة بغداد. بحق العسكريين والمدنيين وتسليم انفسهم للسلطة وبين اللجوء الى ايران. وقد سرى كما نوهت ـ خوف في ان تقوم الحكومة الايرانية باحتجاز ملامصطفى وابقائه رهينة وبقي الجميع ينتظر اوبته بجزع وفروغ صبر حقيقيين. والكل يعلم بأن القرار النهائي في مواصلة الثورة، او القاء السلاح سيكون مرهوناً بموافقته.

وعلى اثر استقرار المجتمعين على رأي استئناف القتال باسلوب حرب الانصار مثلما كانت الحال في مبدأ الثورة رُتبّ بان تتجزء قوات البشمركة. جزء ينهض باعبائه القتال في (بادينان) وجزء يبقى في منطقة راوندوز وحاجي عمران. في حين يتولى نوري شاويس وعبدالوهاب الاتروشي ادارة العمليات في منطقة السليمانية، وان يتولى رشيد سندي ادارتها في منطقة اربيل.

وعلى هذا الاساس بحث موضوع طلب المساعدة من سورية واقترح ان يقوم بالوفادة الى دمشق كلّ من صالح اليوسفي ودارا توفيق. واخذ الأمر مأخذاً جدياً اذ بوشر بالاستعداد للسفر. إلاّ ان عودة البارزاني من ايران غيرت كلّ شيء.

أعلِم بخلاصة ماتمّ القرار عليه فوافق مبدئياً وعلى مضضٍ كما يبدو.

وبعد ثلاثة ايام سحب البارزاني موافقته المبدئية وقد توصل الى ان الاستمرار في القتال لن يؤدي الاّ الى المزيد من اراقة الدماء، والى كوارث أخرى فصدر من مقرّه وباسمه خطابٌ موجّه الى كل المقرات والقيادات بعدم ابداء مقاومة والخيار بين الاستسلام او اللجوء الى

ايران.

لم ينطق ايٌ من الاثنين اللذين رافقا البارزاني بحقيقة مادار في اجتماع البارزاني بالشاه وقد نقلت عنهما احاديث كثيرة مختلفة ولم يحاول أحد منهما تدوينها لكن بعضها نُقل عنهما من خلال تصريحات للصحافيين. وماتسرّب لنا ان الشاه بيّن بصراحة إن اتفاقه كان لمصلحة بلاده، وانه لايستطيع ان يمنع الكرد من الاستمرار في نضالهم، إلاّ انه سيغلق الحدود ويمنع اي تماسٍ بهم منعاً باتاً ويضمن ذلك قطع المساعدات من اية جهة كانت. وهو لاينصح بشيء الاّ انه وبموجب الإتفاق وفي حالة الكف عن القتال نهائياً سيقوم بمنح حق اللجوء في بلاده لكلّ من يختار عدم البقاء وان يوفر للاجئين حياة حرة كريمة اسوة بالمواطنين الايرانيين ووفقاً لاتفاقيات جنيف بخصوص اللاجئين.

لم يستطع ملا مصطفى ان يفعل شيئاً ولكنّه على ماقيل: ذكّره بوعوده السابقة وبما انه مااستأنف القتال في العام 1974 إلاّ اطمئناناً الى تلك الوعود والتعهدات. مشيراً الى العلاقات التاريخية والعرقية التي تربط بين الشعبين الكردي والفارسي. واذ ذاك لم يسع الشاه إلاّ ان ينوه باقوال مندوب الثورة الكردية حول تلك العلاقة بمحضر انور السادات. وقد اتينا الى ذكرها. وهذا ماسمعتُه وليس بوسعي نفيه او تأكيده.

ان كان هذا ماجرى فعلاً خلال المقابلة، فلا ندري ماذا كان ردّ فعل ملامصطفى والاثنين الآخرين معه.

بعد بضعة ايام من وصول ملامصطفى وتعميم امره بوقف القتال جاءني الاستاذ ابراهيم احمد ليلاً، وعندي ساعتذاك السيد فؤاد عارف[2] كان ابراهيم يصرّ على مقابلة ملامصطفى في محاولة لاقناعه بمواصلة القتال. ومما اذكره ان فؤاد عارف بيّن له بالاّ جدوى في اي محاولةٍ كهذه. وبعد أن غادرنا فؤاد عارف حاولت من جانبي أيضاً إقناعه ولكنه اصرّ. فبعثت من انهى الى البارزاني بهذه الرغبة. وقضينا في الانتظار ساعاتٍ وقد مضى من الليل هزيعه الأول. في الظاهر ان ابراهيم كان يريد ان يسجّل لنفسه موقفاً معيناً، رغم ان القرار لم يكن فيه مجال للرجعة وقد اتخذ بتأمل وتفكير. فقائد الثورة ككثير من الآخرين كان يدرك جيداً ان

---

2 ـ العميد المتقاعد. الوزير في عدة وزارات ابتداء من عهد (قاسم). ونائب رئيس الوزراء في ايام عبدالرحمن عارف. التحق بالثورة بعد انتهاء أمد الاتفاق في آذار 1974. وبقي في طهران اسابيع قلائل ثم عاد الى العراق. وهو حيّ يرزق عند كتابة هذه السطور بمدى علمي ـ اطال الله عمره.

ثورة العام 1963 قد اخفقت قبل ان يجهز عليها اتفاق الجزائر. كانت جذوتها قد انطفأت في يوم 11 آذار 1970 . وحاول ابراهيم اقناعي بوجهة نظره وبصوابها. ناسياً انه لم يكن لايٍّ واحدٍ مِنّ اي تأثير على مجرى الأمور لا الآن ولاقبلها . فهو شبه محتجز وأنا الحجر الناشز عن البناء.

إلاّ انه اراد ان يسجلّ موقفاً.

اقترح ان نذهب معاً. فاعتذرت. ذهب وحده وعاد بعد ساعةٍ فاشلاً بطبيعة الحال ومعه عبارة ملامصطفى "لافائدة من اي مقاومة. انها تعني المزيد من سفك الدماء".

**** **** ****

بعد حوالي عشرة أيام. بدأت المسيرة الكبرى الى ايران.

وكان هناك الى جهة الغرب مسيرة أخرى. الآف من المدنيين والپشمركة، باسلحتهم وعتادهم واثقالهم يمرون بنقاط عسكرية عراقية ويسلّمون اسلحتهم لينقلوا الى مواضع معدّة حيث يجري اثبات هويّة كلٍّ على استمارة مخصصة. وقد جرى كلّ هذا بنظام دقيق وتحت ومضات عدسات المصورين والتلفزيون.

اما الى جهة الشرق فقد كانت الفوضى بعينها. لم يعد هناك شفاه تنطق باوامر لتطاع ولا اذان مستعدّة للسماع والإنصياع. كلٌ كان مشغولاً بنفسه.

كان البرج المدوّر الصغير الايراني المقام على ربوة، هو العلامة التي تعيّن خطّ الحدود الدولية وبعدها يبدأ الطريق الى داخليّة ايران بالانحدار الى سهل مترامٍ بطول يزيد عن خمسة كيلومترات ليبدء الطريق بعدها بالتواري خلف تلال. فوق هذه الربوة وعند نقطة الانحدار. وقفت والى جانبي آخر صحافي اجنبيٍّ يزور منطقة الثورة في كردستان ليشهد الفصل الختامي ويسجله. وكان وقتئذ منشغلاً بتنبيه مصوره الى مايفضّل التقاطه من ذلك المنظر المحزن، قبل ان يحزم أمره على الالتحاق بالمسيرة[3] خمسون الفاً؟ سبعون الفاً؟ لا احد يدري

3ـ هو الدكتور كونتر ڤچنر Günther Deschner مراسل صحيفة دي ڤلت Die Welt الالمانية المعروفة. بمصوره (سڤن سيمون). طبع كتابه "احفاد صلاح الدين : الشعب الكردي المغدور به Das betreogene Volk der kurden Saladin Sohne في المانيا وسويسرا (1980). وتجد فيه لقطات فوتوغرافية جميلة لما وصفناه.

فليس هناك من يسجّل.

خطّ طويل، قدر مايمتدّ اليه البصر من كتل بشرية تملأ الطريق وجوانبه وتبدو من بعيد فهي اشبه برتل النمل الطويل التارك بيته الى بيت آخر بنظامٍ يفتقده هذا الرتل الآدمي، فبين آن وآخر يقع البصر على سيارةٍ فيه مثقلة بالمتاع لولحدٍ من رجال الثورة او المحظوظين الذين مكنهم سخاء بغداد من اقتناء واحدةٍ.

لم يسمح لي الموقف بفرصة الاسترسال في الخيال وكان عليّ ان افكر في أمري. منذ ان ارتبطت حياتي بالقضية الكرديّة بدأت حبال الترف واواصر المعيشة المرفهة تتقطع عنها بالتدريج. وقد اصبحت الآن وانا لا املك غير رجليّ تقودني الى البلد الذي قبلني لاجئاً قبل ان يعرف عني شيئاً وقبل ان اتقدم اليه بالطلب.

قررت ان اختلط بين هذه الجموع ماشياً بصحبة من أوتمنت على سلامته [4]. كانت هناك اوراقي الخاصّة وفيها مااخترت تدوينه طوال وجودي في الأرض الكردية "المحررة". وهناك كتب عديدة ومراجع وثياب لاغنى لي عنها في المجتمع الحضري الجديد. وحين بدأت أختار ما "خف حمله وغلا ثمنه" كما يقول المثل حانت مني التفاتة الى تمثال نصفي لي من الجبس بارتفاع قدم ونيف ـ صنعه لي احد الفنانين الملتحقين بالثورة. فتناولته وضربت به الأرض فتكسّر قطعاً وتحطم.

لم تكن الثياب مشكلة فلديّ المال الكافي لبديل لها. لكن ماذا عن الكتب؟ والاوراق وملفات كثيرة؟

وفيم انا جالس افرز مالايمكن الاستغناء عنه من الكتب وامزق ما لاأهمية كبيرة له من اوراق اذا بي اجد لي عوناً وخلاصاً ممن لم يكن خيالي يصوره لي منقذاً بشخص السيد يونان هرمز [5].

---

4 ـ هو الملازم أزاد ابن الصديق الاعز الاستاذ جوهر عزيز نزني العضو السابق في محكمة تمييز العراق، ارسله والده اليّ خصيصاً عندما قرر الالتحاق بالثورة. وكنت شديد الشعور بمسؤوليتي عن سلامته فبقي يلازمني.

5 ـ يعيش في الولايات المتحدة. كنت قد تلقيت منه رسالة واحدة بعد سنة ونيف 1976 من استقراري في ايران. وكتبتُ له. فلم يثنها. وانقطعت انبائه عني منذ ذلك الحين. كان واحداً من المترجمين اثناء الثورة. ثم مديراً لمكتب الأمانات فيها [ترى صورته امام ملا مصطفى من الجهة اليمنى]

كان قد ابتاع قبل اشهر بمبلغ زهيد سيارة جيب صغيرة قديمة الطراز مكشوفة مخلّعة الاطراف الاّ انها صالحة. عرض علي ان يأخذنا. معه بهذا انقذ اوراقي وبعض كتبي. وجنّبني المسيرة الطويلة

لم أر طوال المدة المنحصرة بين آخر لقاء مع ادريس ومسعود في حاج عمران وبين وصولي الى (نغده) أحداً من الزملاء. ولم يسألني آحدٌ طوال السنوات الثلاثة عشرة التي قضيتها في ايران وباستمرار صلتي بالمذكورين وبغيرهما من القياديين عن كيفية وصولي. ولا كيف كنتُ أحيا خلال الاسابيع الأولى وبأي ضيافةٍ كنتُ قبل الانتباه الى وجودي. ولم اجد ضرورة او رغبة بالأحرى أن أعيش في جوّ المعاملة الخانق سيّما بعد ان شاهدت (ادريس) حال وصولي (نغده) وهو يدور في ساحةٍ معدة لهبوط الطائرات المروحيّة قلقاً على عدد من الرجال القياديين في بهدينان مستبطئاً وصولهم وبينهم من سوّد وجه الثورة ومرّغه في الاوحال بجرائمه واعتداءاته على الاهالي وبينهم مجموعة من اولئك الذين وجدوا اسهل الطرق في الاستيلاء على اموال الآخرين وحلا لهم، هو القضاء عليهم.

وما اشبه الليلة بالبارحة.

ستبقى القضية الكردية أبداً بحاجة الى أخلاق ووحدة وحسن سلوك قبل حاجتها الى سلاح.

هەولێر کتێب

الفصل الأول

محاولة نقل القضية الكردية
الى القاهرة.

[وردت تفصيل ذلك من خلال الفصول الأربعة الأخيرة من ترجمتي لكتاب دانا آدم شمدت D. A. Schmidtالموسوم "رحلة الى رجال شجعان journey among brave men
" ط، دار الحياة ـ بيروت 1973 فلتراجع]

يذكر جلال الطالباني للمؤلف: [الزمن، نيسان ـ أيار 1963]

ان الوفد قابل طاهر يحيى وزير الداخلية بعد فشله في مقابلة احمد حسن التكريتي رئيس الوزراء، فأنبأه (يحيى) ان المقترحات الكردية سترسل الى (عبدالناصر) والى الحكومة السورية لدراستها (كانت تجري مفاوضات ثلاثية حول الوحدة وقتذاك ـ والمسألة تتعلق بالوضع السياسي الذي سيرسم لكردستان العراقية عند اتمامها).

بقي الوفد فترةً ينتظر مقابلة (احمد حسن البكر) وفي الأول من أيار تمتّ، وفيها عَبّر الطالباني عن استيائه لتأخير المفاوضات وتساءل عما اذا كانت الحكومة مستعدة لمواجهة قتالٍ؟ يقول الطالباني: تناول رئيس الحكومة القرآن ووضعه فوق رأسه هاتفاً "اقسم بهذا القرآن اني لاأضمر لكم اي نية سوء وأن المطالب الكردية ارسلت الى القاهرة ودمشق لبيان مطالعتها". اجاب الطالباني "وانا اقسم بالقرآن انك لاتضمر لنا نية سوء. لكن نوايا كلّ زعماء البعث سيئة بقدر مايتعلق الأمر بنا"،آه. نقول:

بطابع العجلة وعدم الاستئناس برأي الآخرين طلب الطلباني من مسؤولي البعث ان يسمح له بالشخوص الى القاهرة ليشرح المطالب الكردية لعبدناصر، وبعد ساعتين فقط ابلغ أن طلبه قد

اجيب ..... في القاهرة كان بانتظاره خيبة أمل أخرى، لم يجد من عبدالناصر ماكان يؤمله ـ لاريب ادرك وقتها انه بات كالكرة تتقاذفها اقدام اللاعبين، كانت القاهرة تشهد لعبة المفاوضات على الوحدة الثلاثية، بمآلها الفاشل المحقق. وكلّ فريق يتمنىّ لها الاخفاق، ويحاول في عين الوقت أن يلقي تبعته على الفريق الآخر، ولم تكن الموافقة على سفر الطالباني إلاّ جزءً من هذه اللعبة القومية العروبيّة، عبدالناصر على اغلب تقدير سيخشى أن يصرح لرئيس الوفد الكردي بما يمكن أن يستخدمه البعثيون العراقيون ضدّه في المفاوضات، والبعثيون العراقيون من جانبهم ارادوا بابعاد الطالباني عنهم وارساله الى القاهرة أن يستخدموا اي تنازل لعبدالناصر الى مطالبه حُجّة ضده وورقة رابحة في يدهم عند الحاجة، ولذلك وافقوا فوراً على اقتراح الطالباني، واخذوا يترقبون النتيجة، لو رأى عبدالناصر عدم الموافقة كلياً أو جزئياً على عروض الطالباني الكردية فأن هذا سيرفع عنهم المسؤولية المثلثة: التاريخية ـ السياسية ـ القومية في حالة فشل المفاوضات الوحدويّة، كما سيدرأ عنهم هجوم عبدالناصر الاعلامي في الوقت نفسه، وكل ذلك ماكان ليحول بينهم وبين تطبيق مشروع اللامركزية التافه الذي نشروه في حينه وهو انكار صريح للحقوق القومية الكردية. وقد ادّى فعلاً الى استئناف القتال في 15 من حزيران 1963. يقول شمدت: كانت المسألة واضحة لملامصطفى مثل وضوحها لغيره، وكان مصيباً في قلقه وغضبه لأنتقال القضية الكردية في العراق الى مصر. فالحلّ كما رآه لايكون الاّ في العراق.

واكمالاً للصورة وجدت من المناسب ان لا احرم القارئ من نصّ الرسالة التي كتبها جمال عبدالناصر بخطّ يده الى عبدالحكيم عامر مؤرخة في 23 من شباط (فبراير) 1963، نقلها محمد حسنين هيكل بالصورة والخط وضمنّها كتابه "سنوات الغليان" في الصحائف 932 ـ 936. فيها يصف الرئيس المصري انطباعاته عن الوفد الكردي وعن اعضاء الوفد البعثي الذي شخص الى القاهرة بعد انقلاب الرابع عشر من رمضان.

[نقلناها باخطائها اللغوية ولم نجر عليها اي تصحيح]

كتب عبدالناصر:

« وصل وفد العراق اوّل أمسٍ وهو مكوّن من (السّعدي) امين عام حزب البعث ونائب رئيس الوزراء ووزير الداخلية، وهو صريح مغرور مندفع كان في السجن وقت قيام الثورة. وأظنّ انك لاحظت انه لم يذكر في خطابه اسم عبدالسلام عارف بل تجاهله كليّةً كما تجاهله في



المسيرة الى الحدود اثر اتفاقية الجزائر 1975

هەوالنامەی کتێب

المباحثات ولكن انطباعي بالنسبة له انه وطنيّ مخلص.

والفريق علي صالح عمّاشه (يقصد طبعاً صالح مهدي عماش) وزير الدفاع كان ايضاً في السجن يوم الثورة وهو هادىء ذكي وقد ارتحت جداً اليه. وهو من جماعة الحاج سري (يقصد رفعت) لكنه انضمّ اخيراً الى حزب البعث. وطالب شبيب وزير الخارجيّة وهو بعثي ذكي لبق متحدث وقد استرحتُ اليه.

عمر الاول 30 سنة والثاني حوالي 38 سنة، والثالث حوالي 28 سنة وضمّ الوفد ضابطين من مجلس الثورة، وقد تكلمت معهم بصراحة في جلسة أمس الاول بعد الفطار الى الساعة الواحدة والنصف، وأمس بعد الصلاة الى موعد الإفطار.

ويظهر من كلامهم انهم مقدرون المتاعب ويريدون علاقة وثيقة مع ج.ع.م (الجمهورية العربية المتحدة) وقد قلت لهم اننا لانريد منهم اي شيء سوى وحدة الهدف حتى لانمانع اذا تحررت سوريا (يقصد سورية) في ان تتحد مع العراق بل سنؤيد ذلك وقد قال عماشه ان سوريا يجب ان تتحد مع مصر اولاً وان اي اتحاد بين سوريا والعراق معناه منافسة بين بغداد والقاهرة او مظهر منافسة، وبعد ذلك تتحد العراق. وقد تكلمتُ معهم بصراحة عن الاخطاء. اخطاء حزب البعث. وانّ اي ممارسة وتطبيق لايّ هدف لابدّ ان تتعرض لاخطاء.

امّا الاكراد، وزير[1] وممثل للبارزاني فقد طلبوا ان يقابلوني على انفراد عن الآخرين وقد وافق الوفد على ذلك. قالوا لي (قالا) في المقابلة انهم لايثقوا في اي وعود من الحكومة إلاّ اذا ضمنتُ شخصياً تطبيق الوعود، وهم يطالبون بالحكم الذاتي، وقد اوقفوا القتال بعد قيام الثورة وكان لهم اتصال مع رجال الثورة قبل قيامها واخذوا وعود، والملاحظ ان الحكومة تتهرب.

عموماً المشاكل التي تجابه ثورة العراق كبيرة جداً. قال عماشة (صالح مهدي عماش) ان المجلس الوطني (لقيادة الثورة العراقي) قرر أن لابد من موافقتنا على ايّ حلّ لمشكلة الاكراد. كذلك لمشكلة الكويت حيث ان هذه الأمور تتعلق بالوحدة التي هي الهدف النهائي للثورة وقال عمّاشة انه يوجد سبعة ألوية (من الجيش) تحارب في المناطق الكرديّة، وهم في حاجة الى ذخيرة وقنابل طائرات واسلحة. وطلبوا ان يحصلوا على الذخيرة من عندنا لأنّ الاتحاد السوفييتي موقفه عدائي جداً، ذخيرة الدبابات والمدفعيّة الخ .... وطلب احياء الاتفاقية

1 ـ هو فؤاد عارف.

المسكرية (اتفاقية تموز 1958؟) والحصول على طائرات من انتاجنا (!؟) ورشاشات بورسعيد وبنادق (بندقيات) الخ.. وقال عماشة انهم اعتقلوا 800 ضابط شيوعي منهم 150 طيار، لدرجة ان الأسراب الآن بدون طيّارين، وقد دمّروا سرب ميج 19 موالي لقاسم واعتقلوا اربعة الآف شيوعي وقتلوا عدداً كبيراً منهم بدون محاكمة في اوّل يوم.

عموماً الموقف ايضاً في الجيش وبين الفئات القوميّة لايدعو الى الارتياح فمجلس الثورة اغلبه من البعثيين. وعارف عبدالرزاق قائد الطيران ليس من ضمن المجلس والثورة قام بما يقرب من 90٪ منها القوميون في الجيش غير البعثيين و10٪ بعثيين وفي رأيي ان الكل، (أحدهم) متربّص بالآخر. البعث يريد السيطرة الكاملة والكل متخوف من البعث ومتربص، وقد تكلمت معهم أمس في ضرورة جمع كلّ الفئات القوميّة حتى لايُعزلوا. وان اي نكسة لن تكون في صالح القوميين بل لصالح الرجعيين او الشيوعيين. وكان الردّ، انهم يتجهون الى المستقبل وينسون الماضي، ويعملون على تجميع كلّ القوميين ولكنه رغم ذلك فأن عمّاشة قال امس لطلعتْ صدقي في الاوبرج ان امام عبدالسلام من اشهر فقط. ويُفهم ان البعث يعتبر هذا التحالف مرحلة، كما ان السعدي قال لطلعت في الاوبرج بعد ان ان شرب ١٤ كاس ويسكي، اننا لانريد ان نقابل الرئيس مرةً أخرى لأنه يَلْشَف الجميع بكلامه وتحليله.

رغم ذلك فسأتقابل معهم اول يوم العيد بعد عودتهم من الجزائر وقبل سفرهم. وفي رأيي انهم شباب يحتاج الى رعاية وتوجيه وقد لاحظت انهم في شدّة التعب لدرجة ان السّعدي نام في اول جلسة.

عموماً اعتقد رغم اخطاء البعث، ان واجبنا ان نحافظ على ثورة العراق، وليس امامهم الاّ اللقاء معنا ...

امّا صديق شنشل فيقول ان عبدالسلام عارف يترك لهم الأمور في هذه المرحلة التي سترتكب فيها اخطاء كثيرة، وان هناك تجمع قومي في الجيش والفئات القومية الأخرى. آه.

*** *** ***

لكن الطالباني - بعد خيبته في عبدالناصر - اعتذر عن سفرته الى القاهرة ونقل عنه شمدت قوله هذا " في مساء ذلك اليوم استدعيت لمواجهة رئيس الوزراء (البكر) وقيل لي ان وفداً قد تألف للذهاب الى القاهرة لتقديم التهاني بمناسبة ذكرى الوحدة ويريدون مني مرافقتهم فاحتججت قائلاً ان البارزاني ارسلني الى بغداد وليس الى القاهرة واني لا املك اجازة من

البارزاني للقيام بمثل هذه الرحلة فأكدوا ان الوزيرين الكرديين في الحكومة الحاً بوجوب سفري ولم يكن وقت لاستشارة البارزاني ....".

هەواڵنامەی کێبڕکێ

الفصل الثاني

حول انشقاق العام 1964

في يوم 7 نيسان 1964 اصدر المؤتمر الذي جمعته قيادة الحزب برئاسة السكرتير العام ابراهيم أحمد قرارين أولهما: اعتبار جميع الاجراءات والخطوات التي يتبعها ملامصطفى فيما يتعلق بشؤون فصائل الانصار الوطنية (البشمركه) في كردستان تدخلات فردية مُخالفة لنظام الحزب الداخلي ومبدء القيادة الجماعية والتعليمات الخاصّة بادارة الفصائل، وعليه تعتبر باطلة من الأساس. وثاني القرارين الدعوة الى مقاومة جميع الخطوات والاجراءات التي من شأنها اضاعة مكتسبات الثورة واضعاف الحزب ومناشدة الشعب لمواصلة نضاله من اجل تحقيق اهداف الثورة وما يصبو اليه الشعبان الكردي والعربي من اخوّة صادقة وحياة ديمقراطية سليمة.".

وقد سبق لي في كتاب "الحرب الكردية وانشقاق 1964" أن اتيت الى تفاصيل ماحصل بعد هذين القرارين من مضاعفات فيما يتعلق بمصير الجماعة المنشقة التي طوردت وارغمت على اختراق الحدود واللجوء الى ايران وفي حينه (كان طبع الكتاب في 1990) تعمدّت طيّ صفحة هامة، من ذيول الشقاق وماجرّه على الحزب والثورة، وما نجم عنه من خسائر متتالية في جولات سياسيّة مع بغداد والخروج منها دوماً بصفقة المغبون – فقد كان عام صدور الكتاب يشير إلى تقارب ملموس في وجهات نظر قيادتي الحزبين الكرديين الكبيرين والى بوادر تنسيق سياسيّ مثمر. لذلك آثرت التجاوز خشية أن أثير كوامن أحقاد وذكريات مرّة قد تعكر اجواء

التعاون.

كان من الصعب التعويض عن القيادة المنشقة وكوادرها المتمرسة في النضال، الغنية بتجاربها الحزبيّة. وهي عين القيادة والكوادر التي اشرنا اليها في الباب الأوّل من هذا الكتاب. وشرحنا كيف تمكنت من السيطرة على الحركة العشائرية الغوغائية وتوجيه مسارها الى الاهداف القومية باشراف الحزب[1].

لم يعصم الثورة والحزب من الانهيار التام غير البشمركة وشخصية رئيس الحزب، وقد شعر هذا بعد محاولات لرأب الصدع - بحاجة الى بديل قياديّ للحزب. ومن أجل ذلك تمّ عقد المؤتمر السادس في الاوّل من تموز 1964 لانتخاب لجنة مركزية جديدة. في ذلك الحين كان يحيط بالبارزاني خليطٌ عجيب متناقض من الشخصيّات، ولايجمعهم جامع فكريّ او عقائدي، فمن ناحية كان هناك زعماء عشائريون من امثال عباس مامند زعيم آكو، والشيخ حسين بوسكين، ومن جهة ثانية كان هناك العقيد طه بامرني، والرئيس جلال بالطه والمقدم سليم الفخري [2] وهم من الشيوعيين او انصارهم الهاربين بعد الثامن من شباط، ومن هذين الفريقين كان هاشم عقراوي الحزبي الوحيد الذي اتخذه ملاّمصطفى سكرتيراً ودجنّه البعثيون فيما بعد - وقد جمع الى محدوديته العقلية، طموحاً جدّياً لأن يخلف ابراهيم احمد في منصبه.

وكالحاطبِ بليلٍ - جرت عملية انتخاب اعضاء اللجنة المركزية الجديدة بل انتقائهم وبعجلة

1ـ اعضاء اللجنة المركزية الخارجون هم ابراهيم احمد وجلال الطالباني ونوري صديق شاويس وعلي عبدالله وسيد عزيز شمزيني، وعبدالرحمن ذبيحي (عفّا) وعمر مصطفى (نباية) وعلى العسكري وعلي حمدي واحمد عبدالله ومحمد حاج طاهر وحلمي علي شريف ونوري احمد طه. (بقي صالح اليوسفي فترةً لايميل الى هذا الجانب ولا الى ذاك). ثم القى بحظوظه الى الفريق الثاني.

2ـ كان العقيد طه بامرني آمراً في لواء الحرس الملكي عندما حوصر قصر الرحاب في صبيحة يوم 14تموز 1958 وقد عين فيما بعد قائداً للمقاومة الشعبية، ولم يحمل بطاقة الحزب الشيوعي الاّ انه بقي من الانصار. وكان الرئيس جلال بالطه وهو شيوعي عضواً في الهيئة التحقيقية السيئة الصيت الملحقة بالمحكمة العسكرية العليا الخاصّة التي رئسها العقيد هاشم عبدالجبار، وسليم الفخري وهو من قدماء العسكريين الشيوعيين، اعيد الى الخدمة بعد 14 تموز، وانيطت به مديرية الاذاعة وقد هربوا مع آخرين والجئوا الى منطقة الثورة بعد انقلاب الثامن من شباط1963 (اخبرني سليم انه كان يشرف لفترةٍ على مطبوعات الحزب الديمقراطي الكردستاني بمعاونة بعض الشيوعيين من امثال محمد محمود عبدالرحمن (سامي) قبل خروجه من الحزب وهو ماايده لي شخصياً).

شديدة، فمثلاً (انتخب) صالح اليوسفي في غيابه، وقد متردداً بين الجانبين حتى انتخابه، كما انتخب الدكتور محمود عثمان، وكان وقتذاك يمارس الطبّ في بيتواته دون ان يكون له ايّ صفة حزبية بعد أن تقرر طرده في 1959. (اعيدت اليه عضويته بعد تنصلّه من انتمائه الى جماعة حمزة عبدالله). فقد استدعي ليشارك في اللجنة التحضيرية، وبذل مجهوداً محموداً في هذا الباب، كما انتخب حبيب محمد كريم وبدالله (غيابياً) أيضاً، وكان حبيب مذيعاً في راديو الثورة في ماوه ت. وقد عاد الى بغداد بعد اذاعة بيان عبدالسلام عارف (انظر كتابنا الحرب الكردية وانشقاق 1964) وبقي فيها الى أن استدعاه البارزاني برسالة بناء على اقتراح (علي سنجاري) الذي ادعه الآن يكمل الحكاية : قال لي حبيب وبدالله دعوة البارزاني، والتقينا في (سه نگه سه ر)، قال لي حبيب هاي شنو ؟ صُدقْ سؤيتو مؤتمر واجنة مركزية وانتخبتموني أيضاً ؟ قلتُ أجل وانتهى كلّ شيء، لكن نشب خلافٌ حول السكرتارية فقد كان هاشم عقراوي يطمع بها. الاّ اننا شكّلنا جبهة معارضة (محمود عثمان واسماعيل عارف والدكتور فؤاد جلال وأنا)! وقلنا لحبيب نريد ترشيحك للسكرتارية، قال: لااريد ذلك لابأس في ان اكون عضو لجنة مركزيّة، امّا منصب سكرتير عام، فلا، هذه الشغلة لاتلائمني، انيطوا بي مهمّة حزبيّة أخرى، وانا موظف واريد ان ابقى في بغداد واعمل في صفوف الحزب في عين الوقت، لكننا رفضنا عرضه، واخذنا سمتنا الى البارزاني واعلمناه بوجود مرشحينْ اثنين للسكرتارية فسأل من هما؟ قلنا هاشم يريد ان يتولى المنصب لكننا نريد حبيباً، فاطرق ملامصطفى وفكّر برهة ثم قال وانا اميل الى ان يكون حبيب، فهاشم لايصلح لهذه المسائل ولاشخصية له تؤهله ولا قابليّة، فانتخبنا (حبيباً)".

ادت عملية الانشقاق الى صورية انتخابية [3] رفعت أناساً لاخبرة سابقة لهم الى مركز القيادة باستثناء صالح اليوسفي وعلي السنجاري وابعدت قياديين متمرسين ومثقفين كانت الثورة في اشدّ حاجة اليهم، غُم على عقولهم للحظة من الزمن فركبوا رؤوسهم وابتعدوا عن

3 ـ تالفت اللجنة المركزية، من عزيز عقراوي، وهاشم عقراوي وعلي السنجاري واسماعيل عارف ونعمان عيسى ومحمد امين بك، والدكتور محمود عثمان والدكتور فؤاد جلال وحبيب محمد كريم وصالح اليوسفي وبدالله عبدالكريم، ورمضان محسن عقراوي وعمر شريف وشيخ محمد هرسين واسماعيل ملا عزيز ومصطفى القرداغي وفاتح محمد بك وفؤاد معصوم لست انكر ان جهداً كبيراً بذل لانتقاء خير مايمكن العثور عليه وقد برهن عدد من هؤلاء بانهم جديرون بالمسؤولية فيما بعد، الاّ انّ الاحتراب الداخلي الذي نشأ فيما بعد، اضعف كفاءاتهم الى حدّ الجمود.

واقعهم وواقع الثورة.

كان الفريق الجديد فريقاً غير متجانس قطّ، فتح باب التآمر الداخلي والاحتراب على مصراعيه من البداية. وكان اول قرارٌ للمؤتمر هو طرد اعضاء اللجنة المركزية السابقة من الحزب.

*** *** ***

لم يبق المنشقون وقواتهم الضاربة في ايران طويلاً، وبدت تصريحاتُ منهم تدلّ على استعدادهم للمشاركة في النضال شريطة أن يكفّ البارزاني عن التنازل لحكومة بغداد ولعبدالسلام عارف.

بطبيعة الحال لم تسفر الهدنة عن شيء وتبين لملاّ مصطفى أنه اتاح وقتاً كافياً لحكومة بغداد لتدبر أمر وضع شروط مشرفة، وبدأت غيوم الحرب تتجمع، تدريجياً، ثم بدأ القتال مجدداً في منتصّف شهر آذار 1965 ، وفي شهر آب عادت اللجنة المركزية المزاحة الى كردستان العراق على رأس زهاء (700) من البشمركة وشاركوا في معارك جبل كورك وابلوا بلاءً حسناً.

كان ملامصطفى مستعداً في ذلك الحين لتقديم ترضية تمهيداً لرأب الصدع ولذلك لم يعترض او يمانع في عودة اللجنة المركزية السابقة واستقرارها في (نوله ره قه)، لكن ولأسباب تخرج عن نطاق هذا الفصل، فضلوا العودة الى ايران، وكان هناك خلافٌ بينهم فقد تخلف منهم كلّ من نوري شاويس ونوري احمد طه وعلي عبدالله. وانضموا الى الحزب الذي كان البارزاني على رأسه [4].

---

4 ـ قابل (نوري شاويس وعلي عبدالله) ملامصطفى ووضعا نفسهما تحت تصرفه، فاسكنا قرية ديلزه ووفرت لهم كل وسائل الراحة، ثم انتقلا الى دربند. وفي مؤتمر الحزب السابع المنعقد بتاريخ 15 من تشرين الثاني 1966 اقترح البارزاني على المؤتمر ضرورة دخولهما عضوين في اللجنة المركزية فتم ذلك ثم انضما الى المكتب السياسي.

الفصل الثالث

بيان التاسع والعشرين من حزيران 1966

وملابساته ومضاعفاته ظروفه، جوانبه السياسية،

المساجلات بين واضعه وبين الحزب الديمقراطي الكردستاني

[يفتقد المتتبعون لمسيرة القضية الكردية في العراق هذا البيان وردود فعل منشئه الدكتور عبدالرحمن البزاز رئيس الحكومة وقتذاك على ماادعّاه الحزب الديمقراطي الكردستاني من اعتزام الحكومة التي عقبت حكومة البزاز التنصّل منه او الافتئات عليه. لهذا وجدتُ من المناسب اثبات كلّ مادونت عنه في اوراقي من ملاحظات ونصوص].

في يوم 21 من ايار 1966 انيط بالبزاز مهمة تشكيل الوزارة.

وفي السادس من شهر تشرين الثاني اذاع منهاج حكومته. وقد خصّ فيه المسألة الكردية بهذه الفقرات:

"ان الوزارة ستعمل كل مافي وسعها لاعادة الأمن التام الى ربوع العراق كافة والحفاظ على وحدة تربته. وهي حين تعترف بحقوق اخواننا الاكراد القومية، تلك الحقوق التي جاءت بتعبير الدستور المؤقت تاكيداً جديداً على قيامها، فانها ترغب مخلصة في العمل حسبما نصّ عليه الدستور وبالاضافة الى هذا كلّه فان الوزارة ستُشَرِّع باسرع وقت مستطاع قانوناً جديداً للادارة المحليّة يمهّد للحياة الديمقراطية السليمة تمهيداً عملياً ويكون خطوة الى الامام في سبيل تحقيق افضل حياة نيابيّة.

ان قانون الادارة المحليّة الجديد سيؤكد ذاتية القومية الكردية ويمكّن مواطنينا في الشمال من الحفاظ التام على لغتهم وتراثهم الفكري وتمكينهم من النشاطات المحلية التي لاتتعارض مع وحدة البلاد ولاتمهدّ باي حال من الاحوال لانتقاص جزءٍ من اطراف وطننا الواحد. (آه)

وفي مساء التاسع عشر من حزيران 1966. ألقى البزاز عبر التلفزيون حديثاً تطرّق فيه الى قيام "لقاءات وحوار" مع اخواننا الكرد "في الشمال" بغية ايجاد حلّ سلمي للمشكلة وان هذه اللقاءات قطعت اكثر من نصف الطريق وسيعلن بعد اسبوع او اسابيع قلائل المدى النهائي التي ستتصل اليه. وقال "ان النقطة الهامة هي الوضع في شمال الوطن لعلكم تذكرون اني في حديثي السابق في الندوة الصحفية بُعيد وفاة فقيدنا الراحل رحمه الله (يقصد عبدالسلام محمد عارف) قلتُ مخاطباً اخواننا في شمال الوطن باننا نؤمن بالسلّم وندعو له. ونعتقد ان اسوء مايصاب به وطنٌ ان يقتتل الأخوة فيما بينهم. اننا مستعدون الى الاعتراف بالقومية الكردية وبحقوق مواطنينا الاكراد القومية كاملةً غير منقوصة واننا وهُمْ، أخوةً سواءً في هذا الوطن الواحد.

هذا النداء الذي قلتُه بقينا نعمل على تحقيقه بكل طاقاتنا وانا لااقول اننا بلغنا المرحلة النهائية من النصّر الكامل لكني اقول بتواضع اننا قطعنا على اقلّ تقدير نصف الطريق.

إن فريقاً كبيراً من اخواننا ابناء شمال الوطن، قد ادركوا صدق نوايانا واستجابوا لهذا النداء. والمرجو ان يستجيب اخواننا جميعاً الى ندائنا هذا لأنه نداء مخلص يصدر عن نفوس محبّة لابناء هذا الوطن كلهم. لافرق بين ابناء الشمال وابناء الوسط وابناء الجنوب - صادرة عن ارادة مصممة على ان تعمل من اجل السلام والبنيان في الوطن بكل طاقاتها دون ماتردد، وبكل اخلاص وخلوص نية.

فمرة أخرى اتوجه الى اخواننا الذين لايزالون يحملون السّلاح، ان الزمان قد حان لان يعودوا الى حكومتهم المشروعة وان يستجيبوا الى دعوتها المخلصة (بهذه العبارة الأخيرة يقصد البارتي وقائده البارزاني).

اننا قد اعددنا منهاجاً كاملاً لسياستنا بالنسبة لاخواننا الاكراد وهو منهج يقوم على:

- ***الاعتراف الكامل بحقوقهم القومية وبتمكينهم من الادارة اللامركزية في كلّ نواحيهم واقضيتهم والويتهم.***
- ***وتمكينهم من النشاطات التي تتصل بذاتيتهم. مع الاعتراف الكامل بلغتهم وتراثهم الفكري وكل متطلبات قوميتهم واصدار العفو عن كل الذين يلقون سلاحهم. والعمل الدائب من اجل اعمار كلّ القرى وكل المدن وكلّ***

البيادر وكلّ المزارع التي اتلفت بسبب العنف القائم.

مع متطلبات عديدة أخرى سننيعها باذن الله قريباً.

وعندئذ يعود العرب والاكراد اخوةً متحابين في هذا الوطن الواحد الذي تجمعهم فيه هذه التربة الواحدة التي هي تربتهم. وهم قبل ذلك اخوةً يجمعهم دين واحد ويحميهم تراث واحد ومصلحة واحدة ان العراق ليس عراق العرب وحدهم انه عراق العرب والاكراد على حدّ سواء. وما احلى ان تعود الاخوّة العربيّة الكردية حقيقة في هذا الوجود فيتعانق الجندي العربي والجندي الكردي. يتعانقان لافي بغداد ولا في السليمانية ولكنهم (ولكنهما) يتعانقان في ثنايا حطيّن. ليعيدوا (ليعيدا) امجاد صلاح الدين. ولتعود الأمة العربيّة والأمة الاسلامية وليعود العراق مزدهراً بقوميتيه العربيّة والكردية.

ايها الاخوة: هذا موضوع مهّم ودقيق تطلّب منّا جهوداً متواصلة وعملاً دائباً ولقاءات مستمرةولا اقول مفاوضات لان المفاوضات انّما تجري بين الخصُوم فالاكراد والعرب ليسوا دولاً متحاربة انما هم هم اخوة قد اختلفوا حينا وان لهم ان يدركوا ان الوقت قد حان لانْ يلقى السلاح. وان الطاقات الهائلة التي تصرف اليوم في التحطيم والتدمير يجب ان تصرف في الانشاء والتعمير وان جيشنا الشجاع الذي قام بواجبه ومايزال قائماً، ان جيشنا هذا يدرك مسؤولياته وسيحافظ على وحدة هذا الوطن وسيقوم بدوره الأعظم في الانشاء والتعمير ورعاية المواطنين كافة حين يتم ذلك. فرجائي الى المواطنين كافةً ان يثقوا بجيشهم، ان يطمئنوا اليه وان يعلموا انه هو الحارس لهم. انه لايؤمن بالعنف حيثما لايكون للعنف ضرورة وهو يريد السلم كما نريده حيثما يكون طريق السِلّم مفتوحاً ومرغوباً فيه من جميع الاطراف.

هذه المسائل التي ارجو ان تفسّر على وجهها الصحيح والتي ارجو مخلصاً ان يستجيب لها كل من يعنيه مصير هذا القطر وسلامته.

وانا اعلم ان فريقاً من اخواننا وربّما من العرب قد ينكر هذه السياسة ويعدونها هزيلة او ضعيفة وانهم لايرضون الاّ بالقضاء على آخر متمردٍ.

اقول لهؤلاء واقولها باخلاص: ان الوضع في شمال الوطن مالم يتمّ عن طريق الرضا والتسوية المعقولة والاعتراف الكامل بالحقوق المتقابلة لايمكن ان ينتهي نهائياً ذلك لأننا لوبقينا الفاً او خمسمائة أو خمسين غير راضٍ فيستطيعون ان يقلقوا المنطقة ويحدثوا من الاضطراب

مايقضي مضاجع الاهلين. واذا ماعلمنا ان ماوراء الحدود اناساً لايريدون لهذه البلاد امناً ولا استقراراً، أناساً يريدون ان يستغلّوا الحرب بين الأخ واخيه. اناساً قامت مصالحهم على تشتيت هذا القطر الواحد، اناساً يطمحون ببعض (كذا) اراضيه وبعض ثرواته وبعض مياهه، اذا ماعرفنا ذلك، يجب ان ندرك ان السلم خير. "واحضرت الأنفس الشحّ" "وإن جنحوا للسلم فاجنحْ لها".

والحكومة من جانبها راغبة رغبة اكيدة مخلصة ربما للمرّة العاشرة، في ان تحل مشكلة شمال الوطن على هذا الأساس الذي اوجزته والذي سأذيعه يوماً ما قريباً بمواد مفصلة وقواعد واضحة لاتبقى لبساً ولاتدعو بعد اليوم ان شاء الله الى فرقة. وانا على يقين بان الكثرة الكاثرة من اخواننا في الشمال وغير الشمال في المناطق الكرديّة وفي المناطق العربيّة سيستجيبون الى هذا النداء المخلص ويضعون حداً للمآسي. فقد كفانا ماسي وكفانا دموعاً وكفانا قنابل وكفانا تقتيلاً. اننا نريد ان ننشيء ونعمّر ونعيش بسلام. ماأحسن ان نرجع الى الودّ كما كُنا! ماأحسن ان نرجع شعباً واحداً من قوميتين. ماأحسن ان نرجع اخوة نعمل في سبيل الإعمار والانشاء والبنيان في سبيل سعادة الأفراد جميعاً لافرق بين عربيهم وكرديّهم وغيرهم من المواطنين على اختلاف اجناسهم واديانهم.

انا اعلم ان هذا الأمر يبدو مهما وانا أعلم انه لن يتمّ في يومٍ وليلة ولكننا نعبّد الطريق له وان الذي اعلنه اليوم ليس هو عمل اسبوع او اسابيع وقد بلغنا اكثر من نصف الطريق وسأكون اسعد خلق الله حينما أعلن فيما ارجو بعد اسبوع او أسابيع المدى النهائي الذي سنصله".

*** *** ***

والاستاذ عبدالرحمن البزاز عنصرٌ قومي عروبي بارز منذ الثلاثينات. واحد من اعضاء نادي المثنى القومي الطابع الذي كان يضمّ في حينه الدكتور سامي شوكت وساطع الحُصري وغيرهما من رواد القومية العربيّة. حقوقيّ مارس التدريس في كلية الحقوق [1] وزاول المحاماة والقضاء وكان عضواً في محكمة تمييز العراق في 1959.

واختير نائباً لرئيس الوزراء في حكومة العميد عارف عبدالرزاق يوم خَطَر ببال هذا الأخير أن يشرع بعملية انقلابية (على نفسه)! ترمي الى ازاحة عبدالسلام محمد عارف عن

1 ـ كان استاذاً لي في كلية الحقوق للعامين 1941 و1943.

منصب رئاسة الجمهورية. ثم تحقيق الوحدة مع مصر. منتهزاً غياب رئيسه ووجوده في الدار البيضاء بعيداً. فأثبت البزاز في 16 ايلول 1965 بعده رئيساً للوزارة. ولم تكن حكومته مقبولة من العسكريين ولم تقع موقع رضى منهم عموماً، لاسيما اولئك الذين تبنّوا الحلّ العسكري للحركة الكردية الوطنيّة المسلّحة. وعلى رأسهم اللواء الركن عبدالعزيز العقيلي وزير الدفاع في وزارة (عارف عبدالرزاق) المقالة. خيل للبزاز ان هزيمة الجيش العراقي الساحقة في مرتفعات هندرين قد لقنتهم درساً. وان كفّة اللجوء الى الحلّ السلمي قد رجحت [2] [لمزيد من التفاصيل راجع ترجمتنا لكتاب كوردستان او الموت: بقلم رينيه موريس، ـ مطبوعات كريداوجيا ـ 1986].

فبخلاف اللهجة الخطابية والتعابير العاطفية التي حفل بها هذا الخطاب التمهيدي الذي قصد منه تهيئة الأذان لقبول بيان 29 حزيران؛ يلاحظ المتأمل المدقق أمرين فيه قصدهما البزاز بالذات واكدّهما اكثر من مرّة بصراحة. الاول طمأنة الجيش بأن حكومته ستظلّ تعتمد على الجيش وضباطه في كلّ الاحوال. والثاني النفي القاطع بأن تكون هناك مفاوضات مع الثائرين. وانّ ما تمّ او سيتم في هذا الصدد هو جزءٌ من منهاجٍ اختطته حكومته للعمل على تطبيقه. كان البزاز خلال ذلك يزن عباراته بدقة ويختار الالفاظ والصفات اللغوية بعناية

---

2 ـ تلا اللواء الركن عبدالعزيز العقيلي وزير الدفاع الاسبق تقريراً قدمه في اجتماع في القصر الجمهوري بتاريخ 31 تشرين الأول 1966 استغرقت تلاوته ساعة ونصف ساعة. اجتزيء منه هذا :"عندما وضعتُ خطة حملة الربيع التي كانت تستهدف التقدم الى منطقة بارزان اولاً، كان النصر مضموناً خلال ثلاثة اشهر لو استمرت الحال وبقيتُ في المسؤولية. فقد نجحت الصفحة الأولى من عملية التقدم نحو منطقة بارزان في يوم 13 / 14 1966 لكن حادث مقتل رئيس الجمهورية المرحوم عبدالسلام عارف قلب الاوضاع راساً على عقب فخرجنا من الوزارة وتسلم المسؤولية اناس آخرون وخسر الجيش معركة هندرين بصورة غريبة جداً وغير متوقعة (!) واتخذت تلك الخسارة ذريعة لكي يعلن رئيس الوزراء الاسبق (اي البزاز) في 29 حزيران 1966 بياناً تضمن اثنتي عشرة نقطة تقوم بها الحكومة من جانبها دون الزام المتمردين باي شيء من جانبهم (في عرفه ان القاء السلاح وانهاء الثورة ليسا بكافيين) والواقع ان البيان كان استسلاماً كاملاً من جانب الحكومة ...." أقول: من الطريف أن نذكر نص فاتحة التقرير الذي يتساءل فيه صاحبه مستهلاً :".. لمن هو البارزاني؟ وبعدها يجيب انه ذلك العميل الذي رباه الاستعمار مذ كان يافعاً فقام بحركته الاولى ...." هذا العميل على ماذكر، استنجدت به والدة العقيلي بعدما حكم عليه البعثيون في العام 1968 بالاشغال الشاقة المؤبدة واشبعوه اهانات وتعنيباً استنجدت به للتوسط لاطلاق سراح ابنها فلم يتوان بحسب معلوماتي.

المحاضر والقاضي تحسباً للحاضر والمستقبل. ولا ادلّ على ذلك من اقتباسه جزءً من آية قرآنية في سورة النساء "واحضرت الأنفسُ للشحّ". وأوّل الآية "والصلح خير واحضرت الأنفس الشُحّ". فتراه هنا يحذف الجزء الأول ويستعيض عنه بعبارة "والسلم خير" لأن في كلمة "الصلح" معنى الخصُومة التي تدعو الى المفاوضة والمعارضة وهو ماحاذره البزاز متقصداً. لكن، انىّ لوفد البارتيّ، أن يفهم هذا. حتى رئيسهم الذي كانَ مجال فخره الوحيد تضلعه بلغة الضاد بوصفه مذيعاً سابقاً في راديو بغداد. وهو لايعرف عنها ومن اسرارها اكثر من وقوف الخليفة الأموي سليمان ابن عبدالملك عليها.

في مساء يوم 29 حزيران ظهر عبدالرحمن البزاز في لوحة التلفزيون وقرأ بيانه المعدّ بعناية: "ان هذه الحكومة رغبة منها في وضع حَدّ للوضع غير الطبيعي في انحاءٍ من شمال الوطن وسيراً وراء ماجاء في الفقرة الرابعة من كتاب التكليف عند تشكيل الوزارة في الحفاظ على وحدة التربة العراقية وتحقيق الوحدة الوطنيّة وتأكيداً للروابط القائمة فعلاً بين العرب والاكراد نعلن المنهاج التالي:

(1) اعتراف الحكومة بالقوميّة الكرديّة في الدستور الدائم. بحيث تصبح هناك قوميتان رئيسيّتان هما العرب والاكراد. وكذلك الاعتراف بهما في قانون المحافظات على اساس من اللامركزية بحيث يكون لكل لواء وكلّ قضاء وكلّ ناحية شخصية معنوية معترف بها.

(2) اعتراف الحكومة باللغة الكرديّة كلغة رسميّة مع اللغة العربيّة في المناطق التي تكون غالبيّة سكانها اكراداً وتكون اللغة لغة التعليم مع العربيّة.

(3) تمثيل الاكراد في المجلس الوطني القادم بالعدد الذي يتناسب مع مجموع السكان الكليّ. كما يشارك الاكراد اخوانهم العرب في كافة الوظائف العامة بنسبة سكانهم.

(4) تخصيص عدد من البعثات والمنح الدراسيّة في مختلف الفروع وعلى كافة المستويات للاكراد لارسالهم للتخصص في البلاد. واهتمام جامعة بغداد بدراسة اللغة الكردية.

(5) السماح للاكراد بانشاء التنظيمات السياسيّة في حدود القانون وحق التعبير عن رغباتهم في الصحف الكردية والعربيّة.

(6) اصدار عفو عام عن كافة الذين ساهموا في اعمال العنف في الشمال عندما تنتهي هذه الأعمال واعادة جميع الموظفين الاكراد الى وظائفهم السابقة.

(7) اصدار التعليمات الى افراد القوات المسلّحة والشرطة بالبدء في العودة الى وحداتهم

باسلحتهم عقب صدور هذا البيان على ان يتمّ ذلك في خلال مدة اقصاها شهران.

(8) تسليم الاكراد اسلحتهم ومعداتهم الى الحكومة التي ستعمل على عودتهم الى الحياة الطبيعية وستكون الحكومة مسؤولة عن اعاشتهم في هذه المدة.

(9) عودة الحكام (القضاة) الاكراد الى اماكنهم ومناصبهم بعد احلال الأمن واستعادة السلام.

(10) تاليف هيئة خاصّة لاعمار المنطقة الكردية على أن يخصص لها المبالغ اللازمة واسناد ادارة مصالح الشمال الى وزير مسؤول. وصرف الاموال التي تبذل في مقاومة العنف في الشمال على اعمار المنطقة.

(11) تعويض كلّ الذين اصابتهم اضرار من اعمال العنف في الشمال والعناية بكل ضحايا هذه الاعمال.

(12) الحكومة وحدها هي المسؤولة عن امن البلاد الداخلي والخارجي وان لها من جيشها وقواتها المسلّحة مايمكنها من اداء هذا الواجب المقدس.

*** *** ***

لم يرافق القاء هذا البيان أو يعقبه رقص ومسيرات وتهريج في الشوارع، بالاحرى لم تتح فرصة لذلك، فبعد اثنتي عشرة ساعة من بث بنود البيان اقبلت طائرات نفاثة من قاعدة الموصل الجويّة معلنة بهزيمها الراعد في سماء بغداد محاولة العميد الطيار عارف عبدالرزاق الانقلابية الثانية ومؤكدةً بانفلاق قنابلها في ارض القصر الجمهوري بانّ البيان رغم تفاهته وسخفه قد يغدو هباءً وقبض ريح مع صاحبه في لحظة لااكثر وبسقوط قنبلةٍ واحدةٍ في الهدف الذي وجهت اليه. لكن المحاولة فشلتْ واتاحت للبزاز ثلاثة اشهر واسبوعين ليباشر ماتعهد به في منهاجه قبل أن تطيح به وبوزارته مؤامرة عسكرية سلميّة، وتأتي بضابط آخر في مكانه، قومي عروبي ناصريّ. لا استعداد لديه حتى لتنفيذ ماجاء في بيان سلفه رغم تفاهته [3] بالمقارنة

---

3 - بعد سنتين وفي ناوبردان وصف لي أحد المفاوضين، حالتهم عند سماعهم انفلاق القنابل وعلمهم بقيام المحاولة الانقلابية قال : نظر بعضنا الى بعض وقد علتنا الحيرة والجمنا ذهول. ولم يعد احد منا يفكر بالبيان ولا بما سيؤول اليه. وبدا اكثرنا ضبطاً لارادته واعصابه يفكر في وسيلة للهروب والتسلل عبر الباب الخلفي والانتشار بين الاصدقاء والاقارب. بقينا مقدار ثلاث ساعات نقلّب وجوه الرأي في ما صنع وكيف نتسلل حتى جاء من يطمئننا بأن المؤامرة احبطت. وقد سمع كاتب هذه السطور وهو في سجن بغداد انفلاق القنابل كما سمعوا= = =

مع مطالب الثورة في حزيران 1963.

مما استطعت الظفر به من تفاصيل حول إعداد البيان أنّ البزاز كان طوال "تلك اللقاءات" مع اعضاء وفد كردستان المقيم في القصر الأخضر (حيث يستقبل ويحلّ ضيوف الدولة الكبار الاجانب) كان لهم ولا اقول يهدد - بالاتفاق مع الجانب الآخر المستعد دائماً ابداً للرضا بكل مايعرضه (وقصد جماعة ابراهيم احمد) ويصارحهم أيضاً بأنه انما يفعل ذلك تحدياً للجيش وضباطه الذين يجدون في السلام المقترح ثمناً غالياً يقبضه "المتمردون" إثر انتصاراتهم في "هندرين"، وانه الضريبة التي يدفعها المغلوب للغالب. وهو ضربة موجعة تمسّ كرامة الجيش في الصميم. وان الجيش يريد مواصلة القتال انتصافاً لكرامته المهدورة، وغسلاً لعار تلك المعارك. وبهذين التعليلين استطاع البزاز تمرير بيانه والحصول على قبول وفد الثورة الخائف من فوات الفرصة به رغم سخفه ومطاطيته.

*** *** ***

في متنصّف العام 1967 بدأت صحيفة التآخي في بغداد وهي لسان حال الحزب والثورة تنشر مقالات حول التلكوء الحكومي في تطبيق بنود "اتفاقية 29 حزيران". بمناسبة مرور سنة واحدة عن عقْدها". وأبرزها هو المقال الذي اتخذ له كاتبه عنوان "*بيان 29 حزيران حجر الزاوية للاخوة التاريخية*" فبعث عبدالرحمن البزاز الذي كان يزاول المحاماة وقتذاك. بردّ سريع نشرته صحيفة التآخي في العدد 62 المؤرخ في الثاني من تموز 1967. وهذا هو:

رد البزاز

"نشرتم في العدد 59 المؤرخ 29 - 6 - 1967 في جريدتكم بعض المقالات حول بيان 29 حزيران 1966، حوتْ اخطاءً وتعبيرات غير دقيقة. فحرصاً على الحقيقة وتنويراً للرأي

= وكان منشغلاً بكتابة رسالتين احداهما لابراهيم احمد والأخرى لصالح اليوسفي، حول ماأسماه بالخدمة القانونية التي جرّهما اليها البزاز فالبيان لاأكثر من تعهد منفرد يسهل التنصل منه في اي وقت "بعثت بالرسالتين عبر حارس في السجن عضو في الحزب. وبعد سنوات سألت ابراهيم احمد وصالح اليوسفي فنفيا وصول الرسالتين (تبين ان الرسول سلم الرسالتين الى عبدالرحمن نبيحي (علّما) مسؤول القيادة المنشقة في تنظيم بغداد آنذاك فاتلفهما بعد قراءة محتوياتهما).

4- يقصد حرب الايام الستة مع اسرائيل.

العام وعملاً بحرية النشر ارجو نشر مايلي في العدد القادم من جريدتكم.

استعمل كاتب مقال (بيان 29 حزيران حجر الزاوية للأخوّة التاريخية) تعبيرات مثل [توقيع البيان] و[الاتفاقية وتاييدها] كما كرر الفاظ (الاتفاقية) و(التوقيع) و(التاييد) مراراً وتكراراً في المقال المذكور. كذلك جاء في المقال الافتتاحي المعنون (ذكرى مرور عام على بيان 29 من حزيران). هذه الالفاظ وشبيهها [الوفد الكردي] و[التوصل الى هذه الاتفاقية] و[بنود الاتفاقية وملحقاتها]. ثم ان كاتب مقال [الديمقراطية مفتاح المسألة القومية] كان اكثر ايغالاً في مجانبة الحقيقة حينما استعمل تعبير [كما اكدّ في بنوده المذاعة وغير المذاعة]. فكل هذه التعبيرات توحي:

اولاً بوجود اتفاقية.

ثانياً وجود بنود سريّة لهذه الاتفاقية.

ولقد علمتُ اخيراً ان جريدتكم سبق لها أن ادعتْ هذا الادّعاء ووعدت بنشر ماسمّته بالمواد السريّة.

فاوّلُ ما اودّ ان اوجّه الانتباه اليه. هو ***ليس هناك اتفاقية بل هناك بيان هو جزءٌ من منهاج وزارة سابقة***. ان هذا المعنى واضح كلّ الوضوح من مقدمّة البيان ذاته التي جاء فيها [ان هذه الحكومة رغبةً منها في وضع حدّ للوضع غير الطبيعيّ في انحاء من شمال الوطن وسيراً وراء ماجاء في الفقرة الرابعة من كتاب التكليف عند تشكيل الوزارة في الحفاظ على وحدة التربة العراقية وتحقيق الوحدة الوطنيّة. وتاكيداً للروابط القائمة فعلاً بين العرب والاكراد نعلن المنهاج التالي]:

فجليٌّ من هذا كلّ الجلاء ان البيان لم يكن إلاّ جزءً من منهاج الوزارة التي التزمت به وَسَعت سعياً حثيثاً الى تحقيقه ولقد نفيتُ ان تكون هناك مفاوضات واعلنت ذلك صراحة في الكلمة التي مهدتُ بها للبيان المذكور والتي جاء فيها بالحرف الواحد [ان التقاءات قد حدثت واتصالات واجتماعات ومشاورات ***لكن امراً واحداً لم يحدث : ماكنّا نتفاوض***] ومرة اخرى ثانية اكدّت هذا المعنى قبل ان انهي حديثي في 29 حزيران حين شكرت الذين اظهروا رغبة مخلصة في التعاون. [ممن رضوا ان يلتقوا مع حكومتهم ***ولا اقول ان يتفاوضوا***]. بعد هذا كلّه ليس من الحقيقة في شيء ولامن المصلحة العامة في شيء التحدث عن المفاوضة والاتفاقية ومايزعم لها من ملحقات او بنود سريّة.

الثاني:: ولما كان ماصدر في 29 حزيران ليس إلاّ بياناً عن سياسة حكومة قائمة آنذاك وليس هو بمعاهدة او اتفاقية او اي شيء من هذا القبيل فيكون القول بوجود بنود سرية والحالة هذه توهّمٌ محضٌ.

إنّ المسألة ببساطة هي ان الوزارة وقد التزمت بتحقيق وحدة الوطن ـ كان لابدّ لها من ان تضع منهاجاً مفصلاً لتحقيق هذه الوحدة اعلنته بعد ان أجرت الاتصالات والمشاورات مع كلّ من يعنيهم الأمر. وبعد ان عملتْ على الصعيد الرسمي مع كلّ الجهات المدنية والعسكرية ثبتتْ منهاجاً بالمواد الاثنتي عشرة التي اعلنتها شخصياً للشعب نظراً لاهميتها واكّدتُ في حينه ان تلك المواد هي جزءٌ من المنهاج الوزاري الذي التزمتْ به الحكومة امام الشعب العراقي كله. *انّ اية محاولة في اسباغ صفة تعاقدية على مواد ذلك المنهاج تزييف للتاريخ.* وبعبارة ادقّ ان اية وزارة جاءت الى الحكم بعد الوزارة التي كان لي شرف رئاستها ـ حرّة من حيث المبدء في الالتزام بهذا المنهاج او عدم الالتزام به وطبيعي اني لأحسّ بالسعادة حين ارى الوزارات المتعاقبة تلتزم بالمنهاج المذكور بحيث يصبح بمثابة السياسة القومية التي يقرها الجميع. لكن ذلك لايغير من جوهر الحقيقة وهي ان المواد الاثنتي عشرة التي كنت قد اعلنتها في 29 حزيران الماضي لم تكن الا سياسة حكومة قائمة كنتُ وكما اعلنت هذا صراحةً ـ ساتحمل مغبّة الفشل لوقدر لتلك السياسة الخذلان.

ومن هنا انتقل الى النقطة الاكثر اهمية وهو الزعم بوجود بنود سريّة. واودّ ان اعلن على رؤوس الإشهاد ان ليس هناك بنود سرية. وليس من حقّ اي رئيس للحكومة ان يتفق سراً بشأن سياسة تخصّ كيان الوطن وسلامته. واحسب ان الأمر اشتبه على بعض اخواننا. فأنا حين كنت اشرح بعض مواد البيان استأذنني بعضهم في تدوين ما اقول على انه التفسير المعقول لبعض فقرات من المنهاج. واذا لم تخنّي الذاكرة فان ذلك حدث بالنسبة الى مادتين او ثلاث مواد. كما جرى حديث حول كيفية تنفيذ هذا المنهاج ونقطة البداية والمراحل المتعاقبة التي يجب ان تتوالى ليصبح ذلك المنهاج المعلن حقيقة واقعة ليتم حلّ المشكلة التي اساءت الى العراق ولم يفد منها آخر الأمر الاّ اعداء العرب والاكراد. وفي الختام اني على يقين من انّ تنفيذ ذلك المنهاج بنصه وروحه ليس مما يحقق وحدة الوطن العراقي ويقضي على مأساة استنزفت الدم الكثير والمال الوافر فحسب، بل كان سيساعد على ان ينصرف الجنود الاشاوس الى الاعداد الى المرحلة الكبرى في بنيان جيشنا وتحضيره لمعركتنا الكبرى حينما

ينادي المنادي لاسترجاع الوطن السليب على حدّ ماقلت يومذاك. افليس من حق المواطن العراقي المخلص عربياً كان ام كردياً ان يتساءل اليوم: ترى لونفذ ذلك المنهاج كما كان يجب ان ينفذ اما كان بالامكان ان نتفادى بعض الآثار المفجعة التي اوجدتها النكسة.[4] او على الاقل النكبة الثانية التي ربما كانت اكثر ايغالاً في الشرّ من النكبة الاولى؟

عبدالرحمن البزاز

التوقيع

ردت "التآخي" في عين العدد بما يأتي:

ردّ التآخي على تعقيب البزاز

اطلع القارئي في هذا العدد من الجريدة على التعقيب الذي بعث به الينا الاستاذ عبدالرحمن البزاز حول مانشرناه في العدد 62 من التآخي المؤرخ 29 ـ 6 ـ 1967 بمناسبة مرور عام واحدٍ على صدور بيان 29 حزيران الذي تمّ على اثره ايقاف حرب اقتتال (كذا!) الاخوة الذي كلف الشعب العراقي بعربه واكراده خسائر جسيمة في الارواح والممتلكات.

والشيء الواضح في هذا التعقيب هو ان الاستاذ البزاز يشعر بالمضايقة وعدم الارتياح من تسمية البيان المذكور بالاتفاقية ومن قولنا بان للبيان المذكور بنوداً غير مذاعة وهو ينفي ان تكون هناك مفاوضات جرت في حينه. ويوّجه انتباه الرأي العام الى عدم وجود اتفاقية بهذا الخصوص وينتهي الى القول بان الادعاء بوجود بنود سريّة والحال هذه ـ توهّم محضٌ.

وحرصاً منّا على ايضاح الحقائق وتنويراً للرأى العام وجدنا من الواجب علينا كتابة هذا التعليق على النقاط الواردة اعلاه وعلى غيرها من النقاط الواردة في تعقيب الاستاذ البزاز.

يعود تاريخ الاتصالات الأولى التي جرت بين ممثلي الحكومة والقيادة الكردية والتي انتهت الى التوقيع على بيان 29 حزيران ـ الى يوم 8 آذار 1966 حيث حضر في ذلك التاريخ الى قرية (چناران) السيد حميد ملا توفيق مبعوثاً من قبل الحكومة وقد جاء لاستطلاع الوضع حول امكانية الوصول الى اتفاق يضع حدّاً للحرب الاهلية المدمرة التي كان يعاني منها شعبنا العراقي باكمله. واعقب ذلك وصول السيد محمد حسن دزني الى قرية (بولي) يوم 2 ـ 4 ـ 1966 للغرض نفسه. وقد بدأت تلك المداولات تكتسب شيئاً من الجديّة يوم 28 ـ 4 ـ 1966

---

4 ـ يقصد حرب الايام الستة مع اسرائيل.

عندما وصل الى منطقة (كلاله) الاستاذ المحامي زيد احمد عثمان مرسلاً من قبل الحكومة وبعض الشخصيات الوطنية الكردية لعين السبب. وبتاريخ 15ـ 6ـ 1966 عاد الاستاذ زيد ثانيةً يحمل معه مشروعاً من قبل السيد رئيس الوزراء في حينه الاستاذ عبدالرحمن البزاز لكي يكون اساساً للبحث بيننا وبين الحكومة. وبعد ذلك بيومين او ثلاثة وصل الى منطقة (كلاله) وفد مختلط من الشخصيات الرسميّة والشعبيّة. وقد اشترك في المداولات وتبادل وجهات النظر ممثلون عن الاكراد وعلى رأسهم السيد مصطفى البارزاني. وقد عاد قسم من الوفد المذكور الى بغداد بعد التوصل الى تثبيت بعض الأسس المشتركة التي تصلح ان تكون اساساً للبحث مع الحكومة في بغداد ولم يمضِ على ذلك يومان او ثلاثة حتى ورد إشعار من بغداد يشير الى ترحيب الحكومة بحضور وفد كردي الى بغداد للاتفاق معه بصورة نهائية على جميع نقاط الخلاف وقد توجه الوفد بالفعل الى بغداد يوم 22 ـ 6 ـ 1966 وقد استقبل الوفد في معسكر (سپيلك) والقاعدة الجويّة في كركوك وبغداد استقبالاً اخوياً كريماً على الصعيدين الرسميّ والشعبي وحَلّ ضيفاً على الحكومة في القصر الأخضر ببغداد، وقد اشارت الى ذلك مختلف الصحف والاذاعات. وبالنظر الى الاهميّة البالغة التي اسبغتها الحكومة على هذه المداولات فقد وجد الاستاذ البزاز في حينه انه من الضروري ان يأخذ الموضوع على عاتقه فقط لذا فاننا لو استثنينا بعض الاجتماعات التي حضرها قادة الفرق وممثلو قيادة قوة الميدان ووزير الدفاع في حينه فان جميع المداولات جرت بين الوفد الكردي والبزاز فقط والذي كان في اتصال مستمر مع السيد رئيس الجمهورية ومجلس الدفاع الوطني ومجلس الوزراء يزوّدهم يومياً بكل ما توصل اليه في المداولات في تلك الاجتماعات المتعاقبة بغية استحصال موافقتهم حولها ومن ثم تأخذ صيغتها الأخيرة المتفق عليها بين الجانبين.

فعليه فقد تمّ وضع كلّ حرفٍ من بيان 29 حزيران بالتفاهم والاتفاق بين الجانبين وقد سبق خلال المداولات ان حدث نوع من عدم الاتفاق على كتابة صيغة عبارة واحدة في البيان فقط، اضطرت الحكومة من اجل ذلك الى ارسال رئيس الوفد الكردي [5] بالطائرة الى المنطقة الشمالية لتحديد صيغة مقبولة للعبارة المذكورة. وبعد الانتهاء من كتابة مسودة البيان بشكله

5ـ انقل هنا للقارىء ماأنهى به اليّ الصديق المخلص والأخ الوفي اللواء الركن كمال مصطفى علمدار عن هذه النقطة بالذات. قال :في يوم ٢٤ من حزيران صدَر أمر تعييني معاوناً لقائد قوات الميدان وفي عين الوقت رئيساً للجنة العليا للسلام ولغرض تطبيق البيان. وفي اليوم عينه استدعاني رئيس الحكومة فذهبت وكنت قد تسلمت من

النهائي تَمّ عرضه للمرة الأخيرة على الجانب الكردي للموافقة عليه.

هذه بالتفصيل الخطوات والمداولات التي نسميها نحن بالمفاوضات التي جرت قبل صدور البيان المذكور. واذا كان كلّ ما تقدّم ليس بالمفاوضات فكيف يمكن ان تكون المفاوضات ياترى! حقاً اننا لم نذهب مع الاستاذ البزاز الى الكاتب العدل. إلاّ ان جميع الدلائل والاعمال التمهيدية للبيان المذكور كانت مفاوضات دون أدنى شك. ثم اننا نشعر بالاستغراب الشديد من تطير وعدم ارتياح الاستاذ البزاز من كلمة " المفاوضات" اننا لاننفي بطبيعة الحال ان المفاوضات التي جرت لم تكن بين دولتين او بين جهتين متعاديتين يضمر احدهما للآخر الكراهية والحقد بل كان يشعر الجميع وبينهم الاستاذ البزاز نفسه باننا كنا جميعاً اخوةً نهدف في كل مسعى نبذله الى خير شعبنا ووطننا الذي كابد الكثير من المآسي والالام دون مبرر - ان المفاوضات في الدول الديمقراطية تجري بين حزبٍ وآخر وبين الحكومة وحزب معين او بين رئيس دولة وحتى منظمة نقابة كما نلاحظ ذلك بين فترة واخرى عند حدوث اضرابات او مايشبه ذلك في الكثير من الدول. وليس في ذلك عيب أو سبّة او ماينم عن انتقاص هيبة تلك الدولة بل على العكس من ذلك فهي مظهر من مظاهر احترام الدولة لمواطنيها ومن صلب الحياة الديمقراطية القائمة على استمزاج الحكومة لرأي الشعب كلما كان ذلك ضرورياً ومفيداً سيما في مثل تلك الظروف والاوضاع غير الطبيعية وما يتعلق بها ضرورة استحصال موافقة فريق كبير من المواطنين.

امّا بالنسبة الى قول الاستاذ "ان ليس هناك بنوداً (بنود) سرية من حق رئيس أي حكومة ان يتفق سرّاً بشأن سياسة تخص كيان الوطن وسلامته"، فإننا نقول بصراحة وعلى رؤوس الإشهاد بان هناك ثلاثة بنود ملحقة ببيان 29 حزيران مكتوبة على نسختين الأولى موجودة عند الوفد الكردي وقد فضلت الحكومة في حينه عدم اذاعتها. وهي لاتضرّ بكيان الوطن

= وزارة الدفاع الاضبارة الخاصّة "بالمفاوضات" والبيان - فكلّفني البزاز بالسفر الى الشمال. وسلّمني مظروفاً لتسليمه الى البارزاني يتضمن المشروع للموافقة واكمال الاجراءات لاذاعتها ونشرها. فسافرت أنا وحبيب محمد كريم بطائرة اقلعت من معسكر الرشيد الى كركوك. وكان في وداعنا صالح اليوسفي. وفي اليوم التالي اقلّتنا طائرة مروحيّة من كركوك الى "سيلك" ومعنا محافظ اربيل الذي كان عضواً في اللجنة المذكورة. ووصلنا الى "خالان" بعد الظهر وفيها التقينا بالبارزاني الذي قال بعد ان اطلع على البيان. انه سيجتمع هذه الليلة بعددٍ من المسؤلين القياديين والحزبيين لدراسة موادّه. وفي صباح اليوم التالي ابلغني البارزاني بالموافقة. فعدنا في يوم 26 منه الى بغداد. [وهذا خلاف ماادعته التآخي كما ترى واللواء علمدار ثقة من غير مطعن].

وسلامته بل تدعمه وتقويه. وهنا ايضاً نشعر بالغرابة (يقصد الاستغراب) والعجب من تحرّج الاستاذ البزاز في التطرق الى وجود بنود سرية في البيان مع العلم ان هذه البنود غير المذاعة ليست خطيرة ولاتلحق الضرر بأحد. واتماماً للموضوع نرى من الضروري القاء الضوء على هذه البنود غير المذاعة. يتعلق البند الأول باستحداث لواء باسم لواء دهوك يضمّ الاقضية الكردية من لواء الموصل فيما لو رغب سكان المنطقة بذلك. اما الثاني فيخصّ تبنيّ الحكومة لسياسة اصدار العفو العام عن جميع السجناء السياسيين والمعتقلين السياسيين على ان يجري ذلك بصورة تدريجية وعلى مراحل مع مراعاة المصلحة العامة في ذلك. امّا البند الأخير فيتعلّق باجازة الحزب الديمقراطي الكردستاني ليمارس نشاطه بصورة قانونية عند صدور قانون الجمعيات الجديد.

هناك نقطة أخرى اثارها الاستاذ البزاز في تعقيبه، مفادها ان بيان ٢٩ حزيران ملزمٌ لحكومته فقط وان ايّة وزارة تأتي الحكم بعد وزارته حرّة من حيث المبدء في الالتزام بهذا المنهاج او عدم الالتزام به.

وعلى الرغم من تبنيّ السيد رئيس الجمهورية للبيان المذكور والتزام الحكومات التي اعقبت وزارة الاستاذ البزاز به ورغم مارافق تنفيذها من تعثر وتلكؤ. الاّ ان هذا القول يفرض على الشعب الكردي ان يكون على بيّنة من هذا الأمر ويبحث له عن ضمانات قويّة تكون كفيلة بتطبيق مواد هذا البيان بصرف النظر عن زوال الحكومات وتبديلها.(6)

واخيراً فإننا نتفق مع الاستاذ البزاز بان من حق المواطن العراقي المخلص عربياً كان ام كردياً ان يتساءل اليوم: ترى لونفذ هذا المنهاج كما كان ان ينفذ (؟) اما كان بالامكان ان نتفادى بعض الآثار المفجعة التي اوجدتها النكسة او على الادّق النكبة الثانية التي ربما كانت اكثر ايغالاً في الشرّ من النكبة الأولى؟

اننا نؤيد الاستاذ البزاز تأييداً كاملاً فيما يذهب اليه بهذا الخصوص وندعو المسؤولين مرة أخرى الى المبادرة العاجلة لتنفيذ هذا البيان لأن المعركة مع العدوّ لازالت محتدمة وستكون بلاشك قاسية وطويلة وهي تحتاج الى الاستعداد والحزم وتعبئة جميع الطاقات والامكانيات المتيسّرة.

---

6 ـ في كل المفاوضات التالية مع الحكومات العراقية لم تبحث قيادة الحزب عن ضمانات او تشترط ضمانات كالتي يقترحها المقال الآن!!.

وفي الختام فاننا نعتبر صدور بيان 29 حزيران وفي عهد الاستاذ البزاز عملاً وطنياً تاريخياً مجيداً استقبله شعبنا العراقي باسره بالفرحة الغامرة والحماسة المنقطعة النظير وايده اصدقاء شعبنا العراقي في مختلف ارجاء المعمورة وان الجهات التي تقف ضدّ البيان المذكور جهات حاقدة اتخمت من ظروف حرب اقتتال الاخوة على حساب دماء العرب والاكراد وستواصل مساعيها من اجل العودة بالبلاد الى الظلام والويلات ونرجو ان لاتدفع (يدفع) بعض الاعتبارات والضغوط التي تصدر من هؤلاء الاستاذ البزاز الى محاولة التنصّل من العمل الوطني والمجهود المضني المشرق الذي بذله من اجل إعادة الاوضاع الطبيعية الى ربوع وطننا العزيز.

*** *** ***

سمع اعضاء الوفد الكردي من البزاز يردد مراراً وتكراراً بأن مايجري ليس مفاوضات، وانما مداولات ولقاءات. قال ذلك في تصريحه الصحفي وفي خطابه التمهيدي، مشدداً ومؤكداً حيث لا موجب للتشديد والتاكيد أحياناً بأنّ بيانه هذا هو جزءٌ من منهاجه الوزاري. وقاد رئيس الوفد بالذات الى التلفزيون لترديد عين العبارة التي كانت موضع اعتراض التآخي". والبزاز بغريزته القانونية المتحفظة وتحسبّها الدقيق للحاضر والمستقبل كما بيّنا وهو حساب لم يكن لايّ عضو من اعضاء الوفد الكردي اقلّ فكرةٍ عنه كما يبدو. أفهو حسن نية مفرطة في خصم يحاول انتزاع نصر أدبي من براثن هزيمة عسكرية؟ ولنذكر ان بين اعضاء الوفد أثنين على الأقل يحملان شهادة التخرج في كلية الحقوق!

وعندما لاتكون هناك مفاوضات، فليس هناك بنودٌ لاسريّة ولاعلنيّة جرياً مع المبدأ القانوني أو البديهي بالأحرى: اذا بُطل الشيء بطل مافي ضمنه.

ان المرء ليحار حقّاً بين قبول الثورة المنتصرة بتفاهة وسخف مواد بيان 92 حزيران بمقارنتها بمطالب الثورة غير المنتصرة في العامين 1963 و1965 وبين الحرارة التي ابدتها التآخي لسان الحزب في الدعوة الى تنفيذ "بنودها". واحتجاجها على التلكؤ والمماطلة الحكومية.

واعجب مافي الأمر أن تكشف القيادة الكرديّة عن حقيقة لاجدال فيها - بعد كتمانها هذه المدة وأعني بها ان المبادرة في الاتصالات كانت حكوميّة. ووقعت على اثر استقالة الحكومة بعد

هزيمة هندرين ـ زوزك "المريعة التي مني بها الجيش العراقي.[7] ومجيء وزارة مدنية برئاسة البزاز لهذا الغرض الوحيد اي لإحلال السلم. بمعنى ان ذلك الانتصار الكبير وضع بيد القيادة الكردية اي الوفد "المفاوض" ورقة رابحة مضمونة، فلم يحسن استخدامها. وعادت تلك القيادة لتستنجد بالشعب الكردي *"ليكون على بيّنة من الأمر... ويفرض عليه ان يبحث له من ضمانات قويّة تكون كفيلة بتطبيق مواد هذا البيان"* كم من الفرص السابقة واللاحقة اعطاها صمود هذا الشعب وتحمله أهوال الحرب المدنية. لقيادة الثورة والحزب

7ـ لعرض فكرة عن حجم هذه الهزيمة اثبت هنا تلخيصاً مقتضباً لما جاء عنها في ترجمتي لكتاب كردستان او الموت ـ الفصل السابع". هذه المعركة دامت عشرة ايام وفيها طبقت خطة اللواء عبدالعزيز العقيلي التي وضعها ايام كان وزيراً للدفاع فلم يبدّل فيها خلفه شيئاً. حشدت الحكومة في منخفض راوندوز افضل فرقتين لديهما من اصل خمس فرق هي ملاك الجيش العراقي كلّه : الفرقة الثانية (الجبلية) وقوامها اللواء الأوّل والرابع عشر والخامس عشر. والفرقة الاولى وقوامها اللواء الثالث والرابع والخامس تساندهما صنوف المدفعية والطيران العراقي فضلاً عن آلاف المرتزقة ـ مما قدر مجموعه في حينه بخمسة وثلاثين الف مقاتل. مقابل ثلاثة الاف وخمسمائة من قوات الانصار (البشمركه). كان الهدف احتلال قمتي هندرين وزوزك المتقابلتين والقضاء على مقاومة الثورة بالانقضاض على معاقلها مطارة فلولها في اراض غير صعبة. دامت المعارك عشرة ايام وبدأ الهجوم في 3 أيار 1966، بعد قصف متواصل من المدفعية وبموجات من غارات جوية متعاقبة. تركت وحدات الجيش تتقدم ببطء شديد مصعّدة سفح الجبلين امام مقاومة نشطة وفي ليلة 13/12 شنت البشمركة هجومها المضاد فلجلت قوات الجيش عن مواضعها فتبعثرت وشاعت روح الهزيمة فيها وسادتها الفوضى وفي فترة قصيرة جداً فيها ابيد كلّ الربايا في السفوح وعندما وجدت الوحدات الباقية نفسها تحت خطر التطويق والابادة راح بعضها يستسلم بالمئات وانكفأ الآخرون على اعقابهم حتى مدينة راوندوز. ان الغنائم التي تركها المنهزمون للمنتصرين تقوم دليلاً على ضخامة الهزيمة. وهذا ثبت تقريبي بها: (6) مدافع ميدان ضخمة عيار 75 ملمتراً. (4) مدافع ثقيلة من النوع غير المرتّد. (4) مدافع هاون ثقيلة من حجم ٤ عقدة (8) مدافع هاون من عيار 3 عقدة. (4) مدافع ضخمة من عيار 81 ملمتراً. (5) رشاشات ثقيلة من نوع فيكرز [اعيدت هذه كلها الى الحكومة بعد بيان حزيران] حوالي 2000 بندقية وبندقية اوتوماتيكية، ورشاشة يدوية، ومسدس. (46) جهاز لاسلكي للارسال والاستقبال، واطنان من صناديق العتاد والقنابل. و(6000) بطانية و(100) خيمة عسكرية من احجام مختلفة. وتجهيزات كثيرة يصعب تصنيفها واحصاؤها مع اطنان عديدة من الارزاق والمؤن وتعذر جمع الأسرى المتخلفين وراء خطوط القتال فاطلق سراحهم جميعاً. هذا النصر حطم اقوى فرقتين في الجيش العراقي واقتضى اعادة تنظيمها زمناً. [رينيه موريس: كردستان او الموت. ط. كردلوجيا. الص 116 ـ 118]

فضيّعتها بمثل هذه المواقف الضعيفة. في المثل الانكليزي السائر [ليس هناك سِحرٌ في الفاظ] مكلمة مفاوضات ليست كلمة سحريّة تفتح مغاليق الإشكال ويقضي تفسيرها بالشكل الذي اراده قادة الثورة على اسباب الخلاف. الا فليكن ماجرى مفاوضات ولتسمّ كذلك. فهذا لاينفي ان تلك المفاوضات خرجت ببيان حكومي ولااكثر.

أيّها السادة. ماذا فعلتم بانتصار هندرين؟.

لاشكّ عندي في ان كاتب الردّ على رسالة البزاز هنّأ نفسه بعثوره على ماظنّه رداً بليغاً سخرياً في قوله "*حقّاً اننا لم نذهب مع الاستاذ البزاز الى الكاتب العدل*" للتوقيع على اتفاق. لكن وفده لم يملك ورقة واحدة بخطّ المفاوض الحكومي ولااقول وثيقة تحمل توقيعه. فكلّ ماحصل حصل وكأن مشادة صغيرة وقعت بين اهل البيت الواحد. لا ورقة استخدمت فيها ولاقلم. لامفاوضات ولا بنود سريّة!

وهذه البنود السريّة "التي كشف عنها تعقيب التأخي. اهي بنود سريّة حقاً؟. إذا وعد رئيس الحكومة شفاهاً او كتابةً" باجازة النشاط العلني للحزب الديمقراطي الكردستاني عند صدور قانون الجمعيات الجديد". فاية سريّة في هذا عندما يكون الحزب مجازاً وفق القانون كأي حزبٍ آخر من الاحزاب التي ستتشكل؟

وكذلك اذا وعد شفاهاً او كتابةً بانشاء لواء جديد باسم لواء دهوك عند سنّ قانون المحافظات. فاية سرية يقتضيها هذا الوعد، والأمر كله لايعدو اجراءً ادارياً يسنّ له قانون وهو من أبسط العمليات المحليّة الحكومية، واقلّه خطراً وبساطة هو مادعي "بالبند السرّي الثالث" الخاص باطلاق سراح المحكومين السياسيين؟

اراد البزاز ان يدخل بيان 29 حزيران في سجل احداث العراق التاريخية بمجرد فقرة من فقرات منهاج وزاري، فتم له ذلك تحت سمع الوفد الكردي وبصره. ونجح وكان مصيباً في ردّه كل الاصابة. وأخطأ التوفيقُ الوفدَ الكردي في تعقيبه على الردّ كلّ الخطأ.



الفصل الرابع

خلفياتٌ لاتفاق الحادي عشر من آذار

بدت المبادرة من الإتحاد السوفيتي، وعلى اغلب الظنّ بطلب من حكام بغداد الذين تخلصوا في 30 من تموز 1968، من رئيس الحكومة الجديد عبدالرزاق النايف واصحابه ممن وصفوه بالشريك الضالع مع الغرب وهو الذي مهد لهم السبيل الى السلطة الكاملة في انقلاب 17 من الشهر نفسه.

واختار السوفييت الطيب الذكرالاستاذ (عزيز شريف) للمهمّة، وهذه هي الحكاية كما سمعتها من فمه.

*** *** ***

انكر ذلك اليوم جيداً، كان يوم 25 تشرين الاوّل 1969 ، قالوا في ناوبردان ان عزيز شريف قادم لزيارة البارزاني في امور هامة، وخرجنا لاستقباله في مجموعة ضمت خلافي السيد محسن دزيي وعلي عبدالله، ومحمد محمود عبدالرحمن ولااتذكر آخرين، كان وقوفها على خط الحرام فوق (طريق هاملتون) بنقطة تبعد بضعة كيلومترات عن راوندوز، وفي ليلتها اجتمع عزيز بملامصطفى ثم قفل راجعاً في اليوم التالي، وفي واحدة من زياراته التالية تمكنت من الاختلاء به ليقص عَليّ الظروف التي جعلتْ منه وسيطاً، ولم يبخل بتفاصيلها، (قدر ماكان مسموحاً له).

قال انه عندما كان في (آلما آتا) عاصمة كازاخستان السوفيتية يحضر احد المؤتمرات فوتح

(لم يشر الى جهة معينة لكن الواضح ان المفاتحة كانت من الكرملين) بوجوب العودة الى بغداد فوراً والتوسط لانهاء حالة الحرب هناك.[1] والعمل على الوصول الى حلّ سلمي مرضٍ فجئت بغداد بعد غياب سبع سنين، وقابلت رئيس الجمهورية وأخبرته برغبتي (كذا!) في الشخوص الى البارزاني والتحدث معه في هذا الشأن، فأبدى رئيس الجمهورية شكّه في نية ملامصطفى وقال: "انّ الرجل عنيد، وأرى ان محاولتك عبث لاطائل منه" فقلت: " سأقوم بمحاولتي من جانبي وهي على كلّ محاولة شخصيّة"، فأجاب "هذا شأنك ونحن لسنا مسؤولين عن سلامتك إلاّ في الارض الذي تتواجد فيها عندنا كما اننا لسنا مسؤولين عن النتائج وواجبنا ينتهي بايصالك الى منطقتهم.

اراد البكر ـ كعادته ـ ان يخلّف انطباعاً عند عزيز بأن المبادرة جاءت من السوفييت وحدهم وليس من جانبه. وكان كعادته يكذب فقد بعث في شهر تشرين الاول 1969 رسوله الخاص العقيد الركن طارق توفيق آمر اللواء الثاني المرابط في راوندوز لمقابلة البارزاني شخصياً مظهراً له استعداد الحكومة لايجاد حلّ سلميّ للقضية الكردية.

ونقل عزيز الى راوندوز بطائرة مروحية ثم استقل سيارة الينا.

بعده بيومين وصل منطقة الثورة (يفجيني بريماكوف) مراسل جريدة پرافدا انذاك في الشرق الاوسط ومن وكلاء جهاز الاستخبارات السوفيتي العسكريKCB (الآن هو وزير الخارجية الروسيّة)، وكان بصحبته (جعفر عبد علي) احد رؤوساء تحرير جريدة الثورة، فاجتمع فوراً بالبارزاني وعرض عليه رغبة حكومته في حلّ القضية الكردية حلاً سلمياً عن طريق

1 – مما وجب ذكره هنا ان عزيز شريف كان يحظى بمنزلة خاصة عند ملامصطفى، بدأت علاقتهما حال وصولهما بغداد بعد 14 تموز، وكان عزيز شريف رئيساً لمجلس السلم في العراق، وفي حينه عضواً مرشحاً للجنة المركزية في الحزب الشيوعي، وقد رحّب به ملامصطفى عندما جاء مع زوجته (نورية) لاجئين بعد انقلاب شباط وكان بينهما اعجابٌ واحترام متبادل، بقي عزيز ربحاً من الزمن ثمّ دبّر امر تسريبه الى الاتحاد السوفياتي، وكنتُ قد نوهت سابقاً بالعلاقة الوثيقة التي نمت بيني وبين عزيز شريف منذ تاسيسنا معاً حزب الشعب في العام 1946، تلك علاقة انقلبت الى مودّة وصلاتٍ عائلية وصداقة حميمة ارتفعت عن دائرة الانتماء السياسي ويظهر أن بعض من كان يجهل تلك العلاقة وجد تبسّطنا في الحديث ومناداة احدنا الآخر باسمه المجرد (من جهتي بالخصوص) خرقاً لآداب السلوك. وان نسيتُ فلا انسى نظرة مسعود البارزاني المنبهة الى ذلك فاسرعت ابدّد سوء المخلّة بصوت مرتفع منوها بعلاقتنا القديمة، وهي اقدم بكثير من اي علاقة لايّ من الحاضرين.

التفاوض مع الحكومة العراقية، مؤكداً استعداد بلاده لبذل أقصى مايمكن من المساعي في هذا المال، ورجع بتاكيد من البارزاني.[2]

ويستفاد من أوراق دارا توفيق الذي خوّله ملامصطفى اجراء محادثات تمهيدية وجسّ النبض الحكومي - أنّه أقترح مبدئياً على صدام حسين الذي كان نائباً لامانة السرّ القطري.

(صحيفة 11 من الاوراق) جعل هيئة وطنيّة (؟) او دولة الاتحاد السوفيتي ضامناً لاي اتفاق قد يتمّ، فسارع صدام برفض الفكرة قائلاً ان ضمان تنفيذ اي اتفاق هو بقاء المسلحين الكرد، واشتراككم في الحكمّ.

مما دونه (دارا) لملاّمصطفى والمكتب السياسي عن مقابلاته ان (صداماً) ذكر له شيئاً عن الجيش العراقي ربّما بقصد التأثير عليه: قال له: من مجموع ثمانية آلاف ضابط لدينا خمسة آلاف عضو في حزب البعث وأن ٨٠٪ من الجنود وضباط الصفّ بعثيون، وعندها تطوع دارا ليخبره "بوجود مؤامرة عسكرية تدبر ضدهم نقلاً عن البارزاني. فأجاب صدام: انتهى دور الجيش العراقي كقائد للجيش وموجّه للحكم، فالحزب هو القائد، اننا على علم بنفس المؤامرات التي تحاك ضدّنا، اخبر البارزاني - وهذه معلومات له فقط بأننا على علم تام بجميع تفاصيل المؤامرة وخيوطها واتصالها، ونستطيع تفجيرها في اية لحظة لكننا ننتظر ونتريث حتى تكامل جميع خيوطها، ويذكر (دارا) ان هذا الاجتماع جرى في 21 كانون الاوّل 1969 بمحضر من الرئيس البكر، [3] وفي 24 منه اي بعد ثلاثة ايام كانت زيارة (دارا) للعتبات البعثية المقدسة في بيروت كما جاء تفصيله في الفصل الثاني وفي تقريره.

2 – هذا هو ماجاء عن مساعي بريماكوف في الاوراق التي احتفظ بها وبخط دارا توفيق.

3 – افضل مايمكن قوله عن ادعاء صدام آنذاك بوجود هذا العدد من البعثيين في الجيش ضباطاً وضباط صف وجنوداً - انه مجرد مبالغة صبيانية، والواقع انهّم مامدوا ايدي السلام للثورة الكردية إلاّ ليكسبوا وقتاً في اكمال عمليّة تصفية الجيش من الضباط القوميين الكبار او اولئك الموالين للحكم السابق، بغية انهاء دور الجيش السياسي المركزي في السلطة بحسب تعبير صدام، وهم في العام 1970 لم يكونوا يقطعون نصف مرحلة الخوف من احتمال انتفاضٍ عسكريّ على حكمهم، ان خطة "تبعيث" الجيش اي تحييده، بدىء في الواقع بتنفيذها في اواخر العام 1968 اي بعد اربعة اشهر من انفراد البعث بالسلطة، ونقطة الشروع هي التخلص من قيادة الجيش العليا ابتداء برئيس اركانه وقواد فرقه وانتهاء بالضباط الاصاغر المشكوك في ولائهم، أو من ذوي اللون القومي الناصري الصارخ، وينكر لي الصديق الأعّز اللواء الركن كمال مصطفى علمدار وكان قائداً للفرقة الخامسة، كيف تم ذلك: ففي الساعة العاشرة والدقيقة الاربعين من مساء يوم ٢٨ كانون الاول 1968 كان =

وفي اليوم الأخير من العام 1969 وصل منطقة الثورة وفد حكومي ومعه رسالة من احمد حسن البكر الى مَلاّمصطفى نثبت هنا نصّها لطرافتها وطفوليتها ليس إلاّ: [لديّ اصلها موقعة،ومصورة]

الأخ الملاّمصطفى البارزاني المحترم

ارجو ان تكون وبقية الإخوان في صحة وراحة تامتيّن.

في بلدان الشرق الاوسط حيث العدوان الصهيوني الغاشم والانتهاكات المستمرة لحقوق كادحي شعوبنا(!) من جانب الامبريالية الدولية البغيضة، اقول في هذا الظرف تهفو به قلوب الملايين من شعبنا العراقي وشعوب الأرض المناضلة وتتطلع انظارهم محمّلةً بأملٍ كبير عن نتائج المباحثات بيننا متمنيةً لها ان تكون النهاية لكلّ الفواجع التي مني بها هذا الشعب المناضل العظيم، انكم ايها الأخ ولاشك تعيشون ازمة ثقة في الانفتاح كليّة امام اية محادثات من هذا النوع كليّ مقاتل ذاق مرارة القتال، ونحن من جانبنا نعيش نفس الازمة والاسباب ذاتها، هذه الازمة خلقتها ونمتّها (انمتها) ظروف الحرب الاهليّة الطاحنة منذ فترة طويلة واساليب الرجعية والاستعمار، ولكن الحديث عن ازمة الثقة يجب ان يبقى في اطار البحث عن ايجاد افضل السبل لتجاوزها لا التوسل بها لنسف كلّ جسر يشيد باتجاه الحلول السليمة الديمقراطية للقضية الكردية لكي يعيش العرب والاكراد كقوميتين متحابتين متآخيتين يؤطرهما وطن واحد وسيظلان (ويستظلاّن؟) بظلّه ويناضلون سوية من اجل حقوقهما وطموحهما البعيدين

على مائدة عشائه في منزله كلّ من اللواء الركن رئيس اركان الجيش ابراهيم فيصل الانصاري، (زميل دراسة في المرحلة الثانوية) واللواء ثم الفريق سعيد حمو قائد الفرقة الرابعة، والعميد الركن حسن النقيب قائد الفرقة الثالثة (قوات صلاح الدين المرابطة في المفرق) والمرحوم العميد الركن طه ياسين (صديق عزيز) آمر كليّة الاركان، سمعوا المذيع التلفزيوني "يقرأ" بيان احالتهم الى التقاعد، متبوعاً بمجموعة من برقيات التاييد والتهنئة من الهيئات والجماهير وما لاادري - وكلّها تبارك خطوة الحكومة في القضاء على التآمر والمتآمرين، وفي صبيحة اليوم التالي خرجت الصحف بعناوين بارزة من امثال "تهنئكم على تطهير الجيش من الخونة والعقول العفنة" وما الى ذلك وفرضت الاقامة الجبرية على بعضهم واودع بعضهم قصر النهاية حيث بقوا فيه اشهراً واحيل رئيس الاركان الى محكمة الثورة فقضت عليه بعشر سنوات سجناً، وصدرت قوائم عدة باحالة ضباط اصاغر عديدين الى التقاعد (اخلي سبيل المقبوض عليهم تدريجياً بهدوء وعرضت على بعضهم مناصب حكومية مدنية، كما اعيد احدهم الخدمة).

في عزّ وازدهار. وفي الختام ارجو لجهودكم السلميّة السداد ووفقنا الله جميعاً لما فيه الخير للشعب العراقي بعربه واكراده وبقية الشعوب المناضلة المضطهدة.

اخوكم احمد حسن البكر (رئيس الجمهورية العراقية).

وعلى اثر ذلك ارسل وفدٌ مفاوض برئاسة الدكتور محمود عثمان وعضوية صالح اليوسفي ونوري شاويس ومحمد محمود عبدالرحمن ومحسن دزيي ونافذ جلال ودارا توفيق الى بغداد.

من اللقاءات الهامة التي سبقت اتفاق اذار. ذلك اللقاء الذي تمّ بين دارا توفيق وميشيل عفلق وقد سجل اولهما اقوال الثاني ضمن تقاريره المرسلة لقيادة الثورة حول لقاءاته. ولاتكشف تلك الاوراق عما دفع دارا الى هذا اللقاء، اهو محض مبادرة شخصية منه [كان ينوه لي ولغيري في مناسبات سابقة عن علاقة له بعفلق وزيارات له في بيروت] أم هو بدفع او تحبيذ من قيادة البعث في بغداد؟

* * *

اني انقل المحضر نصاً دون تقويم واصلاح في لغته، ومن دون ان يخالجني شك في امانة (دارا) بنقل آراء عفلق في المسألة الكردية وغيرها، ونقلي هذا إنْ لم يكن لأمرٍ ما، فلكي يقوم مثلاً من امثلة عدة على ضحولة تفكير نبي البعث هذا وفيلسوفه. وكذلك من اجل المقارنة بينها وبين تعاليل السيد عبدالخالق السامرائي - عضو القيادتين القومية والقطرية وقتذاك وكان احد المشاركين في المحادثات التمهيدية - وبعين المناسبة.

واليك النص:

اجتماع مع الأخ دارا توفيق والسيد ميشيل عفلق سكرتير القيادة القومية لحزب البعث العربي الاشتراكي.

كان الأخ دارا (متحدثاً عن نفسه بصيغة الغائب) قد طلب مقابلة السيد عفلق؛ وقد سافر الى بيروت لهذا الغرض بمرافقة السيد مرتضى الحديثي وجرى الاجتماع بتاريخ 24 - 12 - 1969 وبحضور السادة عبدالخالق السامرائي ومرتضى الحديثي.

وقد ناقش وأثار الأخ دارا النقاط التالية:

موقف حزب البعث النظري حول المسألة الكردية والتحالف بين القوميّة العربيّة والكردية.

وتساءل عن كيفية تفهمهم لمساهمة الاكراد في دعم الحركة التقدمية(!) (1) العربية ومساهمة العرب في دعم الحركة التقدميّة الكرديّة وتقييمهم لقيادة الثورة الكردية الحالية:

«البارزاني» و«الحزب الديمقراطي الكوردستاني». وعن مواقفهم الايديولوجية السابقة حول المسألة الكردية ومسائل القوميات والاقليات الأخرى في البلاد العربيّة. واستفسر عن اهتمام المؤتمر القادم للقيادة القوميّة بالمسألة الكوردية. وكيفية تفهمهم لحلّ المسألة الكوردية باعتبارها مدخلاً لحلّ مشاكل العراق وبالتالي لكي تصبح العراق الذي تحكمه البعث مثالاً للبلدان العربية الأخرى وسيطرة البعث فيها على الحكم.

وقد اكّد عفلق على النقاط التالية:

* من الصعب ان نفهم الفرق بيننا وبين حركة الشعب الكوردي من اجل الاستقلال والحقوق.
* التاريخ يشهد عن امثلة عديدة حول تآخي القوميتين العربية والكوردية ونضالهم المشترك.
* في البلدان العربيّة لم يظهر نظام للحكم يتخذ اسلوباً عنصرياً ثابتاً بل جرى الاضطهاد من قبل انظمة عميلة او نتيجة سياسات طارئة.
* وحركة النضال العربي لم يشهد الاتجاهات الشوفينية.
* والتجربة الثورية العربية فيما يتعلق بمسألة الاكراد يتطور ويتعمق باستمرار.
* الاتجاه اليساري والشعبي والانساني الصحيح هو الذي يَمرّ عبر الثورة العربيّة وحركة البعث.
* اننا حريصون على تجنب اية اطالة لسوء التفاهم والذي يمكن ان يشوه حركة شعب نعتبره صاحب حقّ علينا. والهادف الى الحصول على حقوقه واستقلاله وثقافته وانا معكم في المستقبل. طريق واحدٌ ومصير واحد.
* نريد ان يكون طريق مسيرة الشعب الكوردي طريق المعسكر الثالث، طريق اليسار، طريق التحرر، ولمصلحة الطبقات الكادحة.
* وعلى الاكراد ان يكونوا حلفاء للقومية العربيّة واذا شكّك الاكراد في انتصار الشعب العربي ضدّ الاستعمار ومسيرته الانسانية فاننا نشكك في مسيرته الانسانية.

1ـ "التقدميّة" وهو المصطلح الذي يقابل كلمة Progressive . جرى استعماله عند اليساريين للتعريف والاشارة إلى ان صاحبه يعتنق الافكار الاشتراكية الماركسية ويؤمن بخط سيرها. تفريقاً عن القومية الشوفينية وضدّ كلمة الرجعيّ او الرجعيّة.

* يمكن ان تكون القوميّة الكرديّة والعربيّة متداخلة ومتحالفة ولمصلحة الجماهير الشعبيّة.

* اني مرتاح للقيادة الحالية في العراق. ولكني كنتُ في خلاف مع قيادة الحزب سنة 1963. [يقصد قيادة البعث القطرية]

* ان قناعة رفاقنا العراقيين حول المسألة الكوردية تامّة وعميقة تجاه المسألة الكورديّة وكنتيجة خبرة سنين.

* ان حزبنا يطمئن الى الحركات الجماهيريّة ويعبّر عن متطلبات اوسع الجماهير الكوردية وفي هذا الحال يقدّر حزبنا قيادة البارزاني كقيادة ليس كشخص باعتبارها المعبّرة عن الحركة التاريخية للشعب الكوردي وانها تمثل تطلعات الاكراد وتستقطب اوسع الجماهير الفلاحيّة.

* ولكن هناك اوساطاً تقدميّة اخرى تمثل اوساطاً من المثقفين مثل اوساط ابراهيم احمد والطالباني والتي كانت اسرع من غيرها في اكتشاف نقاط الالتقاء بينها وبين حزب البعث ومن الطبيعي ان تحظى هذه الفئات بتأييد من الحزب ونشعر امامهم بنوع من الالتزام دون ان نعتبرهم معبرين عن الحركة الثوريّة الكورديّة باعتبار قيادة البارزاني مركز الثقل الاساسي. إن جماعة ابراهيم يمثلون فيه عصبة من المثقفين.

* لقد حاول الاستعمار دوماً استغلال الحركة الكوردية والصحافة الاستعمارية لاتتكلم عن حقوق الشعب الكوردي الاّ في مجال الهجوم على العراق.

* لايوجد بين الاكراد والعرب اسباباً للخلاف بل توجد نقاط عديدة للتعاون والتحالف.

* المهم ان تكون الثورة الكوردية والعربيّة في صَفٍّ واحد وفي جبهة واحدة ضد الاستعمار. وللعرب مشاكل عديدة مع الاستعمار: عربستان، فلسطين، الاسكندرون وكذلك للاكراد اماني قوميّة خارج البلاد العربيّة.

* عند ايجاد هذا الحلْف لايكون هناك خوفٌ من مخططات استعمارية.

*ان من خطّة حزب البعث ان يصبح النظام في العراق قدوةً ومثالاً للبلدان العربيّة التي لم يصل فيها حزب البعث الى الحكم. وان حَلّ المسألة الكوردية خطوة اساسية في هذا السبيل.

* لقد قلت في خطابٍ في سنة 1958، انّ احسن الاكراد وأحسن العرب يعيشون في العراق. والعراق يمكن ان يكون مُنطلقاً للبعث وان البلاد العربية الواسطة (.... كلمة غير مقروءة) الحقيقية لهذه الحركة باعتبارها الثورة الكوردية وقيادة البارزاني.

سجلت الاوراق أيضاً كلمة لعبدالخالق السامرائي أثناء المفاوضات التمهيدية وبتاريخ 13 من كانون الاوّل 1969 عزت اليه هذا القول:

تكلمنا عن الماضي، وعن الاسباب الكفيلة بحل المشكلة وعدم تجدد القتال. حزبنا يؤمن بحق الشعوب الاخرى بالتمتع بحقوقها وضمان مصالحها. والشعب الكردي له الحقّ الاكيد في التمتع بحقوقه ضمن الوحدة العراقية. وحدة المصالح لشعبينا جعلته في صف واحدٍ امام الاعداء. الاّ ان السنوات الماضية ونتيجة لعدم قدرات الحكومات في الماضي على فهم طبيعة الحركة الوطنية الكردية وكذلك المطاليب التعجيزية مما ادّى الى النفرة وازدياد حالة الاقتتال اشعرت وكأن الجماهير العربية معادية الى الحركة الكردية. علينا تحويلها الى حركتين متحالفتين. المصالح الاساسيّة للعرب والاكراد هي ازالة الاستعمار والاضطهاد القومي والطبقي: واسس الوحدة العراقية تعتمد على ازالة كلّ اشكال الاضطهاد. ويجب ان نؤكد على عدم حمل الشعارات والمطاليب بمعزل عن ارتباطها بالقضية العامة لانّ ذلك قد يؤدي الى عدم توفير ثقة متبادلة.

الشعارات يجب ان تكون ضمن الوحدة الوطنيّة." آه

هەولێر کتێب

الفصل الخامس

(1) "Odd man out"

"التآخي" في فترة رآستي تحريرها وفي اعقابها

كان في نيتي أن اتجاوز هذه الوقائع واطويها من سجلّ مواقف بعض اعضاءٍ في قيادة الحزب الديمقراطي الكردستاني. وان أحملها الى الدار الأخرى لتدفن معي مكتفياً بما نوهت به هنا من تلميح دون تصريح. والدواعي والاسباب كثيرة، منها خشية ان يضعني القراء في عداد المغرمين ببث شكواهم استجلاباً لعطفٍ. ومنها ترفعي عن اسلوب نشر ما يرقى إلى الفضيحة والفرية من المواقف بسبب ما يقتضيه السياق من ذكر إسماء ووقائع ترتبط بتلك الاسماء. ومنها زهدي في الحديث عن نفسي بما يمكن أن يفسر بالزهو والخيلاء.

لكنّ للقصّة جانبها الاخر. فهي تكشف عن سذاجتي بل غفلتي، ربما عن غباءٍ من ذلك النوع الذي يلازم عادة سلامة النية والإخلاص في متابعة عمل مبدئي لقضية عادلة. فقد

1 ـ تصعب الى حدٍّما ترجمة عربية دقيقة لهذا المثل الانكليزي السائر، والموجز غاية الايجاز فلفظ Odd تعني مماتعني هنا: الشاذ، او الخارج عن الاجماع، او المعارض للخط العام وما الى ذلك ولفظة out وهي ضد in تعني هنا الطرد، او الاخراج او الإبعاد وماأليها.

اكتشفت بعد فوات الأوان المدى الذي يمكن ان يبلغه الطموح الفردي الى السلطة من التسفّل والحطّة في اشخاصٍ من قيادة ذلك الحزب الذي كنت بين اوائل من المنتسبين اليه.

لم يعد للاحترازات التي ذكرتها ايّ مبرر بعد ان نشرت جريدة (خەبات) وهي جريدة الحزب الرسمية التي تصدر الآن في كردستان مقالة رئيسة. بتاريخ 23 حزيران 1993، وبالعدد (680) بأكثر من مائة سطرٍ كبير عن شخصي ليس فيه غير شتم ومثلبة وكذب صريح تترفع عنه اية جريدة تجارية رخيصة، قد لايبلغ الجبن بها مابلغه كاتب مقال خه بات بكتم اسمه الصريح واستعارة صفة "متابع" التي ذيّل بها مقالته.

انّ الفترة التي شهدتني رئيساً لتحرير "التآخي" بعد بيان آذار، كانت في الواقع جزءً هاماً من تاريخ نشاط الحزب الديمقراطي الكردستاني وتعامله السياسي. وصورةً من صورة عدة لعثرات قيادته فور البدء بتنفيذ بنود اتفاق آذار. واستئناف صدورها كان بنداً من بنداً.

*** *** ***

راح المكتب السياسي يباشر عملية توزيع المناصب الحكوميّة على رجال الثورة. مرهوناً بموافقة رئيس الحزب ثم بمصادقة الحكومة النهائية. فبدأت في ناوبردان مقر المكتب معركة ضارية مسليّة في التنافس على مناصب ووظائف معينة، وبشكل مثير مؤسف نبش المتنافسون فيها ماضي بعضهم بعضاً ونشروا المثالب والتهم صدقاً او كذباً وتراشقوا بالتهم والفضائح ولدي قائمة بها تزيد عن صحيفتين. ومن ادعاها للاستنكار تهمةٍ الزّنا التي الصقت باحد القياديين وعملُ بعضهم على نشرها نكايةً بالمقنوفين وهو ماتاباه الفضيلة، وقد بدا وكأن الثورة لم تقم إلاّ ليتولى (فلانٌ) هذا المنصب، أو لتسند تلك الوظيفة الى (عُلان). وقد خشيت ان يزج اسمي في المعركة دون علمي فبادرت الى اعلام ادريس البارزاني والمكتب برغبتي في استبعادي عن أي منصب حكومي. على اني عَلمتُ في حينه أنّ هناك تفاهماً وأجماعاً على إناطة مسؤولية جريدة الحزب التي ستصدر في بغداد بي. ولم تكن المسألة مسألة مكافأة ولاتفضيل. فالواقع هو انه لم يكن انذاك بديل ولامن هو أجدر مني او هو اكثر تفهمًا لطبيعة العمل الصحفي في مجال سياسة الحزب ومبادئه وتفرّغاً ورصيداً.[2] وتتجلى خطورة هذه

2ـ اصدرتُ في الموصل صحيفة الرائد (1956) ثم صحيفة الحقيقة (1959) وضممتُ الى اسرة تحرير خه بات (عند اول صدورها في بغداد) وكانت تتألف خلافي من ابراهيم احمد وجلال الطالباني وحلمي علي شريف وحبيب محمد كريم. وفي الوقت الذي لم يكن اسمي مجهولاً من الاوساط العلمية والفكرية في العالم العربي=

المسؤولية في ان "التآخي" ستكون الجريدة الحرّة الوحيدة في العراق التي لاتخضع للرقابة وستكون تبعاً لذلك المرآة التي ستعكس وجه الثورة ومبادىء الحزب لجماهير الشعب العراقي كافّة. فضلاً عن العالم الخارجي.

وبعبارة أخرى. فهذه المسؤولية بواقع الحال ستكون أخطر وأهّم من كلّ مسؤولية أخرى يتولّاها قياديّ حزبيّ وظيفياً او تنظيمياً. وإن لم يدرك معظم زمرة القيادة ذلك فقد ادركتُه أنا واعتزمت في ذات نفسي أن أفي المسؤولية حقّها مستفيداً من الحريّة التي كسبها اتفاق آذار لها.

علمتُ مسبقاً بهذه النيّة من "السيد حبيب" سكرتير الحزب

كانت بيني وبينه مودّة خاصّة حسبتها الى حين علاقة تسمو على العلاقة الحزبيّة. وكان يؤلمني كثيراً ان اراه هدفاً لتعليقات سمجة ثقيلة ينثرها خلفه زملاؤه وهو يشعر بها دائماً، ذلك الشعور الذي اثّر كثيراً على اداء واجباته ومسؤولياته بوصفه الشخصية الثانية في الحزب رسمياً فوصِف بالاهمال واللامبالاة من قبل اقرانه وفي الواقع لم يكونوا اكثر منه اهتماماً ولم يكن وهو من الفكهين الظرفاء - يتورع احياناً عن اطلاق النكتة المؤلمة على نفسه بقوله بأنه "سكرتير سخرة". في العام 1970 بدا لكل اعضاء القيادة ان الفأس هوت على رأس (جبيب) عندما استبعد من رئاسة وفد التهنئة والتوقيع على بيان آذار وإناطتها بالدكتور محمود عثمان.

في العام 1964 فرضت عليه المسؤولية فرضاً كما جاء ذكره وعين سكرتيراً رغم انفه لأن ملامصطفى اراد أن يلقّن درساً لبقية القياديين. (فصلنا هذا في كتاب الحرب الكردية وانشقاق 1964).

روى لي من لااشك بقوله أنّ "حبيباً" صدم باستبعاده عن الوفد صدمة "عنيفة وبدا بحسب

= بمقالاتي وبحوثي. وبالمؤلفات والتراجم التي اخرجتها لي المطابع في العراق وسورية. ذكر لي الاستاذ جلال الطالباني ان اول معرفته بي، كان عن طريق كتاب صدر لي وجده معروضاً في احدى مكتبات الموصل ايام كان طالب ثانوية مبعداً الى المدينة بحكم صدر عليه. وفي العام (1968) عند التحاقي بالثورة القى سكرتير الحزب كلّه على عاتقي ومن ضمنه تحريري جريدة (خه بات) حرفاً حرفاً (كنت ايضاً اساهم في تحريرها وهي سريّة على اثر قيام الحركة المسلحة). وحبيب كاتبٌ يجد سبيله الى الكتابة والتعبير بالعربية الى حدّما (كان واحداً من مذيعي نشرات الأخبار في راديو بغداد). وهو في ظنّي الوحيد الذي اعتمدت عليه الثورة في ادبياتها بعد الانشقاق.

تعبيره منهاراً". فقصد راوي الحكاية البارزاني وكان يعطف على السيد حبيب وذكّره بظروف استدعائه (حبيباً) وفرض المسؤولية عليه وسأله عن سبب نبذه بهذا الشكل. فسأل البارزاني: اهو منزعجٌ حقاً؟ فأكد له المخاطب ذلك فقال وما سبب تذمره؟ اجاب المخاطب: لاسباب كثيرة وعلى رأسها اسقاطه من الوفد. قال ملامصطفى اذهب فقل له لاداع هناك للتذمر، في 1966 ذهب هو، وهذه المرّة سيذهب دكتور محمود".

وانهى الصديق هذا الكلام لحبيب بمحضر منيّ. فعلّق حبيب على هذا بقوله: (يافلان) الأمر ليس كذلك. وهذا [كلاو][3] ونحن لسنا صغاراً ولا اطفالاً. لكن الله كريم، فلنخرج هذه المرة بوجه أبيض والتوبة التوبة! (يعني معاذ الله) إن عدتُ ثانية الى الثورة".[4] كان التآمر عليه هذه المرّة أن يبقى في مجاهل كردستان لادارة أمور الحزب التنظيميّة. في حين يتوزع اعضاء القيادة في المدن لمباشرة الوظائف الحكومية التي غنموها نتيجة اتفاق آذار وكان يصعب عليه هذا وهو الحضري المحبّ للعشرة والحياة المدنية التي ألفها منذ ولادته في بغداد.

قال لي حبيب وهو يزفّ اليّ "البشرى"! معقباً: "انه يرغب في ان يكون صاحب الامتياز في الجريدة فاذا عرضت عليّ رئاسة التحرير، فهو يطلب مني أن لارضى بغيره صاحباً للامتياز. بطبيعة الحال كانت هذه الصفة في الجريدة شكليّة يقتضيها القانون ليس إلاّ والمسؤولية الحقيقية هي لرئيس التحرير رسمياً ان كان المطبوع الدوري غير شخصي. ولم يكن بعسير عليّ ان استنتج من هذا انه محاولة من حبيب لاحباط المؤامرة التي هدفت الى ابقائه في ناوبردان وحرمانه من مباهج بغداد وحياتها المشرقة.

دعوت الله ان يحاسبني عسير الحساب في هذه الدار قبل الأخرى إن حدتُ بقصدٍ او غير قصد عما سأرويه في هذا الصدد أو غيره ـ كذلك سأدعو ان يكون حسابي بيد من ينبري الى تكذيب سردي للوقائع وان لايتستّر خلف اسم مستعار هذه المرّة.

ان ما اسلمني الى الحيرة هو: بايّ شكل كنت سأقوى على فرض صاحب الامتياز الذي

3ـ في اللغة الدارجة العراقية يشيع مصطلح "لبس كلاو" او "لبسه كلاو" ويقصد به تمرير كذبة أو خدعة على احدهم.

4ـ نفذ ذلك فعلاً لكن بوجه أسود لا أبيض فقد عاد مستسلماً للنظام بعد نهاية الثورة. مفضلاً العيش تحت ظله على العيش مع القياديين الذين اضطهدوه. وعين في المنصب المهين مديراً لبلدية مدينة الناصرية بعد ان كان مرشحاً لنيابة رئاسة الجمهورية. ونسجت حول تعاونه مع السلطة مزاعم وهي حكايات وشائعات تفتقر الى اثبات.

أريده على اللجنة المركزية وانا لااملك سلطة معينة تؤهلني الى ذلك سوى ماتمتع به من ثقة واحترام فرضه سلوكي فرضاً على الجميع. وتركتُ الأمر للظروف ولحين عرض المسؤولية عليّ رسمياً. ولم يطل الأمر. ففي عصر اليوم الثالث دخل غرفتي الصديق المأسوف عليه ضحية الغدر (الشيخ محمد هرسين) وكان عضواً في اللجنة المركزّية - يتمتع اذ ذاك بثقة كبيرة من البارزاني ويتحلّى بجرأةٍ في القول يفتقدها كثيرون. قال لي: صدر قرار اللجنة المركزية والمكتب السياسي باقتراح البارزاني وابنيه باسناد مسؤولية رئاسة تحرير التآخي اليك [5] على ان يكون (صالح اليوسفي) صاحب الامتياز فما قولك؟ أجبته: ألخبر بإسناد هذه المهمة اليّ ليس بجديدٍ كما تعلم إلاّ أني اودّ ان يكون حبيب صاحب الامتياز بدلاً من "صالح" فصالح صديق قديم وهو الذي حبب اليّ الانضواء الى الحزب منذ العام 1948 وقد عملنا معاً وبيننا احترام متبادل. وانا أخشى من عنادٍ فيه ومحاولة فرض سلطان معيّن على سياسة الجريدة بواقع كونه رئيساً لتحريرها عند صدورها لاول مرة (في العام 1966)، وهو بعدُ وزيرٌ ولااظنّ القانون يجيز له ملكيّة صحيفة حزبيّة لذلك أرجو ان تبعدوه عنها. قال "باختصار، من تريد إذن؟" قلت "حبيب" قال فليكن "حبيب" وقفل راجعاً لينبئني بعد قليل ان الأمر تمّ كما شئتُ.

كيف تمّ؟ لاادري ولم أسأل احداً. كيف استقبل اليوسفي رفضي؟ إنّه لم يُبدِ والحق يقال اي شيء ينمّ عن انزعاجه. كان اليوسفي بطيبة قلبه وصفاء سريرته يسمو على جميع اقرانه ومع هذا لم يسلم من كيد محورٍ قياديّ داخليّ سيأتي الحديث عنه بتفصيل.

رحلنا معاً الى بغداد ومعي عشرة الآف دينار كان مقر البارزاني قد سلمها لي قبل بضعة اشهر، لغرض الشخوص الى طهران وشراء نواقص تشكو منها مطابعنا. واتفقنا على الانفاق من هذا المبلغ لتدارك الأيجار والتأثيث ودفع الرواتب وما الى ذلك. وكتبت ونحن في بغداد الإشعار القانوني باصدار الصحفية ووقعتُه كما وقعه السكرتير (صاحب الامتياز) بالصفتين المقررتين واخذتُه الى وزارة الثقافة والإعلام وسجلته. ثم انشغلت في الايام التالية بشراء الاثاث. وعقدتُ ايجار البناية من مالكتها.[6]

5- كان اسم الجريدة اقتراحاً من رئيس الجمهورية السابق المطرود عبدالرحمن عارف عند لقائه بملامصطفى على اثر بيان حزيران 1966.

6- هي غزوة ابنة شاكر الوادي وزير الدفاع في العهد الملكي. اذكر انها قبلت بايجار ينقص 200 دينار عما تقاضته من نادي سيروان قبلاً واعتبرته تبرعاً للثورة والحزب. جزاها الله خيراً.

مرت سبعة ايام ولم يصلنا الإشعار. وفي اليوم التالي ذهبت بصحبة اللواء عبدالرحمن القاضي المعين سفيراً للعراق في اندونيسيا الى مطار السكة الحديد لتوديع ادريس البارزاني. وكان ثم اكثر من مائة مودّع. قصدني ادريس فور مجيئه فأمسك بيدي قائلاً انه يريد التحدث اليّ وقادني الى زاوية خالية في البهو والتحق بنا ـ والمشيعون يتابعون بانظارهم ـ كلّ من (نافذ جلال) وزير الزراعة، و(نوري صديق شاويس) وزير الاشغال والمواصلات عضو المكتب السياسي و(علي عبدالله) عضو المكتب السياسي، و(محمد محمود عبدالرحمن) وزير شؤون الشمال عضو المكتب السياسي. وتحلّقنا طاولةً وادريس ممسك بيدي. قال: كنت أمس مساء مع الرئيس البكر وبقينا حتى الحادية عشرة ليلاً نجهد في اقناعه بأنها رغبة البارزاني في وجودك على رأس جريدة التآخي وهو يُصرّ على أن لاتكون او على الأقل ان لايكون اسمك ظاهراً فيها.

اذن فهذا هو السّر في تأخر صدور الموافقة طوال الأسبوع!

شعرت وكأن ثقلاً يزاح عن صدري. لم يكن أحدٌ يعلم وآخرهم ادريس ـ بالتبعات الجسام التي تلقيها رأسة تحرير جريدة يومية بست عشرة صحيفة، حُرّة من قيود الرقابة الحكومية، ومقدر لها ان تصبح فور صدور اعدادها الأولى أشهر مطبوع واعزّه عند الجمهور العراقي، على الأقل في تلك الظروف ناهيك بسمعةٍ كسبتها خلال الفترة الأولى لصدورها.

سأل ادريس وكأنه يجهل: ماالذي بينك وبينه؟ قلت هذا ليس بمهم والحكاية طويلة فهو لم ينسَ كما يظهر وذاكرته قويّة [7] وكان وقتها ملازماً اول وهو الآن رئيس جمهورية وهو يملك

7ـ كان (البكر) معلماً لفصيلنا في دورة ضباط الاحتياط التاسعة (1946). حين عرف بأسم الملازم الاول احمد حسن التكريتي ولم يكن من طائفة الضباط الذين احترمناهم وعقدنا صداقات معهم. ولمعظمنا معه وقائع وحكايات و "مقالب" يصعب عليّ مغالبة الابتسام حين استذكر بعضها. كان يتظاهر بالتقى والتدين "ويحمل سجادة الصلاة معه ويتظاهر بها". ويخشى أمره العقيد الركن أمين خاكي المتشدّد في تعقيب حركات ضباطه اثناء اداء واجباتهم. وكان معاون الآمر المقدم الركن صالح زكي توفيق بصراحته وفكاهاته التي طبع عليها ـ يتوسل بنا أن نرفق بالملازم التكريتي لأن تقريراً واحداً يكتبه آمره ضدّه سيؤخر ترفيعه. ان كان مما يدعو الى الدهشة أن يتنكرني البكر بهذه العلاقة وبعد مرور اكثر من ربع قرن. فليضف الى هذا مسألة الدين وهي مسألة مركزية بالنسبة اليه. تسمو لترتفع فوق الرابطة الحزبية. وقصة عدائه للمسيحيّ القيادي الوحيد في حزبه مشهورة. فقد لاحق بها (طارق عزيز زمناً) حتى ضاقت بهذا سبل العيش الى الحدّ الذي الجأه الى تقديم طلب لوزارة الاعلام بمنحه اجازة مراسل لجريدة الحياة ومجلة الشبكة البيروتيين. فعلق البكر على الطلب كتابةً =

رقبتي لا تحديد ما اتولاّه ومالا اتولاّه من عملٍ فحسب. فالموضوع اذن منتهٍ وابحثوا عن بديل فأنا وكلكم يعلم ـ ماطلبت لنفسي هذه المهمة أو غيرها وهي بالتالي ليست بالتي يحسدني احد عليها او ينافسني فيها ثمّ انه من الحماقة بمكان ان اكون سبباً في قيام مشكلة بين القيادة وبين السلطة في المراحل الأولى من تطبيق اتفاق آذار، ابحثوا لكم عن رئيس تحرير آخر.

في ذلك الوقت لم يكونوا مستعدين للبحث. واقرّ هنا بأنّ جميع الموجودين لم يكن قطّ مرتاحاً لهذه النتيجة وليس بينهم مَن سُرّ بها، اذ لم يكن بينهم مَن يضمر لي غير الودّ والاحترام. ومامن شك في ان اعتراض رئيس الجمهورية على اسمي قد اوقعهم في مأزق صغير، لايوجد خيار ها هنا. قال (نافذ جلال) مقترحاً مامضمونه "ليُكتب اسم آخر على الجريدة وتبقى أنت رئيساً فعلياً للتحرير".

من هذا شعرت بأن الموضوع بحث في غيابي بين ادريس والبقية وأنهم استقروا على مفاتحتي بهذا الحلّ. اذكر اني اجبت المرحوم (نافذ جلال) بشيء من الحدة وكانت بيني وبينه مودّة خاصّة "هذه مسائل حزبيّة وانت غير حزبي" فأرجو ان لا تتدخل فسكتَ وتابعت قولي ان المهمة الموكولة لي هي مهمة لاتتعلق برئيس الجمهورية ولا بأحد من رجال السلطة. لأنها مسألة حزبيّة داخليّة صرفة، ولو قبل الحزب بهذه النتيجة وخضع لها. فماذا سيمنع السلطة مثلاً في المستقبل عن الاعتراض على تعيين مسؤولٍ لفرع من فروع الحزب؟.

وقطع ادريس باب الحديث بقوله: لماذا لانودع الأمر للأمصطفى؟ فسكتُ، اذ لم يكن بوسعي الاعتراض ـ لكنيّ قررتُ ان اكتب له بالتفاصيل واشعره بأني زاهدٌ تماماً بالمسؤولية . وقصدت صباح اليوم التالي مركز نقابة المحامين وقدمت طلباً بتجديد اجازة المحاماة وفي نيتي مزاولة مهنتي اصلاً إلاّ ان رسالة ملامصطفى التي بعث بها مع ساعٍ خاصٍ مساء اليوم التالي ادركتني قبل ان اخطّ حرفاً. وهي بخطّ ابنه أدريس. لكنها تحمل توقيع البارزاني وقد جاء

= "قسماً بالله بقدر ما انا مسلم فهذا جاسوس وعميل". ومما يقوي هذا الظنّ. وخلافاً لما اعتقدتُ حيناً واعتقد غيري بان السبب هو كوني من محكومي المجلس العرفي بتهمة مقاومة محاولة الشواف الانقلابية. فانه مثلاً لم يعترض على اسناد منصب الوزارة لمحمد محمود عبدالرحمن الذي حكم بعين التهمة ونال حكماً مضاعفاً بالاشغال الشاقة المؤبدة. بفرق واحد هو ان الحكم زال عني بقرار براءة قضى بابطاله من الاساس. في حين صدر بحق الوزير عفو لاغير

(أنظر التفاصيل في كتابنا "اسقاط النظام لايكون بهذا". الطبعة الثالثة 1990 ـ ستوكهولم ـ دار آزاد للنشر.

فيها هذه العبارة التي لاشك قطّ في انها صادرة عن قناعةٍ وليس على سبيل المجاملة. "اعرفك ايها الأخ بأنك لست من اولئك الذين يهتمون بالمناصب او بالألقاب ولست ممن يطلبونها. ورجائي منك ان تقبل بهذه التضحية الصغيرة اضافة لخدماتك الكبيرة التي نقدّرها حق التقدير. وانت رئيس التحرير الفعلي.. الخ..".

مازلت حتى كتابة هذه الأسطر ـ اعجب لنفسي ولغفلتي بالأحرى؛ كيف قبلت مسؤولية وسلطة من غير حصانة .الحصانة هنا هو الوصف الذي يكتب على صدر الصحيفة الى جانب اسمي.

بات معلوماً ـ والشمس لاتغطىّ بغربال ـ اني المسؤول الاوّل عن الجريدة ـ الحكومة كلّها تعلم والقواعد الحزبية وكوادرها والاحزاب والبعثات الدبلوماسية كلهم يعلمون بهذا . لكن ماقيمة هذا العِلم، عندما تقتضي ظروف معينة أن تتكر الصفّة عَليّ رسمياً ، ليسهل سبيل الاستغناء عني والتضحية بي من دون ضجة وهو ماحصل فعلاً. واعيد القول: لاأحد من القيادة كان يضمر لي سوءً او يقصد بي شراً. حتى صالح اليوسفي نفسه فقد اعتبر رفضي ان يكون صاحب امتياز خدمةً مشكورة. فقد رأى لسلامة نيته بأني فعلتُ ذلك من اجله" حسب قوله رحمه الله.(8)

وظهرت التآخي وفي صدرها اسم "علي عبدالله" رئيساً للتحرير. دون ذكر لإسمي نزولاً عند رغبة رئيس الجمهورية ... وحكومته.

*** *** ***

من التصرفات واسلوب التعامل القيادي بدا وكأن اتفاق الحادي عشر من آذار قد حلّ المشكلة الكردية في العراق حلاً نهائياً. وان بنوده ليست وسيلة لكسب الوقت عند النظام البعثي. وقد حرصتُ على مجاراة هذه الفكرة وهي الفكرة التي استقر عليها معظم قياديي الحزب رغم اني لم اكن مؤمناً بها في اي وقت.

لم يكن سكرتير الحزب صاحب الامتياز، ولا البديل الإسميّ علي عبدالله يتدخلان في شؤون الجريدة. ولا في السياسة التي انتهجتُها لها. إلاّ اني احسست بوجود نوع من رقابة غير مباشرة عندما فاجأني علي عبدالله يوماً بقوله ويأنبه المعهود "اريد ان اكون رئيس

8ـ قدمت الطلب الى الاستاذ صلاح عمر العلي وكان وزير الثقافة والارشاد وهو على عِلم تام بما جرى. ومن شك فليسأله فهو حي يرزق والحمد لله.

التحرير الفعلي من الآن فصاعداً".

لم اتعب نفسي بالتفكير بما يقصده وبعثت له في اليوم التالي بمواد الجريدة اكداساً مكدّسة. لكنه اعادها اليّ وخرج دون ان يمدّ يداً الى ورقة منها. واظنه كان يخشى ان تؤثر سياسة الجريدة على تعيينه محافظاً للسليمانية [9] فاعلان رغبته بهذا الشكل العابر عدته صدىً لمخاوفه ولا اكثر. على انه كان يسلّي نفسه أحياناً بوضع توقيعه جنب توقيعي على مواد الجريدة. وأقرّ هنا ايضاً انه لم يكن يسبب لي اي ازعاج او مداخلة وكان ثم احترام متبادل وخطٌ مرسوم بيننا لايتجاوزه أحدنا، إلى ان سخّره المؤتمرون لعملية ازاحتي.

بدأنا بخمسة عشر ألفاً وعندما غادرتُ الجريدة كان المطبوع من النسخ يزيد عن خمسة وثلاثين الفاً وهو ما لم تبلغه جريدة قبلها شهدتها ارض الرافدين. كنت واعياً جداً بأني اسير فوق حبلٍ- هذه جريدة وان كانت كرديّة النجاد- فهي تصدر باللغة العربيّة وفي عاصمة بلاد الرافدين الأمر الذي ينفي عنها صفة الاقليميّة. ومادامت كذلك فوجب ان تكون لكلّ الشعب العراقي بقومياته وطوائفه. ومن السخف وخيانة الواجب الصحفي أن تُتّجاهل فيها مشاكل الشعب العراقي وأحاسيسه تجاهلاً تاماً في ظلّ حكم أرهابي توتاليتاري، جريدة لاتخضع لرقابة الحكومة ولاتنتمي كفيرها الى الحزب الحاكم، كان الشعب العراقي ينتظر منها شيئاً ايجابياً ومن الخطورة على سمعة الحزب والثورة ان تخيب صحيفة الحزب ظنّه وتفرط بثقته.

في عين الوقت وبالطاقم الجيد من المحررين الذين انتقى حبيب محمد كريم بعضهم

9ـ كان ينتظر المرسوم القاضي بتنسيبه محافظاً للسليمانية، وبعد ينس دارا توفيق من الظفر بها، إذ بمنافس قويّ جديد يبرز له من حيث لايدري، وبشخص زميل له في المكتب السياسي هو عزيز عقراوي واذا كانت درجة قوة تحقيق المطلب تقاس بمقدار الحظوة عند البارزاني. فما من شك في ان مركز العقراوي أنذاك كان اقوى بكثير من مركز الآخر. كان عقراوي يكره علي عبدالله كرهاً عميقاً ولايطيقه. والظاهر انه ماطلب المنصب الاّ مكايدة وازعاجاً. اذ كان وقتذاك قد فقد كلّ اهتمام بالحزب والثورة وازدرى المناصب التي عرضت عليه لاجئاً الى الأعيب المكايدة واللامسؤولية اللتين انحدرتا بهذا الشخص الوطني المخلص والكثير المواهب الى ممالاة السلطة. كانت خطورة المنافسة قد بلغت حداً جدياً تدخل معه الدكتور محمود عثمان في محاولةٍ لاقناعه بسحب طلبه منصب المحافظة. ثم استعانة الدكتور بي لاستخدام دالة لي على عزيز ففعلتُ في مكتبي بالتدخي، وقد اعترف لي عزيز وانا في سبيل اقناعه ـ بأنه لم يكن في اي وقتٍ جدّياً في اطلاب هذا المنصب لنفسه وانه مافعل ذلك إلاّ مكايدة لعلي عبدالله وتزجيّة لاوقات فراغه، وبسبيل العبث بعواطفه ليس إلاّ. وكان من السهولة بمكان اقناعه بسحب مطلبه ففعل وهو يضحك ضحكة العابث مطلقاً على غريمه أوصافاً لاتليق بايٍّ منهما.

وانتقيتُ انا بعضهم - لم يكن عسيراً علينا ان نحافظ على هذه الثقة ونطمئن اليها. على اني كنتُ حذراً من اغضاب البعث الحاكم بالتعرض له بأي شكل يفسّر بالمداخلة في شؤونه الخاصّة اي في اسلوب ممارسته الحكم، ومن جملة ذلك اني تحاشيت نشر انباء التجاوزات التي تردني من فروع الحزب وامثالها - تاركاً الأمر بطبيعة الحال للجان المشتركة ولجان الاتصال التي شكلت لغرض مراقبة تنفيذ بنود الاتفاق، فقد يعتبرها الحزب الحاكم وله الحق في ذلك تجاوزاً على صلاحيات اللجان وينزلها منزلة تشهير. ولنفسي بناءً على هذا رسمت خطاً قررت الاّ اتزحزح عنه هو الأمانة الصحفية في نقل الخبر من جهة وعدم التفريط بمقام الحزب الديمقراطي الكردستاني ومكانته بالأفتئات على مبادئه. ويأتي بحكم المستأمن على كرامته وسمعته عن طريق ماينشر[10]. ولم ادر الاّ بعد فوات الأوان بأن الثبات على هذا الخطّ بات بالتدريج مصدر قلقٍ واحراج لفئة من اعضاء المكتب السياسي المقيمين في بغداد بحكم مناصبهم. وكانت هناك وقائع عديدة لم تعجب مواقفي فيها هؤلاء الناس الذين لم يكن حرصهم على الحزب بمستوى حرصهم على مناصبهم الجديدة. وقد رأيت وانا استعرض الوقائع العديدة التي ادت الى اعتباري شخصاً غير مرغوب فيه عندهم - ان اختار خمساً فحسب ولكل منها جانبه المتميز.

*** *** ***

الأولى:

كانت المفاوضات تجري حثيثاً بين الحزب الشيوعي العراقي وبين الحزب الحاكم لاقامة ماعُرف بالجبهة القومية التقدميّة. وفي خلال تلك المرحلة سُمح لقيادة هذا الحزب واعضائه بشيء من حرية النشاط ووجدوا لقيتهم في استرعاء الاهتمام الشعبي بهم - بما كان يحصل في المملكة الاردنية اذ ذاك.

ففي نهاية الاسبوع الأول من حزيران عبرت الدبابات السورية الحدود الاردنية لمساندة الفلسطينيين الذين التحموا في قتال اليد باليد مع الجنود البدو في شوارع عمان ومنازلها ومخيماتهم ستة ايام بلياليها وقدر عدد القتلى رسمياً بثلاثمائة - وقد تجاوز الالف في الحقيقة - والجرحى باكثر من الف. ووقف حكم البعث العراقي موقف الحياد المطلق من هذا العراك

10 - ربما كان هذا تفسيراً معقولاًلما عزته اليّ خه بات من صفات المكابرة والخيلاء - في مقال الشتم الذي خصصته لي [راجع ماسبق].

الدموي وكان موقفه مفهوماً فهو خصمٌ لسميّه في سورية وهو من جهة يحرص على ابقاء علاقاته وديّة مع جارٍ يسانده الغرب كجزءٍ من اداء الدين واقراراً للولايات المتحدة به ثمن وصوله الى الحكم في 17 تموز. ولهذا لم يتحرك البعث العراقي قيد انملة لمساندة الفلسطينيين ولا حتى بالصراخ العلني اعلاميًا، فوقتما كان بدو الملك حسين يفتكون بهم، لم اجد كلمة واحدة او تعليقاً في صحف الحكومة يعرب عن رأيها حول مايجري والتزم اعلامها الصمت. إلاّ ان الحزب الشيوعي العراقي وجَدَ في هذا الحدث اوّل فرصة للنشاط عن طريق القيام بجمع التواقيع على مذكرات تشجب فيها عمل (الملك حسين رييب الاستعمار وجريمته الشنعاء بحق المواطنين الفلسطينيين العزّل الأبرياء).

كان من واجبي متابعة ماتكتبه الصحف العالمية عن الاحداث السياسية اليوميّة لاتخاذ موقف معين للجريدة منها. وتشمل ماينشر بثلاث لغات على الأقل. فضلاً عن الصحف المحلية ولم استغرب من موقف النظام العراقي.

في 9 من حزيران 1970 قدّمت لي احدى المحررات في الجريدة مذكرةً مذيلةً بمئات قليلة من التواقيع وقالت انها مرسلة من قبل الحزب الشيوعي بغية نشرها في الجريدة. فاخذتها واودعتُها درجاً. وفي اليوم التالي عندما لم تظهر المذكرة في التآخي - وردتني رسالة خاصّة من صالح اليوسفي. (وكان قد انتظم عضواً في مجلس السلم العالمي) مع مذكرة ثانية مماثلة بعين المآل يرجو فيها نشر المذكرتين. فاتصلت به تلفونياً وشرحت له الموقف بكامله، وكيف انه لامصلحة لنا وللحزب بزجّ انفسنا في قضية عربية صرفة كهذه، في الوقت الذي احجم أصحابها الشرعيون عن المداخلة فيها.

بعدها بيومٍ جاءتني الدكتورة نزيهة الدليمي وهي وقتذاك عضو في المكتب السياسي للحزب الشيوعي العراقي مع مذكرة اخرى مستفسرةً عن المانع من نشر المذكرات فكررت الاعتذار واوردت الأسباب وقلتُ لها حاولوا ان تنشروا واحدة منها في اي جريدة أخرى هنا ولكِ مني وعدٌ بنشر كلّ ماتجمع حملتكم من التواقيع. ولم تقنع وودعتها مبدياً أسفي لتعذر تنفيذ رغبة الحزب الشيوعي الصديق. وفي مساء اليوم التالي اقبل (عامر عبدالله) بصحبة اثنين من اعضاء اللجنة المركزية. وبعد عناق أخوي واستذكار قصير لايام الدراسة والزمالة في النشاط السياسي. قال انه قدِم رأساً من القصر الجمهوريّ وقد اكدّ له الرئيس البكر بالاّ لامانع قطّ لديهم (اي السلطة وحزب البعث) في قيامهم بنشر مذكرات الاحتجاج ضدّ الاردن. في اي

مكان لكنهم كدولةٍ لايستطيعون ان يسمحوا بنشرها في وسائل إعلامهم الرسميّة.

المسألة بابسط شكل ان السلطة وحزبها الحاكم كان يستطيع باتصال تلفوني منح امتياز اصدار جريدة للحزب الشيوعي لينشر فيها مايشاء، لم اقل هذا لصاحبي عامر بطبيعة الحال ولم اقل اشياء كثيرة أخرى كانت تجول في فكري. إلاّ اني كنت مُصراً على ان لااواصل تلك السياسة الذيلية التي تعودها الحزب الشيوعي من البارتي [11] على الاقل ضمن دائرة مسؤوليتي هنا. لم تكن للحزب الديمقراطي الكردستاني مصلحة ما في كسب عداءِ دولةٍ فيها جالية كردية بعض افرادها يتمتع بثقة العرش الهاشمي ويناصر القضية الكردية ويعطف على الحركة الوطنية المسلّحة. والمنظمات الفلسطينية التي كنّا نذكرها ونشيد بها في بيانات حزبنا مؤيدين نضالها في كلّ مناسبة لم نظفر منها طوال سنوات نضالنا السبع بكلمة تشجيع واحدة ، بل كثيراً ما أدلى قادتها بتصريحات ضدّنا تزلفاً للحكام العراقيين.

لجأت اخيراً إلى اللغة التي يفهمها الشيوعيون . فقلت للزائرين أني سأحتكم الى المكتب السياسي للحزب في هذا الشأن لأن الأمر يتعلق بسياسة الحزب الخارجية. وقنع الوفد بهذا.

لم يكن في نيتي قطّ ان افعل ذلك. لكنيّ كنت متأكداً بان اعضاء المكتب السياسي الموجودين في بغداد سيلّغون بالقضية عن طريق زائريّ هؤلاء. وقد صحّ حدسي بالضبط ووجدتهم جميعاً في مكتبي عصر اليوم التالي، وبُحث الأمر فأدليتُ برأيي الجازم وعرضت استقالتي.

هؤلاء المجتمعون كلّهم كانوا يعلمون اكثر مني بمائة مرة- عن علاقتنا باسرائيل! وبعضهم كان قد رحل اليها واستمتع بضيافة حكومتها.

لم يسفر الإجتماع عن شيء ولم أنشر مذكرة واحدة، وعلى كلّ حال كانت هناك موادّ أهم من اشغال حيّز كبير في الجريدة باسماء وعناوين مجهولة لايتعب القاريء نفسه بالقاء نظرة عليها. أكلّها لان الحزب الشيوعي يريد أن يثبت للرأي العام بأنه مازال في الساحة ناشطاً

---

11 - مثلاً انكر هنا ان الوفد الكردي طلب اثناء مفاوضات آذار- بدفع خارجي على الارجح - اشراك ممثلين عن الحزب الشيوعي العراقي في المحادثات. فلم يوافق الجانب البعثي الحكومي. ثم اقترح الوفد الكردي "اشراك الحزب الشيوعي العراقي في المراحل النهائية والتوقيع على الاتفاق ليكونوا شهود المستقبل! فلم يوافق الجانب الحكومي على هذا ايضاً [هذه العبارة مقتبسة نصاً من كتاب نشرته التلخي عنوانه "في سبيل الوَحدة الوطنية" ص 25. ط بغداد 1973]. راجع أيضاً الفصل الثالث من الكتاب.

فاعلاً؟ أو ليثبت موقتا معيناً؟

*** *** ***

الثانية:

الحدث الآخر في تاريخ الجريدة ـ وَجَدتْه السلطة تحدياً، واثار فيها هواجس سوداء ولم يكن لي فيه دخل مباشر ـ لكني صرت بالنتيجة مسؤولاً عنه وعن إصلاحه.

والمناسبة هي انعقاد مؤتمر الحزب الديمقراطي الكردستاني الثامن في الأوّل من تموز 1970. فقد دعي ممثلون للاحزاب السياسية المنحلة لاسيما تلك الاحزاب والمنظمات التي كانت تجري حواراً مع حزب البعث لاقامة "الجبهة". والقى كلٌ منهم يوم الافتتاح خطبة حمل فيها بعضهم على السلطة وانتقد سياستها في التضييق على الحريات. وفي ليلتها كتبتُ تقريراً صحفياً عن وقائع ذلك اليوم وبعثت معه بالخطب الى القائم بشؤون التحرير بغيابي مجيزاً نشرها برمّتها.

بعد يومين التقاني الدكتور محمود عثمان وابتدرني بقوله:

ـ القيامة قائمة في بغداد. ماالذي حملك على نشر خطب المندوبين؟ هناك حملات اعتقال لزعماء الاحزاب في بغداد. اتدري مافعلت؟

أجبت وانا بين الغضب والدهشة:

ـ أأنا الذي فعلتُ ام انتم؟ هذه الخطب القيت في محفل سياسيّ عام ضَمّ اكثر من 450 مندوباً حزبياً. واكثر من مائة ضيف ومدعو ومتفرج، وهي جزء من وقائع مؤتمر حزبي فكيف تريدني اخفاها وأين؟ ومكبرات الصوت واذاعتنا نقلتها الى أبعد جهة يصل بثنا اليها. اليس من صالحنا كحزب ديمقراطي أن نُطلِع العراقيين على مايجري هنا؟ كان عليكم ان لاتفسحوا مجالاً لالقاء خطبٍ من هذا النوع، أو أن تطلّع عليها لجنة التحضير للمؤتمر مسبقاً لتستبعد منها مالايستقيم ومزاج السلطة.

المسألة بكل بساطة وهي لاتخفى عن الدكتور محمود عثمان أنّ اولئك الذين حققوا انقلابيْ 17 و31 من تموز تعهدوا في بيانهم باطلاق الحريات ومنها حرية التعبير. وليس في اتفاق آذار مايمنع أو ينتقص هذا التعهّد. فضلاً عن اننا سنتعرض الى انتقادٍ مشين من القوى السياسية المدعوة لو امسكنا عن نشر الخطب او تعمدنا الحذف فيها.

ولم يقل محمود عثمان اكثر مما قال وانصرف.

اسرعت عائداً الى العاصمة بعد ختام المؤتمر وتبين لي حجم الاعتقالات الكبير الذي قامت به السلطة اثر نشر الخطب ومدى التوتر الذي ساد مسؤوليها من زيارة مفاجئة لنائب جلال وزير الزراعة بعد مقابلة له مع وزير الداخلية "سعدون غيدان". فقد ناشدني أن ابدد شكوك السلطة بعملٍ ما "فهم يعتقدون انها مقدمة لمؤامرة ضدّهم" بحدّ تعبيره. فبادرت في اليوم التالي الى كتابة مقال رئيس تضمّن تأكيداً "للحلف" بين الحزبين والاصرار على تنفيذ اتفاقية آذار. وهدأت العاصفة وأطلق سراح المعتقلين تباعاً بعد أيام.

هل كان الحزب الحاكم يعتقد اننا نهيء مع الاحزاب الأخرى انقلاباً؟ ام انه كان في الواقع يقصد ابراز عضلاته؟ او تلقين درس لفلول الأحزاب الأخرى.

*** *** ***

الثالثة:

وكما أشارت الدلائل، فالمناسبة الثالثة التي سأقصّ وقائعها الآن نبهت قيادة الحزب الى التفكير في إزاحتي من مركز المسؤولية في الجريدة.

في شهر آب من العام 1970 على ماأذكر تمّ التوقيع على معاهدة تثبيت الحدود الالمانية ـ البولندية. بين (ڤيلي برانت) W. Brandt مستشار المانيا الغربية. وبين (گوملكا) W. Go-mulka زعيم الحزب الشيوعي البولندي ورئيس الدولة. منهية بذلك نزاعاً دام سنيناً عدة بعد نهاية الحرب العظمى الثانية. وبالمناسبة اقترح المعلق السياسي في الجريدة ان يُكتب شيء عن هذا الحدث فوافقت. كان حدثاً دولياً خطيراً، حظي بثناء وارتياح الاوساط السياسية في العالم وتأييد هيئة الأمم المتحدة لانه قضى على الآثار الاليمة التي تخلفت جراء تقسيم پولندا بين الاتحاد السوڤياتي والمانيا النازية ومسحها كدولةٍ بموجب الخارطة الملحقة بالپروتوكول السريّ المعقود بين [مولوتوف وفون ريبنتروب] في العام 1939.

لكن كانت هناك دولتان شذّتا على الاجماع الدولي هذا كما تبيّن لي. هما الاتحاد السوڤياتي والمانيا الشرقية (الديمقراطية).

على اثر نشر تعليقنا الصحفي المؤيد للخطوة انبأني مكتب الاستعلام بقدوم دبلوماسيين سوڤيتيين من اعضاء السفارة. قابلتهما فقالا انهما جاءا للاستفسار عن وجود السيد دارا توفيق (وكان اذ ذاك يداوم في دار التآخي يومياً وقد خُصص له غرفة يستقبل فيها المراجعين بوصفه العضو المنتدب في لجنة السلام. وكان من عادته ان يختلف اليّ برهة قبل ان يبدأ عمله

- وفي وقت مخصوص) وذكر القادمان انهما يريدان تقديم ألبومات الصور الفوتوغرافية الخاصة بزيارته موسكو[11].

جاؤوا ثلاثتهُ مساء اليوم عينه وفي الوقت المضروب (ودارا) معي ينتظرهم. ثالثهم قدمه لي دارا بوصفه المفوض في السفارة السوفيتية ولما لم يكن الأمر يعنيني او هكذا خيل لي. فقد دعوت الجميع الى غرفة الاستقبال وهممتُ بالعودة الى مكتبي الاّ ان الوزير التفت قائلاً بانكليزية سليمة "اريد ان اكلمك" قالها بلهجة آمرة سمجة عزوتها الى الجهل بلغة التخاطب الانكليزية المؤدبة المعتادة، الاثنان اللذان جاء صباحاً تحوّطا دارا توفيق على صفّة، وتشاغل ثالثهم بتقليب صفحات الالبومين اللذين جاء بهما. في حين توجّه الي الوزير بالكلام (وانا انقل هنا مادونته في حينه) قال نحن نعتبر جريدة التآخي جريدة صديقة تقدميّة. وقد كانت كذلك في مرحلة صدورها الأولى قبل اربع سنوات. لكنْ هنا الآن خطٌ مخالف. تغيير كبير طرء على اتجاهها التقدمي وانه أمرٌ مؤسف حقّاً، قد يكون له تأثيره على علاقتنا الطيبة.

اجبتُ وبكل هدؤ :"ايتفضل الوزير بالتخصيص؟ من اين جاءكم الشك في انحراف التآخي" عن الخطّ التقدمي الذي تزعمه؟".

قال من مواد كثيرة. من ذلك ماكتبتموه حول اتفاق بولندا والمانيا الغربيّة من مديح وتأييد. انه في الحقيقة اتفاقٍ مشبوه لايسوى الورقة التي حملت تواقيع المفاوضين. انكم لم تفعلوا اكثر من ترديد ماجاء عنه في تلك الصحف الليبرالية الغربيّة "القحبة" دون تبصرة وتحقيق عن رأي العالم التقدمي فيه من صحفه وهي مصادركم.

(استخدم كلمة prostitute بالضبط). في هذه اللحظة ادركتُ بأني المقصود الحقيقي بالزيارة وان السوفييت يريدون ان يلقوا درساً من دروس الترهيب والضغوط كالتي اعتادوا تلقينها للضعفاء عبر تاريخ تعاملهم السياسي الطويل.

قلت للوزير المفوض: ايتفضل سعادته بتعيين المصادر التي استقينا منها معلوماتنا وهي التي وصفها بالعُهر؟. قال "امثال جريدة التايمز في لندن، مجلة التايم، ونيوزويك ونيويورك تايمس وغيرها وغيرها ... عندما صدرت جريدة النور. طلبوا منّا ان نزودهم بالمنشورات والانباء لنشرها في صحيفتهم فلم نلبّ لهم طلباً لاننا لم نعتبر طاقم ابراهيم احمد - جلال

11 - في حينه تلقى البارتي دعوة من الحزب الشيوعي السوفييتي للمشاركة بمناسبة ذكرى مرور 100 عام على ولادة (لينين) فانتدب لها كلاً من حبيب محمد كريم ودارا توفيق.

ممثلاً للشعب الكردي في العراق. [12] وتجاهلناهم."

اجبته :ان الحزب الديمقراطي الكردستاني هو حزبٌ نو منهاج ليبراليٌ يؤمن بحرية العضو وحقّه في الاطلاع على كلّ وجهات النظر السياسية في الاحداث العالمية. ونحن نجد من واجبنا ان نفتح له كلّ النوافذ ولانقتصر على نافذة واحدة. نحن نؤمن بحرية الاعتقاد. ونكره فرض الاراء وهذا رائدنا في "التآخي"، وهو الخطّ الذي افهمه من سياسة الحزب وعن مبادئه. وبما اني لااجد حالياً انتقاداً من القيادة للخطّ الذي أسير على نهجه في جريدة الحزب فأعتقد اني غير مخطيء. واضفت قائلاً اني لم اسمع اعتراضاً على التعليق من البولنديين انفسهم وهم اصدقاؤكم.

وبدا لي ان الوزير اغتاظ من هدوئي وبرودتي اكثر من الاجابة او ربما وجد في قولي تعريضاً بالاحزاب الشيوعية عموماً وبموقف دولته من المسألة خصوصاً. فقد نهض من مقعده فجأة منفعلاً واشار الى زميليه فنهضا وتقدم من دارا توفيق وصافحه مودّعا بحرارة على الطريقة الروّسية. وعندما توجه اليّ خيل لي انه يريد مصافحتي ايضاً فمددت يدي، لكنه تجاهلها وخرج. وكانت اهانة مقصودة.

طوال الوقت لم يتفوه دارا توفيق بكلمة واحدة. كان يتشاغل بالتحدث الى الدبلوماسيين. وعلّي الأقرار هنا بأني كنتُ مغفلاً. لم اعلم بأن هذه الزيارة كانت مدبّرة ومرسومة الا بعد زمن وبعد أن ارتكبتُ غلطتي الثانية بكتابة رسالةٍ الى السفير السوفيتي اعلمه بما حصل واطلب الاعتذار لمداخلة وزيره المفوضّ في امور لا تخصّ غيرالجريدة والحزب الديمقراطي الكردستاني.

ولم نتبادل انا ودارا توفيق كلمة واحدة حول ماجرى الى الأخير.

بعد حوالي اسبوعين قدم (أدريس البارزاني) الى بغداد. وانفرد بي لإبلاغي بشكوى السفارة السوفيتية مني الى الوالد. قائلاً أنه يرى ان تكتب اعتذاراً لها. لم يكن ادريس يعرف شيئاً عن الحادثة. أو ربما رواها له الشاهد الوحيد فيها وكان علّي ان اقص الحكاية كما وقعتْ

12ـ جريدة النور اصدرتها الجماعة المنشقة عن الحزب في بغداد بعد العام 1966. انتهزت الفرصة من خلال لقاءاتنا المعتادة في ايران فنوهت لابراهيم بالقصة. فانتفض من مكانه وهتف: اقسم بالله وبمقدساتي ان هذا الوزير يكذب. ارسلت سفارته لنا مرّة صكاً بالف دينار فصوّرناه ورددناه لهم. وحاولوا المستحيل للتقرب منا ونشر بعض ادبياتهم فرفضنا.

وتساءلت عن ماذا سيكون إعتذاري؟ اذ لم يصدر منّي اثناء الزيارة تصرف غير لائق وان رسالتي لاتحتوي على اية عبارةٍ ينبو عنها الذوق. قلت هذا وجئت بالرسالة فترجمتها له حرفياً. قلتُ لو ان القضية تتعلق بشخصي لقدمتُ الف اعتذار. الاّ ان الموضوع يتعلق بالمسؤولية التي عُهد بها لي؛ واوضحت بشكل لايدعو الى اللبس بأني مصرّ على ان لايصدر مني أي نوع من الاعتذار. وبينت استعدادي لمواجهة البارزاني. قال لاداعي لذلك ولنر مايقوله حبيب محمد كريم.

رجعت الى مكتبي وفي نفسي من مشاعر الخيبة وألالم الكثير. وجاء (حبيب) وكان يجهل كلّ شيء أيضاً. فقصصت عليه الحكاية مبدياً شكوكي في أن المسالة مدبّرة. وكان موقفه ايجابياً وعلّق بما أشعرني انه يحترم موقفي ثم عرض عليّ صورة الرسالة التي اقترحها أدريس وقال انه سيرسلها بتوقيعه هو. ولم يرد فيها اسمي ولاأشير الى الموضوع إلاّ بوصفه "حادثاً يؤسف له، لن يتكرر في المستقبل ولن يكون له تأثير على مستقبل العلاقات الصميمة ...." وماكان بوسعي ان اعترض فهذا خير مايمكن عمله. وقد جنبني قراراً خطيراً كنتُ نويته.

بعد اسبوع تقريباً من هذا. انبأني مدير مكتب وكالة (تاس) السوفيتية بأنّ الوزير المفوض السوفيتي عينه، قد نقل فجأة من بغداد. معقباً على الحادث بعد سماعه بقوله لاريب أن حرّ الصيف في بغداد قد اثر على وزيرنا"!.

من المواقف المشهودة التي سجّلت "للتآخي" ايام قيامي بمسؤوليتها، المداخلة في كلّ ما من شأنه ان يعكس المشاعر العامة ازاء اجراءات حكوميّة معينة فيها من الاعتساف والتسرّع والحماقة مافيها.

الرابعة:

كانت وجهة نظر قيادة الحزب في بغداد [13] ان نتجنّب استفزاز السلطة بايّ ثمن، وان

13ـ تالفت من خمسة اعضاء للمكتب السياسي اصل سبعةٍ، وهم حبيب محمد كريم، وعلي عبدالله وصالح اليوسفي ونوري شاويس ومحمد محمود عبدالرحمن والثلاثة الأخيرون وزراء يلحق بهم دارا توفيق عضو اللجنة المركزية (بعد انتخابه). [لم يكن لكاتب هذه السطور سهم في هذه التشكيلة] وبسبب تصريح معين لصالح اليوسفي لاانكر تفاصيله اثار استياءً ولم يقع موقع رضى. صدّر الأمر من مقرّ البارزاني بحصر مسؤولية الادلاء بالتصريحات وبالمقابلات الصحفية بمحمد محمود عبدالرحمن، ورُتب ان يكون الناطق الرسمي باسم الحزب والثورة. وانكر في حينه، اني كنتُ قد وعدت الصحافي الشهير (اريك رواو) مراسل لوموند بمقابلةٍ فاعتذرتُ له بسبب ذلك.

تقصر علاقاتها بالحزب الحاكم على المسائل التي تتعلّق بالشؤون الكرديّة فحسب واللجوء الى معالجة المشاكل بالمذكرات والمقابلات الشخصيّة، بعيداً عن انظار الجمهور العراقي، بدعوى الحرص على تنفيذ بنود بيان آذار.

وغنيٌ عن الذكر إن قائمة المواد التي تتضمن استفزازاً للسلطة، لايمكن ان يحددّها أحدٌ غير السلطة نفسها. وبعبارة أخرى كلّ نوع من نقد قد يوجه اليها حول اجراء حكومي أو أمر صادر من مسؤول في الدولة له مساس بالشعب.

حينذاك كان "خيرالله طلفاح" خال الحصان العربي، محافظاً لبغداد وسلطته لا تقف عند الحدود التي يرسمها القانون لامثاله، من الموظفين بل يتعداها بكثير وبفضل ابن الاخت هذا الذي كان يدعي بانه المهندس الاكبر لاتفاقية آذار. صار يمارس ضمن حدود محافظته (بل يتعدّاها احيانا) سلطات تنفيذية وقضائية واشتراعية من دون ان يجرء احدٌ على معارضته او وقفه عند حدّ. ونال سكان العاصمة العراقية من اعتداءاته النصيب الأوفر.

واجترأت "التآخي" على الامساك بخناقه من خلال حادثين كان لمداخلة الجريدة فيهما وقع شَديد وصدى عظيم في اوساط الشعب العراقي وعلى نطاق القطر كافّة.

في وقتها كانت قد انتشرت بين الشبّان "موضة" إرسال شعر الرأس على القذال والصدغين واطالة اللحى تشبها باعضاء فرقة "الخنافس" الموسيقيّة. وهي إن شئت الحقيقة تقليد اعمى، ومنظر ينبو عنه الذوق في نظري. وكذلك عمّت بين الفتيات موضة ارتداء التنّورات "القصيرة التي تكشف عن قدر كبير من الساقين مما يلي الركبتين، لكن تغطيها في اكثر الاحيان العباءة النسائية السوداء.

وخال الحصان وهو المسلم الورع كان يرى ان هاتين الظاهرتين لاتتفقان ومفاهيم الآداب والحشمة الاسلاميّة. فانبرى لمعالجتها بالاسلوب الذي لايعرف غيره اسلوباً. اصدر الأمر لدوائر الأمن والشرطة بتأليف فرق مكافحة لملاحقة الصنّفين. فمن جهة كانت هناك فرق مزوّدة بمقاصيص ضخمة من تلك التي تجزّ بها اصواف الغنم، توزعت شوارع العاصمة تستوقف كلّ من خرج شعر رأسه عن الحدود المرسومة لتقصّ مازاد عن ذلك، وتتم الحلاقة في عرض الشارع امام انظار الرائح والغادي. كان والحق يقال منظراً فريداً يستوقف المارّة - ويصرفهم عن اعمالهم اليومية. مشهد طريف لحلاقة بدائية مجانية اجبارية في الهواء الطلق!!

من جهة أخرى انتشرت فرق أخرى مزودة بفرش غليظة، واوعية مملوءة بصبغ أحمر

(قارنيش). لتستوقف من الفتيات كلّ من شك في لبسه تنورة قصيرة فتفض عباءاتهن لتطلي سيقانهنّ بالصبغة الحمراء!

كان على احدهم ان يضع حَدّاً لهذه المهزلة. فتمثيليات الكرّ والفرّ التي عَمّت شوارع بغداد بين الطرائد والمطاردين. وقد باتت حديث المجالس مالبثت ان انقلبت الى فضيحة اجتماعية عندما راحت وكالات الأنباء العالمية تنقلها الى الخارج مع تعليقات فكهة حادة . (14)

ووجدتُ من واجب "التآخي" الوطني والصحافي ان تضع حَدّاً لهذا التدبير المعيب الاحمق ـ لمعالجة مااعتبر خروجاً عن الذوق العام والحشمة. فخرجتُ بمقال رئيس امْتزجتْ فيه الدّعابةُ بالجِدّ. وعلى الأثر سحبت فِرق الحلاقة والصباغين من شوارع العاصمة.

لكن الأمر لم يقف عند هذا الحَدّ بالنسبة الي موقف الاخوان القياديين وسمعت لأيام تعليقات ساخرة حول إقحام جريدة الحزب في مثل هذه "التوافه" التي تحطّ من قدرها، كما تفسد العلاقات مع الحزب الحاكم. سيّما أنها تحدّت الخال الذّي لايجرأ احدٌ على الوقوف بوجهه ومناقشته حساباً. ولم يفهم ايٌ منهم أن محاولة التصدي لمثل هذه "التوافه" هي تأكيد للمباديء التي قام عليها منهاج الحزب الديمقراطي الكردستاني. وهي من صميم الحريات الديمقراطية التي ناضل الحزب وقامت الثورة من اجلها.

عند طبقات معينة من المواطنين العراقيين، كان مثل هذه الاجراءات يثير في النفوس اشجاناً ويعيد الى الذكر ممارسات الحكومات والحكّام الغابرين في فرض زيٍّ معين على طائفة

---

14 ـاذكر بهذه المناسبة محاولة لفرض زيٍّ معين اقدمت عليها السلطة الثورية المصرية قبلها بخمس عشرة سنة. مالبث ان عدلت عنها بعد ان تبين سخفها ففي العام 1955 اصدر عبدالناصر أمراً بتأليف لجنة لفرض توحيد اللباس القومي، ترأسها وزير الشؤون الاجتماعية وضمّت شخصيات بارزة وممثلين عن العالم الاكاديمي والديني. ومما جاء في تقريرها انها اوصتْ بالالغاء التدريجي للثياب التقليدية الوطنية اي الجلباب الفضفاض (الجلّابية) والعمامة والزبون والمعطف المفتوح (الجبّة) وهذا هو اللباس الرخيص المريح لطبقة العامة. واقترحت اللجنة ان يعطى للمواطن في القاهرة والاسكندرية مهلة ثلاثة اعوام لتغيير زيّه الى الزيّ القريب من الزيّ الغربي اي السترة (الجاكيت) والسروال (البنطلون) والصدار ذي العنق المطبق بدون رباط. وفي خلال تلك المدة يجري تطبيق القرار على سكان القرى والارياف. ان اللجنة لم تتطرق الى لباس المرأة. فهي طبعاً مسألة حساسة ينبغي عدم التورّط في تعقيداتها وما ستجرّه، في حينه كان يصعب عليّ رؤية المنطق في المسألة. ففي جوّ الثورة المصرية القومية الاتجاه كنت اعتقد بان الحكام الثوريين يجب ان يرفضوا اي فكرة او اقتراح بالغاء اللباس القومي.

قوميّة او دينية خاصّة. واقربها الى الذاكرة، القرار الذي اصدرته حكومة العام 1937 بتحريم اعتمار البارزانيين باليشماغ الأحمر"..

وبخلاف اللوم والسخط الذي ناله كاتب السطور حفل بريد الجريدة بعشرات من رسائل التهنئة والثناء على المقال واثره الصاعق وبالنداءات التلفونية العديدة المشيدة بمبادرتها ..

الخامسة:

المواجهة الاخيرة كانت بمناسبة حلول شهر رمضان.

فقد صدر بيان حكومي فرضت فيه قيود مشددة خارقة للعادة على الافطار العلني من مقتضاها ومما ادّت اليه، اغلاق المحلاّت العامة واماكن بيع المأكولات بما في ذلك المطاعم والمقاهي والمخازن، اغلاقاً تاماً، في كل انحاء العراق. وبدت بغداد اثر ذلك مدينة أشباح.

كانت هناك الوف من المواطنين يتقاطرون من انحاء كردستان الى العاصمة لتعقيب قضاياهم المعلقة في الدوائر الحكوميّة؛ بعد عودة السلاّم هم معذورون شرعاً لكنهم لايعرفون اين يتوجهون لسد رمقهم وارواء عطشهم والفنادق لاتستطيع ان تقدم لهم ذلك بحكم البيان.

بعد تفكيرٍ طويل ولعلمي الذي لايعتريه شك بأن الاجراءات المتخذة هي ليست من الدين الحنيف في شيء. وان مايدفع الحكام الى فرض هذه القيود متأتٍ على الاغلب من تظاهر حكم البعث بالتقي والحرص على شعائر الدين وصونها. ولاشك سيكون أجر الصائم أعظم بوجوده بين مفطرين.

وخرجت "التآخي" في اليوم الثاني بمقال جانبي رزين استندت فيه الى اقوال الائمة الكبار والفقهاء والمشهود لهم بالعلم والاطلاع في امور الدين. وضمنت المقال التذكير بالمبتدع الأول لهذه السنّة عبدالسلام عارف . وفي اعتقادي انّ انفراج الشدّة كان يعُود بالدرجة الأولى الى اقران هذا الاسم الكريه عند البعث الحاكم بالبيان.

ففي اليوم الثالث من رمضان صدر بيان جديد شبيه بالبيانات التي كانت تصدر في ايام (قاسم) والعهد الملكي الغى كلّ القيود الشديدة التي فرضها البيان الأول.

وقوبلت خطوة "التآخي" بمزيد من الاطراء وكسبت شعبيّة لم تنلها جريدة عراقية سبقتها او لحقت بها. واكّدَ لي احد الإقتصاديين ان الاسطر القلائل التي احتواها المقال وفّرت للدخل القوميّ عشرات الملايين من الدنانير.

وكمثل صاحبه الأسبق لم تقع "مداخلة التآخي" موقعاً حسناً من بعض الرفاق. واذا كان

قد اثار استياءهم فلاشك في انه اثار استياءً اعظم عند السلطة البعثية.

كنت اطرحت جانب الحذر معتمداً على ما اظهرته لي قيادة الحزب من التفات واحترام- بعضه نشأ من حرصي على الابتعاد عن التكتلات والصراعُ الداخلي فيما بين اعضائها. وبعضها من النصر الذي حققته الحزب تاريخياً، بفرض نفسه على حكم توتاليتاري غشوم. ثم ان اموري العائلية اشغلتني عن اتخاذ قرار العودة الى مزاولة المهنة قبل البت في موضوع استقدام زوجتي من لبنان. اشغلني كل هذا عن المؤامرة الصغيرة الرامية الى ازاحتي، والقائي في سلة قمامة الحزب.

كان من الممكن مثلاً ان يتمّ ذلك بكتابٍ مقتضبٍ يوقعه سكرتير المكتب السياسي ويبدأ بالعبارة الغامضة "اقتضت مصلحة الحزب.." أو شبيه بها؟ كان ذلك صعباً والمؤتمرون بي يعرفون ذلك. فالجريدة بخير، والاقبال عليها يتزايد بصورة مطردة. وهي تلقى احتراماً لا من الداخل وحده، بل كان لها مقامها في الإعلام الخارجي، وكثيراً مانقلت الصحف العالمية عنها. وهم يعرفون اني لن اتقبل الأمر بصمتٍ وقد تثار ضجة. فالكل يعلم من هو رئيس التحرير الفعلي ومن هو وراء سياسة "التآخي" اذن فلابد، من تدبيرٍ آخر.

**** **** ****

ذات يوم لاحظت موظفاً في الجريدة يدور على المكاتب والغرف وبيده ورقة يدوّن فيها احصاءات للاثاث والموجودات. سألته عمن أمر بذلك وما هو الغرض فقال ان (علي عبدالله) اوعز له بالجرد بعد تدقيق سندات الشراء، وبعد قليل جاءني علي عبدالله، وياسلوبه المؤدب الرقيق اوضح لي بأنه اكتشف نقصاناً في الاثاث قد تبلغ قيمته 185 ديناراً او نحوها. وانه سيقدم تقريره المالي الى المكتب السياسيّ فكيف يمكن تلافي الأمر؟ أجبت. تعلم اني مسؤولٌ عن كلّ نقصانٍ او تلف او تلاعب. فالمبالغ هي منّي والصرف كان بأمري ولئلا يكون هناك شبهة فسأكتب لك الآن تعهداً بهذه المسؤولية. لأن المحاسبة ستكون معي اولاً وأخراً. فبان عليه الرضا وقمت بكتابة الورقة ووقعتها وسلمتها له وكليّ عجب.

بعد عودتي من لبنان كان نبأ اقالتي او قل "طردي" شائعاً، وعلي عبدالله في السليمانية محافظاً يزاول مهام منصبه. عندما التقيت (حبيباً) اسرع فأخرج من الدرج مظروفاً وسلمه لي. كان فيه ورقة ببضع اسطر مذيّلة بتوقيع "الدكتور محمود عثمان: عن المكتب السياسي".

وهذا ماجاء فيها :"بناء على حصول بعض المشاكل الخاصة بالصرف في جريدة التآخي.

فقد قررّ المكتب السياسي اعفاكم من المسؤولية فيها. ونسبّ امر ترشيحكم عضوا في مجلس الشعب ... الخ ..الخ..."

لم يكن بي حاجة الى سؤاله عن السبب في تذييل كتاب الطرد بتوقيع محمود عثمان بدل توقيعه هو بوصفه سكرتيراً للمكتب السياسي وصاحب الامتياز. ورثيت للاثنين ولضعف النفوس لكني سألت (حبيباً)

ـ ماهذه "المشاكل" التي أشار اليها كتاب الدكتور محمود التي استدعت الى نزع المسؤولية عنّي؟

فسكت ولم يجب. فابتسمتُ وقلت مستطرداً.

ـ أنت حقوقي. وتعلم جيداً أنّ ذكر اي شيء يتضمن اسناد تهمةٍ اليّ دون أساس هو جريمة قذفٍ يعاقب عليها القانون. ألم تجد لجنتك المركزية ومكتبك السياسي اسلوباً آخر غير هذا الاسلوب الحقير للتخلص منيّ؟ [لم اذكرّه بأنه مدين لي بمسؤوليته في الجريدة].

ولم ينبس بحرفٍ فاسترسلت:

ـ ايّ صلاحية هذه، تملكها قيادة الحزب لمساطتي ولا اقول لمحاسبتي عن وجود صرفٍ من مبالغ لاعلاقة له بها ولم يسلمني فلساً واحداً منها؟ ثم كيف يتخذ قرارٌ كهذا ضدّ عضو حزبي في غيابه ومن غير استدعائه وسماع اقواله كما يقضي به نظام الحزب الداخلي؟.

وبدا مصرّاً على ان لاينطق بحرفٍ. فاشفقت عليه. لقد لقي من الإذلال هو نفسه مافيه الكفاية. وها هو الآن يرغم على التعامل مع رئيس تحرير جديد بديلٍ؛ لايكنّ له ذرة من الاحترام ولايطيقه واهذا اسباب لاداع لذكرها وليس باهمها انه كان من الموقعين على قرار رفض طلب انضواء (دارا) الى الحزب.

لقد فقد (حبيب) كلّ مقاومة وبات وشغله الشاغل ان يحافظ على ماتبقى له من كرامة يحتمها عليه مركزه الحزبي الرسمي. ولعله لايهجس الان بوقع الاهانة والاذلال على شخصٍ آخرٍ ولايدرك أثره في نفسه فقد توجّه اليّ فجأة قائلاً

ـ سيأتيك (دارا توفيق) طالباً عونك في الجريدة. فأرفض ولنر كيف يستطيع ان يقوم بالعمل؟ اجبتُ :ان قلتَ ام لم تقلّ فلا شأن لي بالجريدة بعد اليوم.

وقد صح كلامه: زارني (دارا) في منزلي عصراً وقدم عرضه، بالتمهيد الغريب الصريح التالي قال:

ـ تعلم اني لم اتولَّ حتى الآن اية مسؤولية ولا ظفرتُ بوظيفة. في حين اني بذلت في سبيل انجاح المفاوضات مالم يبذله احد. اريد ان نتعاون في الجريدة وكان شيئاً لم يحصل. وقد شكلت لجنة تحرير سداسيّة. وانت فيها الممثل الحزبي"

ثم وصف لي الحماسة التي لقي ترشيحه لرئاسة التحرير ومما قاله لي انه ملامصطفى رفع اصبعين بدلاً من واحدة تأييداً لاختياره اثناء التصويت.

*** **** ***

مابقي من الحكاية قد لايكون هاماً اذ غلبت عليه الصفة الشخصيّة. لكن لابُدّ لكل حكايةٍ من خاتمة. ومن عادة المحامين ان يستنفذوا كلّ الطرق القانونية في اية قضية مهما كان حظ النجاح فيها ضئيلاً او معدوماً. فبعد ان قررتُ العودة الى ممارسة مهنتي ـ رحلتُ الى مقر الثورة في محاولة لمعرفة رأي البارزاني وموقفه من الأمر. جلست معه وبدأت اسرد له قصة الاثاث، وسرعان ماتبين لي بأنه لايدري شيئاً عنها فقد استرسل واسهب في حديث حول العلاقة السيئة مع السلطة كاشفاً عن خيبة أمل في اتفاق آذار ثم قال ساكتب إلى حبيب ليقوم بالتحقيق في المسألة ـ اهذا ماتريد؟

بقيت الى هذا اليوم أجهل كيف قدّم علي عبدالله "التهمة ضدي ومن سخرةً وكُيف قبلتْ ـ طبعاً برفع الأيدي اي التصويت ولم ير الجماعة حاجة الى سماع اقوالي ولم اسأل عمّا جرى ولاذ الجميع بالصمت ولذتُ معهم بالصمت مطبّقاً القول المأثور عظّموا انفسكم بالتفاهل.

عند عودتي اتصل بي أحد المسؤولين في السلطة، وعرضَ ليّ اقتراحاً معيناً ادركت منه مقدار صحة الشائعات التي كانت تدور حول اعضاءٍ في اللجنة المركزية للپارتي ـ بخصوص صلاتهم المشبوهة مع النظام. وكم نجحت السلطة في تجنيدهم، والى ايّ مدى تغلغلت في جسم الحزب الديمقراطي الكردستاني. كان رجال السلطة على معرفة تامّة بكل مرحلةٍ من المراحل التي اتخذت لابعادي عن التآخي وقد خيل لهم أن ذلك سيدفعني الى الابتعاد عن الحزب او الخروج عليه لكن الاحداث تعاقبت بشكل روائي وجرت الأمور خلاف ماقدرت لنفسي ففي يوم 29 ايلول 1971 اي بعد بضعة اسابيع من اقالتي جرت محاولة اغتيال ملامصطفى في حاجي عمران تلك المحاولة التي عرفت بمؤامرة العلماء. وكان نجاحها هو الصفحة الأولى من خطة شاملة "للحلّ النهائي" للقضية الكردية بالقضاء على الثورة والحزب.

وكانت حياتي في ساعات قلائل معلّقة بنجاة البارزاني. فنجا ونجوتُ.

ففي صبيحة اليوم التالي للمؤامرة، جرى اختطافي وانا سائر في احد ازقة مدينة المنصور على قيد خطوات من منزلي واودعتُ غرفة صغيرة في قصر النهاية مقفلة ليلاً ونهاراً. انام على بطانية واوسد رأسي على حذائي بعد لفهُ بسترتي واسمع أناء الليل واطراف النهار آهات المعذبين وصراخهم ودقات المسامير في النعوش، تابى إلاّ ان تعلو على موسيقى صاخبة رتيبة يقصد بها كتم تلك الاصوات. ومن كلّ ماحزرتُ وحدست أنّ السلطة لم تكن تصدق لفترةٍ اذاعة نبأ نجاة البارزاني، والمنطق والظواهر كانت كلّها تشير الى نية تصفيتي جسدياً حال نجاح مؤامرة الاغتيال.

وتشاء الصدف وحدها ان يشاهد عملية اختطافي عضو حزبي يعرفني فأسرع الى مقر الفرع الخامس ينبئهم بالأمر وزودهم برقم السيارة التي اختطفتني ونوعها. ولم يكتف بل رحل الى مقر البارزاني وانبأ ادريس ومسعوداً[15].

وارسل البارزاني يطلبني بعد اخلاء سبيلي وأبلغني (عزيز عقراوي) بذلك ورحلنا معاً. وشاهدني البارزاني فور وصولي وقد نقص وزني ثلاثة عشر كيلو. فنطق بعبارة لن اذكرها هنا، اذ كُنّا وحدنا ولاشاهد لي يدعم قولي في نقلها.

لم اكن أعتبر علي عبدالله في هذه القضية اكثر من أداة مسخّرة استخدمها الراغبون في الاستغناء عني فـ (علي) انسان أليف، مؤدب ماعهدتُ فيه قابلية أو رغبة في نسج الفخاخ للآخرين كما أنه. لُقّن درس العمر من اسابيع الإعتقال الذي كسبه بسبب انحيازه الى الطرف الخاسر في انشقاق 1964. فاصبح حريصاً على ان يكون مع الطرف المستظهِر. وادرك الحكمة في انه ليس من الحصافة بمكان ان يطوّح المرء في ساعة واحدة بما كسبه في سنوات نضال طويلة مضنية.

لم اكن طوال الفترة مهتماً بمعرفة الضالعين الرئيسين في عملية إزاحتي وخلّفتُ ماجرى في اوراق دوّنتها وثم حاولت نسيانها ونسيان مدبريها. لكن أخبرني (السيد ايوب البارزاني) في صيف العام 1977 انه ذكر اسمي لمحمد محمود عبدالرحمن (سامي) في لندن اثناء ماكان هذا يدير مكتب القيادة المؤقتة للحزب الديمقراطي الكردستاني وانا انقل هنا ماكتبه لي

15ـ انباني الصديق الوفي والشخصية الكردية المعروفة [علي كمال] انه كان حيننذاك في زيارة لمقرّ الثورة، وقتما انبيء [ادريس البارزاني] بأمر اختطافي وايداعي قصر النهاية وقال لي انه ضرب كفاً بكف متألماً وقال «قتلوه!».

حرفياً. قال ايوب البارزاني (لسامي) لماذا لاتستفيدون من مواهب الاستاذ جرجيس خاصة وانكم تشكون نقصاً في الكادر القدير في حقل الكتابة والاعلام؟"

قال ايوب : (تترفز) سامي كثيراً من هذا الاقتراح وقال لي لايمكن الاعتماد عليه وانا اعرفه، تصوّر انه سرق جميع (قنفات) المقرّ في بغداد ونقلها الى بيته.!!

قال ايوب: فأجبته لابُدّ وان تكون هذه السرقة مكشوفة. فمن غير الممكن سرقة القنفات (المقاعد الكبيرة) من دون ان يراه أحد. لماذا لم يُعترض سبيله؟

ويضيف ايوب معلّقاً: انه كان يخشى كثيراً ان تبقى في لندن لاجئاً سياسياً وكان يكره ذلك.

واتضح لي كلّ شيء.

ومَرّت سنتان، بعدها اكتشف ادريس البارزاني خلالهما غلطته الكبرى في الركون إلى محور سامي - دارا. وقبلها لم يكن يطيق سماع اسم الأخير منهما ولم يظفر اختفائه المفاجيء ومقتله بيد البعث بكلمة ترحم واحدة فقد اعتبر ادريس عودة دارا الى احضان النظام اهانة وخيانة شخصية لثقته الكبيرة التي اودعها فيه.[16] في حين ادرك في العام 1977 ان هدف الأول منهما هو منازعة آل البارزاني القيادة بمحاولته السيطرة على مؤتمر الحزب التاسع المعقود في ايران، فلم يجد سامي بداً من الانسحاب والخروج من الحزب وبها كانت نهاية القيادة المؤقتة.

بعد ايام قلائل من هذا الخلاف انتشر نبأ بانّ الحرس الثوري الايراني القى القبض عليه وزجّه في السجن. وسرت اشاعة بان لادريس ومسعوداً يداً فيها. اشاعة استمدت قوتها من واقع الخلاف ولم يكن لها من اساس فقد اطلعني ادريس على المذكرة التي كتبها للسلطة بشأنه وعن محاولات التوسّط العديدة التي قام بها الاثنان للافراج عنه.

كان اعتقاله واحداً من آلاف الاعمال الفوضوية الاعتباطية التي شاعت في تلك البلاد بعد

---

16 ـ انباني ابنه الوحيد (دلير) ان اختطافه جرى في يوم (6) تشرين الثاني 1980 . قال فقد تركه صباحاً بباب مدرسته وانطلق الى دائرته (وكان في حينه مديراً للنقل النهري) ولم يعد الى المنزل وانقطعت اخباره. ولاشك في ان نهايته رحمه الله كانت مثل نهاية افراد اسرة المشيخة البارزانية الثلاثة والثلاثين وغيرهم من الذين لجأوا الى النظام بعد العام 1975 . وجدت دارا من النابهين الاذكياء وعددته حينا صديقاً يوثق به رغم اختلاف طريقينا. راح ضحيّة إيمانه التام بالحكّام البعثيين الى جانب طموح سياسيّ غلاب فيه. [راجع الفصل السادس].

الانقلاب الاسلامي. وعلى الاغلب نتيجة وشاية ظالمة ان حياة الانسان في تلك الظروف لم تكن تسوى فلساً واحداً.

في مساء اليوم طرق باب منزلي في كرج السيد (احمد الملا حسين المارونسي) [17] وهو من اقرباء (سامي) كان في غاية من الإضطراب والقلق، وابتدرني قائلاً: "حياة (سامي) في خطر وقد يعدمونه بين لحظة واخرى" وطلب مني ملحفاً القيام بمحاولة لحمل الأمم المتحدة على التدخل في امره [18] واسرع يقول ان عامل الوقت مهم فطيبت خاطره، وجلست الى مكتبي لاكتب مذكرةً انهيت ضربها على الآلة الكاتبة والساعة تؤذن الرابعة صباحاً. بالغت فيها ماوسعتني المبالغة بوصف الخطر الذي يحدق بحياته وبأهميته الكبيرة للقضية الكردية وضمنتها كل مايثير الاهتمام بالمسألة. وقصدت دائرة الـ U.N.D.P ورئيسها (الزهيري) صديقٌ. شرحت له الأمر وقدمت المذكرة، فاتصل بمقرّ الامم المتحدة في جنيف فاذنوا له بمقابلة وزير الخارجية الايراني، بخصوصه.

وعرجتُ على السفارة البريطانية وقدمتُ نسخة أخرى من المذكرة. لأن (سامي) كان لاجئاً سياسياً في بريطانيا آنذاك.

بعد يومين او ثلاثة. اتصل بي (سامي) تلفونياً وقد اطلق سراحه. وراح يشكرني على مابذلته من مجهودٍ معتذراً عن المجيء بشخصه ومؤكداً بأنّ قريبه هذا ابلغه بما فعلتُ في سبيله وقال انه يهمّ بمغادرة ايران بعد قليل. فتمنيت له الخير والموفقية (كان مصدر عجبي استخدامه اللغة الانكليزية في المكالمة!).

اظنني فعلت شيئاً جيداً. فليس هناك غاية اسمى من ابتغاء رضا النفس.

اعيد القول للمرّة الأخيرة مؤكدا: لم يكن احدٌ من افراد قيادة الحزب يضمر لي سوءً. بل كان بعضهم يقدرّ جهاراً مجهوداتي في مجال انجاز مسؤولياتي الكثيرة المتراكمة قبل بيان آذار وفي اثناء الثورة لم يُرفض اي اقتراح لي، بل كان يحظى بالتشجيع والمساندة. ولولا هذا لما اودع لي اخطر مسؤوليةٍ فيها وهي توجيه لسان الحزب سياسياً ومنهجياً.

17ـ هو الآن لاجيء يسكن في السويد.

18ـ في حينه كثرت الفرضيّات في أسباب اعتقاله ومثلما بقي ذلك مجهولاً وموضع حدس وتخمين كذلك بقي مجهولاً الجهة التي كان لها الفضل في اخلاء سبيله. بعد سنتين ونيفٌ طلب (سامي) اللجوء الى ايران وحرية النشاط السياسي فيها. فلجيب طلبه، وكان في سورية.

وكل مافي الأمر ان النظرة تبدلت بعد بيان آذار ورجعت عقارب الساعة بدورة كاملة الى الخلف. عندما تبين لعدد من اعضاء القيادة المسيطر بأن الخطّ الذي تسير عليه التآخي يتعارض مع طموحاتهم الفردية واهدافهم الشخصية ويسيء الى علاقات فردية حرصوا أن تبقى وثيقة وطيبة مع الحكام البعثيين وجهات خارجية واحزاب سياسية محلية. وسواء أخدمتْ هذه الطموحات أماني الشعب الكردي او اتفقت مع شعارات الحزب واهدافه أم لم تتسق. فشعبهم وكثير منه - وهم يعرفون ذلك - مستعدّ للتضحية والبذل في الحالين.

هەوالنامەی کتێب

الفصل السادس

مدينة كركوك. النزاع حول تكوينها الإثني ومحاولة تعريبها

[في حينه شجعّني موقف البارزاني من كركوك على كتابة بحث تاريخي ـ اثنوغرافي ـ اداري حولها. ففعلتُ وكان ذلك في اوائل العام 1973 . ووقع البحث على ماذكر في حدود 35 ـ 40 صحيفة فولسكاب مضروبة على الآلة الكاتبة لم تسمح ظروفي الخاصّة انذاك فضلاً عن احوال الثورة وعلاقاتها المتردية مع النظام ـ بطبع هذه الرسالة. لاسيّما بعد أن اصبحت قضية دخول المدينة ضمن حدود منطقة الحكم الذاتي، قضية ثانوية؛ ودفعت او كانت تحت انقاض بيان آذار. على اني انتهزت فرصة زيارة ممثل الثورة في المانيا السيد طارق عقراوي ودفعت بالبحث له بعد ان تعهد شخصياً بطبعه وتوزيعه. لكنه لم يفعل وفقدت صلتي به. مثلما فقدتُ النسخة الوحيدة الباقية. وسأحاول هنا الاستنجاد بذاكرتي وما تعيه مما كتبت لتدوين ماأراه قميناً بالتدوين مستعيناً ببعض المراجع اليسيرة جداً في حوزتي].

ان التلّ الذي يشاهده القادم الى المدينة عن بعد هو مثل قلعة أربيل من عمل البشر لامن عمل الطبيعة، وهو بلا جدال مكوّن من عدة طبقات سكنيّة كلّ طبقة تمثّل حقيقة تاريخية

وسكنى قوم من الاقوام. تلّ مستطيل يرتفع بحوالي سبعين متراً عما يجاوره. اثبت التحريات الاركيولوجيّة قطعاً بانه كان في الالف الثاني قبل الميلاد، مدينةً تعرف باسم أرافًا او ارابخا Arrapkha, Arrapha[1] ولاتفيدنا دائرة المعارف الاسلامية ولا الانسكلوبيديا البريطانية الكبرى بايّ شيء حول تاريخ واصول سكان تلك المدينة التي تجدها فيها باسم (كركوك).

أن الرقّم التي كشفتها الطبيعة للمؤرخين والاركيولوجيين في 1922و 1923[2] اكّدت قدم المدينة الى جانب اسمها التاريخيّ الأول وبانها كانت ضمن الامبراطورية الاشورية ثمّ البابليّة، وانها وقعت بيد الماديين. بعد القضاء على حكم الآشوريين.

والظاهر هو ان الخمول ضرب حصاراً على هذه القلعة ـ المدينة بعد سقوطها بيد الماديين فلم يعد لها شان يذكر. حتى ان هيرودتس (484ـ 425) ق. م لم يفطن لها رغم انه ذكر في تاريخه تلك النار الازلية التي تنبعث من جوف الأرض ولاتنطفيء كما ذكر شيئاً عن آبار نفط ضحلة يستخرج منها الأهلون المجاورون لها مادة وقودهم بمجرد الحفر بادوات بدائية، واطلق

---

1 . في اواخر العهد الملكي اطلقت بلدية كركوك اسم (ارافا) على حيّ العمّال الجديد لشركة النفط تخليداً لهذا الاسم التاريخي تداولت العامة هذا الاسم بالتخاطب محولًا الى "عرفه".

2 . حصل في زمن مابين العامين المذكورين أن انهار جزءٌ من التلّ اثر هطول امطار غزيرة، جرفت سيولها التراب ومعه عدداً من الرقم الآجرية وعليها كتابات مسمارية. وقد انتبهت دائرة الآثار الجديدة التي اسستها في بغداد (كرترود بل) ولكن لم يكن بالامكان الشروع في عملية تنقيب دون تعريض المنازل القائمة على الطرف المنهار إلى السقوط. مع هذا توالت المكتشفات من الالواح والرقم المسمارية لاسيما في قرية (ته ركه لان) التي تقع على بعد 14 كيلومتراً غرب كركوك. وبعدها وفدت البعثات الاركيولوجيّة الاميريكية وحصلت هي وغيرها من المتاحف على آلاف من الرقم المسماريّ فتحت به باباً مثيراً لدراسات تاريخية القت ضوءً على حقبة غامضة من التاريخ القديم بمركزه في كركوك. والى جانب التأكد من اسم المدينة. فقد عرف بانها كانت جزءً من بلاد الكاشيين (اجداد الكرد عند بعض المؤرخين). وبحوزة ملوكهم الذين استولوا على بابل وحكموها في حدود 1600ق. م. وعرف ايضاً انها في حدود العام 1400ق. م وقعت بيد الآشوريين. وبقيت بيدهم حتى بداية الحروب التي كانت بها نهاية الامبراطورية الآشورية وقد كان لها دورها في تلك الاحداث. ففي بادي، الأمر حاصرها نبوبولاصر فامتنعت عنه وتركها في 616 ق. م. وفي السنة التالية بالضبط في 6 من آذار ـ شباط 615 ق.م نشبت بالقرب منها معركة كبيرة بين الآشوريين والبابليين من غير طائل. الأ ان، كيخسرو الماديّ باغت حاميتها الآشورية في614 فاستسلمت بعد حصارٍ طويل. وكان سقوطها نقطة تحولٍ كبرى مهدت للماديين سبيل القضاء على دولة آشور.

عليها السلوقيون [3] اسم كرك سلوك = اي قلعة سلوقس او مدينة سلوقس. وهي بالسريانية كما اثبتتها المدونات: كرخاي دبيث سلوقس وكانت بهذا الاسم طوال حكم السلوقيين ثم الفرثيين (البارثيين) من بعدهم ولم يعمد مؤسس الاسرة الساسانية الى استبداله رغمَ وَلَعه الشديد باطلاق اسمه على كثير من المدن في بلاد الرافدين عندما انهى في 224م الحكم الفرثي.

من الثابت ان المدينة كانت مركزاً لكورة او اقليم عرف في المآثر السريانية باسم بيث كرماي، او كرميك، او باجرمى وظلّ محتفظاً بهذا الاسم خلال الحكومات العربية المتوالية بعد الفتح الاسلامي. وهو مع المدينة كان من اعمال اقليم اربيل (هه ولير - حدياب - اديابين) المسمّى بـ(الشيرجانْ) عند الساسانيين واعرب وقد بقيت كركوك خلال سبعة قرونٍ مركزاً هاماً للنساطرة المسيحيين [4] وجاء ذكر رؤساء اساقفتها في عدة مجامع كنسية مسكونيّة عقدتها تلك الكنيسة. بيطريركيتها في بابل (سلوقية قطسيفون).

في القرون الاربعة التالية للفتوح العربيّة لانجد للمدينة ذكراً عند الرحالة والسيّاح والمؤرخين العرب. إلاّ انّ ياقوت الحموي في (البلدان) يذكرها قطعاً تحت مادة (الكرخيني) وهذا على مايبدو اسمها الشائع في القرن الثاني عشر. ولايبقي وصف ياقوت لها شكاً في انها كركوك الحالية [5].

---

3 - كانت ايران وما وراء النهر والعراق وجزء من سوريا - من نصيب القائد اليوناني سلُوقُس نيقاطور [305 ق. م] ودام حكم سلالته في ميسوبوتاميا حتى 226 ق. م وانتهى بسيادة الفرثيّين الذين حكموا البلاد أربعة قرون وقضى عليهم اردشير مؤسس الدولة الساسانية.

4 - مازالت كركوك كرسيّاً لرئيس اساقفة كلداني (وريث الكرسي النسطوري). وقد ظلّت المدينة تفتخر بأقدم كنيسة في العالم. بنيت في النصف الثاني من القرن الخامس الميلادي وكانت تعرف بـ (بيعة الشهداء) تخليداً لذكرى شهداء اضطهاد الملك الساساني يزدگرد الثاني (438 - 457). كان الاتراك العثمانيون في 1918 قد اختزنوا فيها عتادهم وذخيرتهم. فعمدوا الى نسفها قبيل انسحابهم من المدينة عند اقتراب القوات البريطانية وكان تدميرها كاملاً..

5 - ياقوت الحموي [1179 - 1229] .ج 4ص 450 . يحيرني حقاً كيف غفل المستشرق الكبير (سترانج) عن هذا. بصراحة نفيه أن يكون ياقوت قد ذكرها [انظر ص121 - الحاشية. من الترجمة العربيّة لكتابه المرجعي "بلدان الخلافة الشرقية" بقلم كوركيس عواد وبشير فرنسيس. ط . بغداد 1945] ولا كيف غاب ذلك عن الاستاذ عواد خاصةً فلم يحاول التدقيق والبحث في رؤية المؤلف!

"وهي قلعة في وطاءٍ من الأرض حسنة حصينة بين دقوقا (طاووق) واربيل. رأيتُها. وهي على تلٍّ عالٍ ولها رُبَضٌ صغير".

ولايرد ذكر للمدينة عند حمدالله المستوفي (1281ـ 1349) [6] .

على ان المصادر السريانية تشير الى المذبحة التي أوقعها تيمورلنك بسكانها المسيحيين. ومما لاشكّ ان المائة والخمسين الفاً وهو عدد الضحايا الذي اوردته تلك المصادر ووصفت الهرم الذي عمله الفاتح الدموي من الرؤوس والجماجم ـ هو من خيال المؤلفين ويدافع من حميتهم الدينية وأمر يخرج عن دائرة العقل والمنطق. فما من شك في ان غالبية سكان المدينة الساحقة كانوا من المسلمين آنذاك وفي بلدان الشرق الأوسط لاسيما العراق ندر أن وجدتُ مدينة كبيرة او شهيرة ـ يبلغ عدد سكانها هذا الرقم او يكاد فما بالك بالمسحيين فيها؟ على أن ذلك يثبت على الأقل رسوخ قدم المسيحية فيها.

ويرد ذكر (كركوك) في كتاب (علي اليزدي) الموسوم (ظفر نامه) وهو تاريخ فتوحات تيمورلنك. [7] .

كانت كركوك وإقطاعها من املاك دولتي القره قويونلو والآق قويونلو التركمانيتين على التوالي [1338ـ 1534] خلا الفترة القصيرة لاجتياح تيمورلنك. ومما ذكره المؤرخون عنها في عهديهما ان [شاه رخ قره يوسف] رئيس الدولة الأولى سكن كركوك وتوفى فيها. و(الغياثي) في تاريخه (حوالي 1528) [8] يثبتها بالإسم الذي نعرفه لها اليوم، ويذكر انها مع منطقتها كانت (اولكه = اقطاعية) للأمير اسكندر ابن قره يوسف وان هذا الأمير قتل بعد حروب سجال بيد اخيه.

---

6 ـ كتابه تاريخ گزيدة = زبدة التاريخ. له ترجمة عربيّة لم اطلع عليها. لم يذكر كركوك وانما ذكر داقوق (طاووق ـ دى كوك) وقال انها بالقرب من عيون نفط. فيبدو الحالة هذه ان كركوك كانت آنذاك اصغر واقل اهمية من داقوق.

7 ـ له ترجمة فرنسية (1722) عنوانها L´Histoire de Timur Bec ج 1 : ص 660 ذكر اليزدي (1390 ؟) استيلاء تيمورلنك عليها وقال انها تقع بالقرب من داقوق.

8 ـ عباس العزاوي [العراق بين احتلالين ج3 ص262 وما بعدها] عن تاريخ الغياثي وكاتب چلبي [تحفة الكبار في اسفار البحار]. والاسم الحديث انما هو اختصار وادغام للتسمية المعروفة لها منذ العهد السلوقي « كركْ سِلوك» بقلب الكاف الى خاء نطقاً. ولم نجد مرجعاً قبل هذا يذكرها باسم كركوك.

ويتفق المؤرخون الذين كتبوا عن هذه الفترة على انّ الشاه (طهماسب) الذي افتتحها في العام 1529 منح برآتها اي التصرف بأمورها صوفية الكلهور الكرد، وانه رغم تقلب ايدي العثمانيين والفرس عليها فقد بقيت بتصرفهم حتى العام عندما ضمت نهائياً الى املاك ادولة العثمانية على عهد السلطان مراد الرابع. (9)

*** *** ***

والتاريخ منذ أن شَرع روّاده في تدوينه على الصخر أو الطين، أو الرّق كان يميل دائماً إلى تسجيل المعارك التي يخوضها الملوك والصفقات الدبلوماسية التي يعقدونها. فهذان تقريباً كانا مجال مؤرخي القرون السابقة لعصر النهضة الاوروبية الحديثة. وقد لازمتا الى وقتٍ متأخر جداً مؤرخي بلدان الشرق الأوسط. كانت الأسر الحاكمة والملوك يكلفون موظفيهم أو كتّابهم، وملتمسي الحظوة عندهم تسجيل مايحسن في عينهم تسجيلهُ - في العادة، فهم بين قارع طبل ونافخ في بوق، وكان علينا ان نرهف السمع وننعم النظر ونتلمس السبيل بين الركام الهائل من قصص البطولات ووقائع الحروب لنصل الى مادة التاريخ الاجتماعيّ الاساسيّة، وهي قبلة المؤرخ العصري، وهدفه.

والتكوين الطبقي والعنصري لمجتمع ما، هو ركن أساسٌ من هذا التاريخ. والمجتمع الذي نقصده هنا هو مدينة كركوك وقد باتت معرفة تكوينها السكاني العنصري أمراً من الخطورة بمكان إثر بيان أذار 1970 .

لم يكن هناك ايّ اشكال في هوية كركوك الاثنية قبل قيام ضباط الرابع عشر من تموز بانقلابهم او بثورتهم إن شئت. فكركوك مثل غيرها من مدن بلاد الرافدين العريقة في

---

9 - في العام 1555 دخلت كركوك ضمن املاك العثمانيين رسمياً. الاّ ان القزلباشية الايرانيين عادوا لاحتلالها مؤقتاً مرتين اولاها بين 1623 - 1630 وثانيتها على عهد نادر شاه 1743 - 1746 الذي القى الحصار ثمانية ايام عليها وفتحها، وبقيت بيد العثمانيين حتى نهاية الحرب العالمية الاولى. وفي القرن الثامن عشر كانت مركز (ايالة) شهرزور، ويدخل فيها محافظات كركوك واربيل وسليمانية الحالية تقريباً ويحكمها (متسلّم) يعينه والي بغداد. الاّ ان مدحت باشا والي بغداد اطلق اسم سنجق (متصرفية) كركوك على ما يُطابق محافظتي اربيل وكركوك الحاليتين. في حين ارتبطت شهرزور التاريخية بسنجق السليمانية المستحدث. وضمّ الجميع الى ولاية الموصل المستحدثة في 1879.

الحضارة والقِدم، سكنتها اقوام يتعذر احصاؤها وجرت على اديمها حروب ومعارك وتداولتها ايدي الفاتحين وخلّف كلّ فاتح وغازٍ منهم بصماته فيها، وقد يكون من قبيل التكرار المُمِل أن نستعرض اسماء تلك الاقوام التي سكنت المدينة على التوالي، فما اوردته من مختصر لتاريخها يكفي ويُغني.

لكن، علينا ان نذكر بأن كركوك اعتبرت نفسها خارج حدود المملكة العراقية منذ العام 1918 ، فلم يرتفع العلم العراقي على ساريات بناياتها طوال خمس سنين. واللغتان الدارجتان فيها الكردية والتركية والسكان هم كرد وترك واقلية مسيحية ويهودية.

ولم تتبدل الحال طوال تسعة قرون، الى حين بدأت عملية الحكام البعثيين المبرمجة لتعريب المدينة منذ العام 1963 فصاعداً.

ذكر المؤرخ التركي العلاّمة الشهير شمس الدين سامي (10)

« مدينة كركوك هي مركز المعروف بشهرزور وهو من تبعة ولاية الموصل في كردستان. ثلاثة ارباع سكانها من الكرد وربعها الآخر من الاتراك وبعض العرب والاقليات الأخرى».

وقال ادموندز عنها: (11)

« يبلغ عدد سكانها زمن كتابة السطور خمسة وعشرين الفاً. ربعهم من الكرد والبقية تركمان وعرب ونصارى ويهود».

واثبت احصاء العام 1947 السكاني العام عدد قاطنيها بما لايزيد عن تسعة وستين الفاً. وقد تضاعف هذا العدد في العام 1967 بنتيجة احصاء سكّاني ثانٍ.

ويقدر عدد اهالي كركوك في يومنا هذا بما يزيد عن اربعمائة ألف اغلبيتهم عرب. وماتزال عملية التغيير السكاني والتهجير التركماني- الكردي قائمة.

ومع ان المدينة تقع ضمن حدود كردستان الطبيعية، فان اصالة تواجد التركمان فيها مما لايمكن انكاره مطلقاً.

---

10 - راجع موسوعته "قاموس الاعلام. مادة كركوك. ط. استانبول 1890 .

11 - اي في العام 1922 عندما نُصّب لها ضابطاً سياسياً [راجع ترجمتنا لكتابه الشهير "كرد وترك وعرب: سياسة ورحلات وبحوث عن الشمال الشرقي من العراق 1919 - 1925 ". ط. بغداد 1970] مكث ادموندز فيها زهاء سنتين ينسق وينظم علاقات اللواء الادارية مع المندوب السامي البريطاني في بغداد. ويوجه سياسته المحلية لاسيما ازاء ثورات الشيخ محمود الحفيد.

لايسعنا هنا إلاّ أن نخالف "ادموندز" فيما افترضه تاريخياً لأول نزوح القبائل التركمانية الى المدينة وماجاورها من القرى والقصبات.[12] فمثل هذه الهجرة ذات الطابع الاستقراري لايمكن ان يكون سبباً واحداً من الاسباب التي ذكرها. وقد يَصِّح ان تكون كلها مجتمعة. فالمعلوم عند متتبعي تاريخ كنيسة المشرق السريانية النسطورية. التي كانت كركوك واحدة من مراكزها الهامة، والعشائر التركمانية في اذربيجان وشرق بحر قزوين واواسط آسيا (تركستان الحالية)، كان عدد كبير منها قد اعتنق الديانة المسيحيّة وان كثيراً من اساقفتها وكهنتها كانوا يمثلونها في المجامع الكنسيّة العامة المقامة في تلك المدينة او في سلوقية قطسيفون وان الهجرة العامة نحو الغرب اي شمال شرق بلاد الرافدين (كردستان) من اواسط آسيا، ابتدأت قبل الفتوح العربيّة باكثر من قرنٍ من الزمن وكركوك تقع على خطّ الهجرة وهي السبيل الوحيدة والمقصد فالآذريون وغيرهم من التركمان بلغوا هذه البقاع قبل أن تطأها قدم عربية بالزمن الذي حددناه.

ولانزاع في ان تركمان بلاد الرافدين كانوا اقليّة عنصريّة ذات خطورة وشأن عندما اقدم الخليفة المعتصم بالله [833ـ 842] على انشاء جيش تركي القوام في محاولة منه لكسر النفوذ العسكري والسياسي الفارسي او لاحلال معادلةٍ بينهما على الأقل. ولايمكن القطع بايّ قدر من اليقين او الاحتمال، ان هذا الخليفة عمد الى استيراد جنده هؤلاء من اذربيجان وتركستان خصيصاً؛ ومامن شك في ان تواجدهم في شمال شرق بلاد الرافدين كان اسبق من

12 ـ (المرجع السالف من ترجمتنا ص242 ـ 243) قال ادموندز:

ناقشت مع المؤرخين العراقيين مسألة مجيء التركمان وكانوا على خلاف في الرأي وهم يترددون بين فروض خمسة: اولها جاء بهم السلاجقة العظام من الاناضول. وثانيها انهم احفاد اسرى الحرب المائة الف الذين وقعوا بيد (تيمورلنك) فاعتق رقابهم بتوسط (خواجه علي) شيخ أردبيل منشيء الطريقة الصفوية الشيعيّة. اي ان استقرارهم كان في حدود 1392 ـ 1402 . وثالثها ان السلطانين سليم الأول [ياوز] وسليمان القانوني (في حدود 1512 ـ 1666) نقلاهم الى تلك النحاء ليقوموا بحماية الطريق السلطانيّة. ورابعها: انهم احفاد الآذريين من مراغة الذين حشدهم الشاه اسماعيل الصفوي (1502ـ 1524) ليكونوا بمثابة حاميات عسكريّة اثناء فترة احتلاله. وخامسها: قد يرد اصلهم الى الحاميات الآذرية (الاذربيجانية) التي اقامها نادر شاه (1730 ـ 1747) في ذلك الاقليم [يقصد بالطريق السلطانية. خطّ مسيرة الجيش العثماني في كردستان العراقية الذي ينتهي ببغداد مبتدئاً بتلعفر وسائراً بمحاذاة دجلة خلال قرى تركمانية وعبره حتى اربيل والتون كوبرو وكركوك وتازه خورماتو وداقوق (طاووق) وطوزخورماتو وقره تپه ...].

تواجدهم في بغداد. الا فلنتامل هذه الفترة من (مروج الذهب) [13] يقول المسعودي «كان المعتصم يحبّ جمع الاتراك وشراءهم من ايدي مواليهم. فاجتمع له منهم 4000 فالبسهم الديباج .... وأبانهم بالزيّ عن سائر جنوده وكثر جيشه وكانت الاتراك تؤذي العوام بمدينة السلام (بغداد) بِجَرْيِها الخيول في الاسواق .. وما ينال الضعفاء والصبيان منها".

وعلى هذا تطبق كتب المؤرخين العرب والاسلام. مؤكدةً وجود حاميات عسكرية تركية وضعها المعتصم وخلفاؤه بصورة مستديمة في شمال شرق عراق اليوم اعتباراً من القرن التاسع.

*** *** ***

مثلما كان عامل النفط وغنى منطقة كركوك السبب في القضاء على آمال الكرد في دولة مستقلة، كذلك كان عاملاً لقيام سلطات البعث برسم مخطط طويل الأمد لتعريب مدينة كركوك. والتعريب الذي نقصده وضع البعث الحاكم خطة ذات اوجه ثلاثة يتم تطبيقها في آن واحدٍ. اولها افراغ المدينة التام من الاغلبية الكردية ومن التركمان بالقدر الذي يجعل من هؤلاء اقلية لايعتدّ بها، بجملة من الاجراءات القسريّة التي اشتهر بها هذا النظام لاتقف حتى عند ازهاق الروح، واشكال شتّى من الاغراءات الماليّة، والمنح العقارية والمناصب الرسميّة للعرب [14] الراغبين في تبديل محلات سكناهم. والى جانب هذين اعتمد البعث على تغيير المعالم الحضارية والتراثية للمدينة بتغيير الاسماء الكردية والتركمانية الى أخرى عربيّة. مبتدئاً باسم المحافظة نفسها فاخترع لها الإسم السخيف "التأميم".

سبق للنظام البعثي أن غيّر اسماء مدن ومحافظات في بلاد الرافدين متخذاً لها اسماء

---

13 ـ انظر المسعودي. ط بيروت. ج 3 ص 179 . و "الكامل" لابن الاثير. ط بيروت. ج 6ص 452 "... كان المعتصم قد اكثر من الغلمان الاتراك .. الخ" وكذلك الطبري: في "تاريخ الامم والملوك ج 7. ص 233 .[كلاهما كان يعزو سبب ترك المعتصم بغداد وبناءه سامراء الى تذمّر سكان العاصمة من وجود الجنود الاتراك واسرهم بكثرة، وتؤكد عبارة المسعودي بانهم كانوا اقلية كبيرة في بغداد مكنت الخليفة من تجنيد 4000 منهم بسهولة.

14 ـ في اوائل القرن عبرتْ افخاذ من قبيلة (العبيد) العربيّة دجلة لتجد لنفسها مراعي ومستوطنات في حافة سهوب (الحويجة) وهي قبيلة اشتهرت بتربية الجمال فحسبُ وفي العهد الملكي بدئي بتنفيذ مشروع الحويجة الاروائي من اجل تشجيع هذه العشيرة على الاستقرار والزراعة. وكانت كركوك سوق هؤلاء التي يرتادونها للاستبضاع ولم تعمد حكومة ذلك العهد الى تشجيعهم على الانتقال اليها والسكنى فيها ولم يفعلوا.

تاريخية تذكرّ بماضيها كمحافظة نينوى وبابل وذي قار وميسان. ان كركوك اسم تاريخيّ لاغبار عليه، وللاقليم كله اسمه التاريخي الذي عرفه المؤرخون العرب والمسلمون وهو (باجرمي) أو (كرميك) إلاّ ان التعريب كان يقضي ان يكون لهذا الاقليم غير العربي اسمٌ عربي، فوجب ذلك.

وغيرت اسماء الشوارع والأحياء. وبنيت أحياء جديدة للعرب النازحين باسماء عربيّة، بل جرى التغيير على اسماء المساجد والبنايات المشهورة والاماكن (15) أيضاً.

في ناوبردان حيث كانت الجولة الأولى من مفاوضات 1970 دار البحث حول المنطقة التي سيشملها الحكم الذاتي وحدودها. فانبرى عبدالله سلوم السامرائي قائلاً: ان كركوك عربيّة. فابتدره ملامصطفى منفعلاً. "من انت لتقول ان كركوك عربيّة؟" ونهض البارزاني وهم بالخروج وهو يقول لايضمنيّ مجلسٌ فيه هذا الشخص وتشبث به الحاضرون ولم يعد إلاّ بعد اصراره على خروج السامرائي من قاعة الاجتماع فتم له ذلك ثمّ جرت المصالحة. وسكت المجتمعون عن كركوك.

غير ان المادة 14 من اتفاق آذار نصت على توحيد المحافظات الكردية مع الوحدات الادارية الأخرى التي ستدخل حدود الحكم الذاتي على اساس الاكثرية العددية بنتيجة الاحصاء الذي سيتم. كما اتفق الجانبان على عدم الاعتراف باي تواجد سكاني حصل في المناطق المذكورة بعد احصاء 1957 السكاني العام والقصد الاساسي تحديد هوية كركوك دون ذكرها بالاسم.

لم يكن تأخر اجراء الاحصاء السكاني بعد اعلان اتفاق آذار بسبب اعتراض البازاني ولكن لما كانت الاكثرية الكردية والتركمانية واضحة، ولما لم يكن هناك شبهة في واقعها التاريخي والجغرافي فضلاً عن الاثنوغرافي، لذلك كان الترحيب بالاحصاء طبيعياً. ورغم المجهودات التي بذلها البعثيون في العام 1963، طوال فترة حكمهم القصيرة، واستئناف ذلك في 1968 حتى العام 1970 وكلّها كانت معروفة.

---

15 ـ ذكروا لي. ولم احمله محمل جدّ حتى اكد القول من اثق به. ان محافظاً بعثياً للمحافظة شديدة الغيرة على عروبته. انشغل حيناً من الزمن في البحث عن تسمية بديلة للنار الغازية الدائمة المسماة (باباكركر) وهذا الاسم هو كردي ومعناه "الاب النوراني". واصله، كما ذهب بعضهم (عباس العزاوي مثلاً) لشيخ مشهور من شيوخ بكتاشية كركوك اسمه (بابا كركور) ولد في المدينة في القرن السادس عشر وعاش في بغداد وله مسجد باسمه هناك!!

في ذلك الحين كانت السلطة تتكتم كثيراً في اخفاء نواياها بكركوك. فمن سورية وبعض الدوائر العربيّة انطلقت شائعات حول الثروة النفطية التي ستضيع على الوطن العربي باعلان كركوك جزءً من كردستان ذات الحكم الذاتي الذي سيمهد حتماً للانفصال ومن دون ان تدري تلك الجهات مايدبره البعث في الخفاء. ففي التاسع عشر من آذار 1970 ولم يمض غير اسبوع على اعلان الاتفاق نشرت وزارة الثقافة والاعلام ببغداد كتيباً تضمن حديثاً لمراسل جريدة الاهرام المصرية مع صدام حسين تطرق فيه هذا الى موضوع كركوك وكان جوابه على سؤال المراسل: "خلال المفاوضات التي جرتْ لم يكن هناك وجه لاثارة ايّ خلافات حول مصير كركوك. إن وضع كركوك واثره في الحكم الذاتي ينبغي أن لايثير مخاوف (يقصد مخاوف العروبيين في سورية ومصر) فالاحصاء العام الذي سيجري في العراق هو الذي سيكشف ما إذا كان للاكراد غالبيّة السكان في كركوك ام لا. واذا كانت كركوك ضمن المناطق التي يتمتع فيها الاكراد باغلبية سكانية فليس لدينا مايمنع من ان تنضمّ الى دائرة المنطقة الكردية التي ستتمتع بالحكم الذاتي". كان صدام حسين مطمئناً جداً من النتيجة.

لم يجفّ حبر اتفاق آذار حتى كانت عمليّة لتعريب وتغيير الواقع السكاني تطلّ على صانعي تلك الوثيقة بابتسامة مكشرة. واليك ماتمّ انجازه في هذا السبيل:

تمّ بالأول نقل كلّ موظفي الاحوال المدنيّة وجيء بغيرهم وقد زوّدوا بتعليمات معينة حول العبث بسجلاّت النفوس وتزويرها!

وخلافاً لما نصت الاتفاقية بوجوب نقل افراد الشرطة الكرد المعادين الى الخدمة ـ وتثبيتهم في مراكز عملهم السابقة في المدينة، تَمّ تنسيبهم الى محافظات أخرى رغم انهم من سكان المحافظة. ومن بين مئات العُمال الكرد الذين كانوا مستخدمين في شركة النفط بكركوك فأعيدوا الى الخدمة لم يعد اليها غير خمسين. وكانوا قد طردوا بسبب نشاطهم السياسي (انتمائهم الى البارتي) وكان مشروعا استخراج الكبريت ومصنع انتاج الكوكاكولا اللذان بدئ بانشائهما، بحاجة الى مئات من العمال فاستخدم لهما عُمّال عربٌ جيء بهم من خارج المنطقة رغم تفشي البطالة في المدينة. وتمّ على عجلٍ نقل مئات الأسر العربيّة الى المدينة من انحاء أخرى، بعد ان بُني لها على عجلٍ وبسرعة فائقة احياء سكنية جديدة كاملة وزوّد أفرادها بدفاتر نفوس قلّب تثبت بانهم من سكنة المدينة قبل احصاء النفوس العام للسنة 1957. كانت هذة الدفاتر تصدر رأساً للسيل الوفاق المستمر من النازحين العرب.

هذه الأسر النازحة الى كركوك كانت تجد أرضاً لتبني فوقها منزلاً ومبلغاً كبيراً يهدى لها لتدارك النفقات [16] او تحتلّ منازل المجموعات التي أجلتها السلطة عنها قسراً وساقتهم الى مناطق الجنوب.

وتنقل عدد كبيرٌ من الكرد العاملين في شركة النفط في مختلف فروعها الى مناطق أخرى خارج المدينة. وشجعّ الاقطاعيون والقبائليون العرب بالمال والاراضي للاستيطان في المدينة. كما زوّدوا بالأموال لاغراء اصحاب العقارات الكرد والتركمان ببيع عقاراتهم (مثلما كانت المنظمات الصهيونية في اوروبا تزوّد يهودهم في فلسطين بالمال الكثير ليبتاعوا أراضي الفلسطينيين العرب) الأمر الذي كان يستتبع عادة اخراج شاغليها وقد اتبعت هذه الخطّة بصورة خاصّة في مناطق سكنى عشائر الداوودة، والكاكائية واستخدم التهديد بالاعتقال والسجن لمن يأبى التنازل. ومن بين القرى التي شملتها هذه العمليات (حه شيشه) و (ده لى گة ورة) و (ده لي بچوك) و (كه راكره) و (كه ريميه) و (شي محمد) و (دلباوه) و (كومبز) و (كرد رابيعه) و (سيكاني) و (عه تشانه) و (تل معار) و (مه غوون) و (سيد محمد).

واستمرت عملية هدم البيوت داخل المدينة. وقد بدأت في العام 1963، وشملت احياء برمتها في محلة الشورجة وأزادي وسويت بالأرض بالبلدوزرات وشردّ سكانها بحجة تنفيذ سياسة تخطيط المدينة واقامة مشاريع معينة ولم تكن في الواقع غير انشاء احياء سكنية جديدة للقادمين العرب من ذلك انشاء حيّ جديد باسم (حيّ الكرامة) يضمّ 600 منزلٍ معد لسكنى ثلاثة آلاف نفس تقريباً ويقع في الشمال الشرقي من المدينة مقابل محلة (اسكان) الجديدة وعلى الطريق الرئيسي المؤدية الى السليمانية. وانشيء أيضاً حيّ آخر باسم (حي المثنى) يضم 500 دارٍ. جرى ذلك في العام 1972. وفي خلال العامين 1980 و1981 . وزعت السلطات مجاناً مايزيد عن 300 قطعه أرض سكنية في هذين الحيين على أسر (شهداء) قادسية صدام من العرب وتمّ بناء منازل فيها.

كما انشيء حيّ آخر لعمّال الكوكاكولا المستوردين من المناطق العربيّة، بمقابل محلّة (رحيم آوا) التي استبدل اسمها الكردي وباتت تعرف اليوم بـ (حيّ الاندلس).

---

16 ـ تواصلت هذه العمليّة على مايبدو وذكر لنا قادمون من المدينة انّ الأسر العربيّة كانت تنصبّ في المدينة حتى العام 1990. وقد لقبوا محلياً بـ "جماعة العشرة الآف" اشارة الى المبلغ الذي كانت السلطة تزودهم به لقاء نزوحهم [انظر ماسيلي].

وفي منطقة شركة النفط بدئي بمشروعي إسكان كبيرين. عرف اولهما بمشروع 2000 دار وثانيها بمشروع 4000 دار، لاستيعاب أسر العمّال الأغراب عن المدينة. وبنيت 1000 دار أخرى عرفت بدور [العمل الشعبي] على الطريق الرئيسة بين كركوك وقصبة (الدبس) لسكنى عمّال شركة الغاز الطبيعي والكبريت ومصفى النفط، الذين احتلوا مكان العمال الكرد المطرودين والمنقولين.

تتسع المدينة بشكل غير طبيعيّ، وخلافاً لقانون الهجرة من الريف الى المدينة ويحظر على اي كردي او تركماني من الجوار السكنى الدائمية فيها. ويتمّ السماح والمنع بارادة السلطة ووفق تعليمات وضحة محددة. في حين راحت حركة البناء واستحداث الاحياء السكنية الجديدة للقادمين العرب، تتقدم بخطوات جنونية. واليك مثالاً:

ففي منطقة شركة النفط وقد نوّهنا بحركة البناء فيها. تمّ انشاء حيّ جديد باسم (حيّ الضباط) امام مقرّ الفرقة، على شكل قوسيّ يمتد حتى محطة القطار وبين مقر الفرقة والمحطة انشئت مساكن أخرى بلغت منطقة (تسعين) القديمة واوّل الطريق الى (تكريت) حتى طريق كركوك- بغداد ومحطة التلفزيون وعلى الشكل التالي.

نحوٌ من 800 منزل في حي (تسعين) القديم اطلقت عليه السلطة اسم (حيّ البعث). وخصصته للعرب القادمين.

مايزيد عن 1500 دار بين طريق بغداد. وطريق تكريت حتى محطة التلفزيون اطلقت عليها السلطة اسم (حيّ الواسطي). وعلى امتداد يسير لطريق بغداد انشئت اكثر من 100 دار، لحيّ جديد اطلقت عليه السلطة اسم (حيّ الاشتراكية).

وعلى الضفة اليُسرى من نهر (خاصّه) وطريق بغداد أنشيء حيّ آخر باسم (حيّ غرناطة) اقيمت فيه حوالي 1600 دار.

وعلى الضفة الأخرى من النهر بامتداد طريق ليلان وشورجة انشئت احياء جديدة. منها (حيّ الحجاج) ويضمّ اكثر من 1000 دار، وبين هذا الحيّ والمجزرة الجديدة انشيء حيّ آخر باسم (حيّ العروبة) والى شمال حي الحجاج اقيمت منطقة سكنية أخرى باسم (حيّ الوحدة)، ويمقابل حيّ الوحدة هذا انشئت منطقة سكنية أخرى باسم (حيّ الحريّة). واستحدث لرجال الأمن والمخابرات حيّ جديد تألف من حوالي 220 داراً وعرف بـ (دور الأمن). والى جانبه منطقة سكنية أخرى بـ 100 عرفت باسم (دور ضباط الصّف) ويمقابل هاتين المجموعتين

استحدث حيٌ آخر يضمّ 750 منزلاً واطلق عليه اسم (حيّ قتيبة) [17] والى جنوب هذا الحيّ وعلى امتداده بنيت 1000 دار واطلق على حيّها اسم (حيّ الشرطة).

في العام 1981 وزّع اكثر من 8000 قطعة ارض سكنيّة خلف سيطرة (ليلان) على الأسر العربيّة التي رُسم لها ان تستوطن المدينة ومنحت كلّ اسرة مبلغ عشرة آلاف دينار، فضلاً عن تسعة آلاف دينار قرضاً من المصرف العقاري بفائدة رمزية لغرض تشييد دورها عليها.

ثمّ وزعت السلطة في الوجبة الثانية 25000 قطعة على امتداد الطريق الى ناحية ليلان، وبطول 18 كيلومتراً وهي المسافة التي تمتد بين كركوك وبين الناحية.

وتمّ داخل المدينة توزيع (400) شقة سكنيّة على الأسر العربيّة وفي عين الوقت شرعت السلطة في ازالة احياء قديمة برمتها وتسوية ابنيتها بالأرض بحجّة توسيع شوارع المدينة ودرويها وعمل ساحات تجميلية فيها. إلا انها لم تكن تمنح اصحاب الدور المستملكة قطع اراضٍ في الاحياء الجديدة التي خلقتها ولا اعانات ماليّة كالتي كانت تغري بها العرب للسكنى فيها.

وهذا ماوقفنا عليه مما وقع لكركوك.

*** *** ***

بطبيعة الحال كانت عملية التغيير السكاني في كركوك، مكشوفة، واضحة من الأول. لاسيّما بعد ما اضطر مقرّ الفرع الثالث للحزب الى مغادرة المدينة وتعدد حوادث العنف والشغب التي كانت اجهزة السلطة الامنية والحزبيّة والقمعية تفتعلها لتنظيف كركوك من عناصر البارتي النشطة والوجوه الوطنية المعروفة.

وفي العام 1972 كان كلّ شيء واضحاً للامصطفى.

التفت الى زائره وزير الخارجية البعثي [مرتضى الحديثي] وقال له متهكّما:

- ان تغيير مدينة كركوك قد تمّ. فلا حاجة بعدُ تدعو الى احصاءٍ لأنّ نتيجته ستكون دليلاً اضافياً على اننا جانبنا الحقيقة.

ملحق:

---

17 ـ نسبةً الى القائد العربي (قتيْبة ابن مسلم).

مازالت عملية التهجير متواصلة على مايبدو وبشكل همجيٍ منظم، تذكر النشرة الاخبارية التي يصدرها الحزب الشيوعي العراقي [اخبار العراق] في عدد آذار 1998 ان الترحيل متواصل وبمعدل عشر عوائل اسبوعياً وكما يشير الكتاب الرسمي الذي تجد صورته، يتم حجز احد افراد الأسرة اثناء الترحيل في مركز الشرطة لحين وصول عائلته الى نقطة السيطرة الحكومية الأخيرة محاذاة المنطقة الآمنة التي يسيطر عليها القوات الكردية وهناك تقوم النقطة بابلاغ مركز الشرطة بانجاز عملية الترحيل ويذكر هذا المصدر أيضاً ان عملية ترحيل أخرى بدأت في تشرين الثاني (نوفمبر) 1997. وقد وصلت في حينه بلدة چمچمال.

العدد ٣٠١٤٣٣

جمهورية العراق

التاريخ١٢/١/٨٩٩١

محافظة التأميم

[ديوان المحافظة]

بناءً على كتاب ديوان الرئاسة الصادرة بيومه وتاريخه حول التنسيبات الجغرافية للمحافظات وقطاعاتها وتطبيق قوانين السكن في محافظة التأميم ولظروفه الأمنية البالغة الاهمية وموقعه الجغرافي. يرجى تطبيق الكتاب بفقراته كاملة عن غرض اتباع نظام الأمن فيه.

١ ـ يتبع التعليمات الآتية: (أ) يحجز شخصٌ من كلّ عائلة كردية مرحّلة الى المناطق الشمالية.

(ب) حجز دور التمليك للمرحّلين. (ج) حجز البطاقة التموينية (د) حجز قسائم الاشتراكات في الدوائر الحكومية.

٢ ـ اعلام كلّ من أـ مسؤول أمن المنطقة (ب) مسؤول الحزب للقطاع المشمول. (ج) مختار المنطقة. [بكتب رسمية واتباع النظام المخصص].

نسخة منه الى: المحافظة. مسؤول امن المحافظة. مسؤول امن المنطقة. مسؤول الحزب القطاع المشمول.

الوجبة (١٤٦٨) شخصاً التاريخ من ١٥/ ٤/١٩٩٨ الى ١٥/٦/٨٩٩١

يرحل من القواطع التالية:

حي العسكري ٥٢ عائلة

طريق بغداد ١٢

اسكان ١٥٠

الحرية ٢٣٤ عائلة

المصلى ٢

القورية ٣١ عائلة

شورجة ٣٢١

الاندلس ٤٠١ عائلة

امام قاسم (١) [٧٤ عائلة]

امام قاسم (٢) [٦٦] عائلة

اخي حسين (١) عائلة

صاي كهيه ٣٢ عائلة

حيّ الخضراء (١) عائلة

حي العسكري ٦ عائلة.

هەولێر کتێب

الفصل السابع

في محاولة اغتيال ملامصطفى البارزاني

[عصر يوم الاربعاء الموافق للتاسع والعشرين من شهر ايلول 1971]

سأدون هنا ماأجتمع لديّ من تفاصيل عن المحاولة، نقلاً عن شاهدي العيان كُلاً او جزءً، فضلاً عن تنويه وانطباعات مقتضبة للبارزاني حول ردود فعله خلالها، وبمناسبات نادرة حين يسأله زائر. مؤكداً بأنها من تدبير السلطة البعثية.

وللعلم كانت هناك محاولتان سابقتان للقضاء على حياته لم تبلغ ايٍّ منها مرحلة التنفيذ الفعلي واحبطتا.

وهو يردد دائماً بأن يد العناية الالهية هي التي حفظته. ومَن عاين محل الحادث ومجلس البارزاني اثناء انفلاق العبوة الناسفة ـ القاتلة، لايسعه إلاّ أن يسلمّ بانّ نجاته وسلامته من اي خدشٍ، ظاهرةً فريدة ينزلها المؤمنون منزلة المعجزات.

وبالمناسبة كان لدى جهاز الامن في الثورة معلومات اكيدة عن مؤامرة تنسج في بغداد هدفها القضاء على حياة البارزاني وتقوم باعدادها مديرية الأمن العامة. [1]

حسب المتآمرون كلّ حساب لنجاح خطتهم. ولم يكن فيها احتمال فشلٍ او عائق. فمثلاً لم يكن هناك احتمال في ان يرفض (ملامصطفى) استقبال عشرة من الروحانيين ورجال الدين

---

1 ـ عثر في مفكرات بعض القتلى على ارقام تلفونات خاصة بمدير الأمن العام (ناظم كزار).

في زيارة غرضها التحدث عن السلم بين المسلمين، وعن رباط الدين الذي يشدّ بين العرب والكرد. سيّما عندما يكون بين الوافدين شخصٌ عرف البارزاني في زيارات سابقة وكان يخرج منها بمبلغ هدية من البارزاني لترميم مسجد الزائر في الاعظمية وكثيراً ماسمعتُ من هذا الزائر واسمه [عبدالجبار الاعظمي] ثناءً ومديحاً بنبل البارزاني وعطفه مصحوبة بدعوات له بطول العمر.

وبسببٍ من هذه الصلة استخدمته جريدة التآخي بعد العام 1966 مصححاً لمسوّداتها في المطبعة كما اثبتنا نحن استخدامه لعين الوظيفة في العام 1970 عندما استأنفنا اصدارها. وانكر اننا خصصناه براتب شهري قدره 40 ديناراً وهو راتب كبير بقياس ذلك الزمن.

كان عبدالجبار الاعظمي واحداً من العشرة الذين أوهموا بأنهم يقومون بخدمة وطنية وانسانية ودينية. في محاولةٍ لإقناع البارزاني بفضل السلّم وبالتفاهم مع الحكومة حقناً لدماء المسلمين. لذلك أبى البارزاني أن تسري على الوفد اجراءات التفتيش واوعز بذلك لابن اخته السيد صالح محمود.

وما من شكٍ اعتور أحدٌ ـ وبفضل كلّ الدلائل والقرائن والظروف ان هؤلاء الابرياء المساكين إنما سيقوا الى حتوفهم. كان من المؤكد انّ لن يبقى في قيد الحياة ايّ واحدٍ منهم أبنجاح المؤامرة أم بفشلها سواء بسواء. وان بقي واحد منهم. فليس لما يدعيه سامعٌ او مصدّق. وربّما استوى في هذا سائقا السيارة وهما الوحيدان اللذان كانا كما يبدو على معرفةٍ تامة بالخطة بدليل تصرفهما بعد فشلها ويظهر انهما استودعا سرّها وتم اخذ بعض الاحتياطات لنجاتهما بعد نجاحها. او لعلهما كانا على استعداد للقضاء على حياتيهما وحياة من تبقى من الموفدين في ايّ من النتيجتين. فمما تبيّن بعد فحص سيارة الصالون (شفروليت طراز 1966) وقد بقيت سليمة ـ ان تعديلات معينة تمت لتجهيزها بوسائل تدمير وقوة نارية لتسهيل الهروب. ومما يدخل في هذا الباب ان ماتبقى من آثار الحادث. كان كافياً لتقدير مابلغ القائمون بالمؤامرة من المعرفة بأحدث مااخترعه العقل البشري من وسائل القتل والتدمير. وفي حينه كانت هناك اشاعات رائجة حول التعاون الوثيق بين اجهزة النظام الامنية وجهاز أمن المانيا الشرقية المسمى (الشتاسي). وقد تبين صحتها فيما بعد.

من الاستنتاج المنطقي. وكما تبيّن من بعض الدلائل ان القضاء على حياة البارزاني سيكون المرحلة الاولية من خطّة تهدف الى القضاء على الثورة. وان الصفحة الثانية ستكون

مرهونة بالشلل الوقتي المتوقع والاضطراب وفقدان السيطرة اثر القضاء على قائدها، وكان المدبّرون قد وقفوا على الكثير من مواطن الضعف فيها. كما امنوا لأنفسهم أصدقاء من رجالها بشرائهم واغراقهم بالوعود والهبات. معولين ايضاً على هبوط معنويات فصائل البيشمركة خلال الفترة.

من المسلمات وقد تم ذلك فعلاً ـ أنّ الجبهة المتآمرة انما تعمّدت انتقاء رجال الدين من طائفتي الشيعة والسنيّة لالقاء المسؤولية على الطائفتين. واختارت [عبدالجبار الاعظمي] لصلته الخاصّة بملامصطفى. وقد ساق المسكين شقيقه (عبدالوهاب) الى حتفه معه وهو دليل آخر على جهل الموفدين حقيقة الأمر. ومما لايمكن اغفال تصوّره ان اجتماعاً تمهيدياً بهؤلاء جرى في بغداد شُرحت فيه لهم طبيعة مهمتهم واثيرت في نفوسهم عاطفتهم الدينية وحميتهم الاسلامية كأنْ قيل لهم ان ملاّمصطفى يضع عراقيل وموانع كثيرة في سبيل تطبيق اتفاق الحادي عشر من آذار وقد فشلت حتى الآن عدة محاولات في اقناعه بالعدول عما اعتزمه من ايقاد نار الحرب من جديد. وبما انه رجل مؤمن دينّ فقد اختيروا بصورة خاصة وبوصفهم رجال دين للوساطة بغية حمله على العدول عمّا انتواه أعني باثارة العاطفة الدينية فيه. وقالوا لهم انهم يودّون ان يعرفوا بالضبط ماذا سيكون جوابه وردود فعله. وقد هيّاؤا جهازاً صغيراً لتسجيل مايدور من حديث، واختاروا لحمله واحداً منهم. يربطونه تحت ثيابه وهو الذي سيبادىء ملامصطفى بالحديث. واوصوه بان يختار مقعداً مواجهاً للبارزاني وهو الأقرب. ومن تحصيل الحاصل ان حامل التسجيل (القنبلة) هذا قد مَرّ بفترة تمرين قصيرة، ارشد خلالها إلى كيفية تشغيله، بالضغط مثلاً على زرّ أو عروة في كمّه او تحت متناول يده وبحركة لاتجلب انتباها ـ حالما يبدء البارزاني بالاجابة.

كانت قنبلة ناسفة قاتلة عالية الانفجار يُستدّل من الآثار التي احدثتها بأنها كانت اشدّ فتكاً وتدميراً بمراحل من تلك التي استخدمها في العام 1944 المؤتمرون العسكريون في المانيا لانهاء حياة هتلر (ولا مقارنة بين الشخصين). وتكشف عن مقدار ماارتقى اليه من التدمير والقتل في عصرنا هذا. وعلى الاغلب نجم الانفجار بجهاز زوّد به سائق سيارة التويوتا.

لايُعلم مَتّى تمّ ربط القنبلة واين. أفي بغداد، أم خلال الفترة التي تُرك فيها الوفد الديني لوحده في فندق (حاجي عمران) انتظاراً لمقابلة البارزاني.

سبق زيارة الوفد تمهيدات. ويذكر لي صديق حميم لايرغب في الاشارة الى اسمه. انّ وفداً مصغّراً اقبل في اواسط شهر ايلول يتالف من ثلاثة من علماء الدين بينهم عبدالجبار الاعظمي وعبدالحسين الدخيلي وآخر - واجتمع برهةً بادريس ومسعود ابني البارزاني في مقرّهما الذي كان يقع على مسافة كيلومترات قليلة جنوب (حاجي عمران). وقد لاحظ هذا الصديق الذي كان ذا مسؤولية معينة وقتذاك - ان احدهم (لعله واحداً من سائقي السيارتين ارسل للاستطلاع) كان يتعثر في مشيته كذلك الذي لم يتعود انتعال نعلٍ. ويقول انه افضى للآخرين بشكوكه فيه فلم يعر احد لقوله اهتماماً. وقد علم انهم قابلوا البارزاني برهة وجيزة وعادوا من حيث اتوا على موعدٍ للقاء ثانٍ.

بين هؤلاء، السيد عبدالجبار الاعظمي. فلم يكن هناك ايّ موجبٍ للشكّ. وكان السيد صالح محمود ابن اخت البارزاني وهو رجلٌ دينٌ يحبّ مجالسة العلماء والاصغاء اليهم - ملازماً ومرافقاً لهم طوال وجودهم.

وأعتقد انّ موعد اللقاء الكبير في 29 ايلول قد حُددّ في تلك المناسبة.

في هذا اليوم وصل الوفد (ناوبردان) فاوقفت السيطرة السيارتين. وكان اليوم يوم راحةٍ في المقرات وقد أبلغتْ السيطرة مسبقاً بعدم السماح بايّ سيارة لاتنتسب للثورة بالتقدم ومنها ما يعود للغرباء. لكن (صالح محمود) فيما يبدو كان على علم بمقدمهم فابلغ السيطرة بالسماح لهم بالمرور دون تفتيش او طول انتظار. واستقبلهم وانزلهم في الفندق.

وكما قلنا كان الوفد يتالف من علماء الشيعة والسنيّة ويتميزون بلباسهم وقد تالف خلافاً للثلاثة المذكورين من السيد نوري الحسني، الشيخ احمد الهيتي، الشيخ غازي الدليمي، الشيخ باقر حسن المظفر والشيخ ابراهيم الخزاعي وهو وليس هناك حامل القنبلة واثنان او ثلاثة آخرين. مايؤكد انه كان رجل دين حقيقة ام انه انتحل شخصية العالم الديني.

أجلس الوفد في غرفة الاستقبال الكبيرة من دار كانت لجنة المصايف قد شيّدتها مع غيرها ايام العهد الملكي وهي مبنيّة بالسمنت والآجرّ. والغرفة مستطيلة قد يزيد طولها على ثمانية امتار في حين لم يكن عُرضها يزيد عن ثلاثة أمتار ونصف المتر الاّ قليلاً. وترك للبارزاني الذي اقبل بصحبته محمود عثمان معقده المألوف وهو مقابل الباب ووراء مقعده نافذة تبعد عنه حوالي مترٍ وكان اليوم قائضاً والنوافذ كلّها مفتوحة وهي تطلّ على فضاءٍ خالٍ من بناء أو حاجز.

**** **** ****

اتخذت القنبلة الحيّة مقعدها مقابل ملاّمصطفى وبينها وبينه مائدة ذات قوائم قصيرة وضعت فوقها اقداح الشاي، فلا يكون بينهما والحالة هذه اكثر من مترين. واقتاد سائق سيارة (الستيشن واكن) من نوع (تويوتا) سيارته وحشرها في فسحةٍ مجاورة لبناية الاجتماع تحت شباك غرفة صغيرة كان البارزاني يستخدمها عادة لمقابلات فرديّة. وبقي في مقعده ولم يبرحه. في حين وضع سائق الشفروليت الحليبية اللون سيارته على مسافة تبعد زهاء 16 ـ 20 متراً عن البناية وبقي في مقعده.

كانت الدار مقامة على ربوةٍ وامامها ساحة كبيرة بعض الشيء.

وافتتح الحديث الشيخ عبدالحسين الدخيلي ثم تلاه عبدالجبار الاعظمي بمقدمةٍ شبيهة بما ذكرناه آنفاً. بعد تقديمه هدية الوفد، وهي نَسَخٌ من المصحف الشريف كانت واحدة منها مفخخة ولم ينطق حامل القنبلة بكلمة واحدة.

مما يذكره البارزاني قوله هذا "ما ان فتحتُ فمي ونطقت بكلمة [نحن] حتى دوى صوت انفجار هائل وبعض دخان وتطايرت شظايا النوافذ فمددت يدي الى حزامي (مسدسي!) ونطقت بلسم الله ولم اشعر بغير صدمة هوائية وانطلقت خارجاً".

وقد تكون ثانيةً واحدة او اثنين يتفق ان يتحرّك البشمركه شريف محمد صالح نزاري الموكول بصبّ الشاي في الاقداح ـ ليصبح جسده حاجزاً وسداً بين البارزاني وبين القنبلة فتقطع اشلاءً وانفصل رأسه عن باقي جسمه وانقذف عالياً ليلصق بعضه بسقف الغرفة. في حين قطع الخزاعي نصفين. بلغ عدد القتلى داخل القاعة خمسة، وقتل الى جانب شريف المأسوف عليه سليم زبير اثناء تبادل اطلاق النار في الخارج .

كان واحداً من الاربعمائة والخمسين الذين صحبوا البارزاني الى المنفى في 1947 وعاد معه في 1958 ليلقى حتفه. وجرح ملاّ ابراهيم رئيس حرس البارزاني. واصيب (آدم ايشو) رئيس حرس مسعود اصابة بالغة في احشائه اثناء مطاردة بقية افراد الوفد وجرح مجيد امين احد معاوني ادارة المقرّ. وفقد زكي عقراوي احدى عينيه، وجُرح عشرةٍ آخرين.

سائق سيارة الشفروليت ترك مقعده ماان رأى البارزاني وقذفه بقنبلة يدوية انفلقت على بعد أمتار منه ولم تصبه من شظاياها بغير خدش سطحي فوق احدى عينيه. قام الدكتور محمود عثمان بتضميدها له فوراً.

وعقب ذلك فوضى وتسيّب. ضاعت منه نداءات متكررة من البارزاني بالكفّ عن اطلاق النار والعمل على القبض على الاحياء.

وراح سائق سيارة الشفروليت يطلق النار من رشاشه بشكل عشوائي ثم هرب الى دار قريبة فلوحق وحوصر في دورة مياهها وهناك قضي عليه.

في حين لوحق سائق سيارة التويوتا وهو يتوجه الى سيارته فصُرع، ولم يقترب أحد من سيارته فقد خُمنّ بانها هي الأخرى قنبلة موقوتة. وصحّ الحدس فقد انفجرت من تلقاء نفسها بعد ساعة (تأمل الصورة). وخرجت سيارة الشفروليت سليمة من المعركة. وتبين بعد فحصٍ دقيق ان عملاً فنياً معقداً قد جرى فيها لتحويلها الى سلاح فتاك وكجزء من الاعداد للمؤامرة. وقد علم فيما بعد انها ملكٌ لمديرية الأمن العامة، اختيرت بوصفها السيارة المثالية لاجراء التعديلات التدميرية فيها ومنها اخفاء صاروخين اثنين تحت الاضواء الخلفية موصلة بجهاز اطلاق في متناول يد السائق لغرض تعويق مطارديه في حالة هروبه مع صاروخين اماميين مماثلين. كما وجد في داخلها ثلاثٌ وثلاثون رمانة (قنبرة) يدوية واربع حشوات كبيرة واربعة قوالب ديناميت TNT مربوطة بساعة توقيت. تبلغ زنتها 56 كيلو (لاحظ الصورة).

ولم يجر على بقايا سيارة التويوتا فحص دقيق. إلاّ ان القوّة الهائلة التي ابتعثها انفجارها دلّ على ان ما احتوته من وسائل التدمير والعتاد المتفجّر يضاهي مافي السيارة الأخرى. على ان جريدة التآخي التي خرجت بعد ثلاثة ايام بوصفٍ كامل لما عُثر عليه وما جرى على السيارة الشفروليت من تعديلات تدميرية نتيجة فحص وحدة الهندسة في الثورة اشارت الى العثور على بقايا جهاز ارسال واستقبال. وخاضت في تفاصيل اوفى مما ذكرنا لكنها لم ترق قط الى مرتبة التحقيق الجنائي باساليبه العصريّة المختبرية الدقيقة وهو مايدعى في عالم الجريمة والتحقيق بـ Forensic .

كما لم يكن من سبيل الى تحقيق روتيني بسبب القضاء على اعضاء وفد الموت جميعاً. ومن نافلة القول ان الأجهزة التي تولت أمر الإعداد للجناية قد صُعقت عند اذاعة نبأ نجاة البارزاني ولم تصدّق النبأ وواصلت لفترةٍ إجراءاتها التالية مفترضة بأن ماأذيع عن سلامته انما يقصد به رفع المعنويات والحيلولة دون انهيار يعقب وفاته. اذ لم يكن متوقعاً قط أن تفشل هذه المؤامرة المحكمة.

ومانزل منزلة المسلّمات أو ماكان متوقعاً ـ هو ان نجاحها كان سيعقبه عملٌ عسكري واسع



الغرفة التي وقع الانفجار فيها ويمكن ملاحظة الكرسي الذي كان حامل القنبلة يجلس عليه



سيارة الشوفرليت.



سيارة التويوتا التي انفجرت بسائقها.

شحنة الـ TNT في سيارة الشوفرليت

النطاق على مواقع الثورة ـ باستغلال البلبلة والفوضى وبالتعاون مع الذمم الرخيصة التي تمّ شراؤها، او وفّقت السلطة الى تدجينها خلال الاشهر الثمانية عشرة التي انقضت على ميثاق الحادي عشر من آذار.

ويذكر البارزاني نفسه شخصاً بالذات وقع عليه الاختيار ليكون بديلاً له.

كان الجميع في حالة انفعالٍ شديد وبدا الكلّ متلهفاً لعملية ثارية مقابلة. ومن ضمنها اصدار انذار تأهب للقتال الاّ ان البارزاني وكان كما يصفه مسعود امدأ الجميع. ورفض كل اجراءٍ مقابل بقوله من الخطأ استئناف القتال بسببي او بسبب شخص انما نستأنفه في سبيل قضية مصيرية، من اجل كركوك مثلاً.

بعد مرور اثنتي عشرة ساعة او نحوها تلقّى البارزاني من رئيس الجمهورية برقية تهنئة بالنجاة من "المحاولة الاثيمة". عقبتها برقياتٌ أخرى من قيادات الحزب الحاكم وبعث (البكر) بالوزير الدكتور عبدالستار الجواري لتهنئة البارزاني بالسلامة.

وتمّ تشكيل هيئة تحقيق رسميّة مختلطة مؤلفة من (حامد العاني) وكيل وزارة الداخلية رئيساً والمقدم الركن علاء الدين من المخابرات العسكرية ومن مديريْ شرطة اربيل وأمنها، وخبير بالمتفجرات. الى جانب (علي عبدالله) محافظ السليمانية وعقيد الشرطة الملتحق بالثورة (حسين البامرني) و(حسن بشدري) قائمقام چمچمال وهؤلاء الثلاثة الاخيرون مثلوا الثورة.

بعد حوالي اسبوع سُلمت جثث القتلى او بقاياها في بغداد الى ذويهم بعلم الحكومة وبمدى علمي لم تصدر أو بالاحرى لم ترفع اللجنة تقريراً بنتائج تحقيقاتها.

لم يكن للجانب الحكومي كما بدا ايّ شبهةٍ في هويّة المدبرين والمخططين والمنفذين لهذه المؤامرة!! فقد صدرت جريدة (الثورة) لسان الحزب الحاكم في تشرين الأول وفي صفحتها الأولى مقال رئيس، اتهمت فيه "عملاء الامريكان والانكليز وشركات النفط، وايران بتدبيرها .... بغية نسف الجسور التي اقامتها اتفاقية آذار بين القوميتين العربية والكردية في العراق .... الخ .... الخ".

وبقي القياديون في الحزب والثورة لايدرون كيف يتصرفون ولايحاولون توجيه التهمة إلى السلطة او اي جهاز فيها علناوجلّهم يحتل مناصب رسميّة ووظائف. وتبين ان كثيراً من الحريصين على اتفاقية آذار يلتقون مع التعليل الذي طلعت به جريدة الثورة. وسمع هذا التخريج اكثر من مرة في مجلس البارزاني مع تعليقات تهدف الى ابعاد التهمة عن حكام

بغداد قدر ماامكن. وفي ذات مرة تطوّع واحد ممن كان يحتل منصباً كبيراً ليستبعد بان يكون للسلطة دخل في المؤامرة. ويقوله ان أي اتهام لها سيبقى بدون دليل.

وسئل هذا المدافع عمّن يتصور ان يكون حائزاً تلك الامكانات اللامحدودة لتدبير هذه الخطّة المحكمة، ومن هو ذلك الذي ملك كلّ الحرّية والجرأة في بلدٍ تسيطر عليه اجهزة امنيّة متعددة حزبيّة وحكوميّة ذات شبكات واسعة معقّدة وسلطات غير محدودة وقابلية على التسلسل الى البيوت الخاصّة واحصاء حركات كلّ فردٍ في المجتمع العراقي. ولها في كلّ زاوية جاسوس، أو مخبر أو عميل!

وتدخل من أفضل ان اكتم اسمه ليتبرع بهذه الحكاية تعقيباً على محاولة تبرئة السلطة قال "في مدينة امريكية، قصد احدهم صديقاً له وموضع ثقةٍ وسرّ - يطلب منه النصح في مسألة اشغلت باله وسلبت رشده. اذ كان يشك في اخلاص امرأته، معتقداً ان لها عشيقاً. ولكنّه لايملك دليلاً قاطعاً يبرر له الخطّ الذي سيسلكه معها.

اشار عليه صديقه بان يستعين بمخبر تحقيق خصوصي وهو مايعرف هناك باسم pri-vate detective. ليقوم بتعقيب الزوجة. وان يتغيب هو عن المدينة فترة من الزمن. ليفسح للمحقق مجال عمل ثم يتصرّف على ضوء النتائج التي سيتوصل اليها.

بعد عدة أيام اقبل الزوج على صديقه ومعه تقرير المحقق وقد بدا اكثر حيرةً وخيبة بالنتائج. ودفع به اليه مبدياً أسفاً لفشله في الوصول الى الحقيقة، وكانت خلاصة التقرير ان المحقق بادر الى استئجار غرفة تواجه منزل الزوج وتشرف على مداخلها ومداخلها وركز منظاراً مقرّباً لمتابعة مايجري. فضلاً عن تعقيب المرأة وهي خارج المنزل. فوجد ان شاباً كذا صفته وهيئته يدخل ضحى اليوم المنزل فتخرج الزوج لاستقباله وتترامى في احضانه وبعد عناق طويل يخرجان سويّة لقضاء يومهما بطوله بين تسكع وغداء وعشاء ومشرب ومرقص ليعودا في منتصف الليل الى المنزل. فيدلفان معاً الى غرفة النوم ويبدءان بخلع ثيابهما وهما في عناق...

وينتهي التقرير بهذه العبارة {ثم اطفيء الضوء ولم أعد أرى شيئاً}. قال الزوج معقباً! فها انت ترى ان نصيحتك لم تقدّم ولم تؤخر وأنا مازلت بحاجة الى دليل.

اطال الصديق النظر الى مخاطبه ذاهلاً وقال ماذا تريد اقوى من هذا الدليل؟ أتتوقع ان يكون محققك ثالثهما في الغرفة؟"

*** *** ***

في صبيحة اليوم التالي، الثلاثين من ايلول. ولم يَمرَّ على ذيوع نبأ نجاة البارزاني في بغداد غير ساعات قلائل. اختطفني رجال الأمن وانا على بعد خطوات من منزلي ووضعوني في سيارة لأجد نفسي بعد قليل في قصر النهاية ... سجيناً.

أفكان هذا مصادفة؟ أم هو جزءٌ من عملية تنصٍ واسعة لم يبلّغ المكلفون بها بالغائها في الوقت المناسب.

قيل لي ان بعض القياديين والبارزين الموجودين في بغداد حُذِروا وبلّغوا فاختفوا برهة من الزمن لحين انجلاء الوضع. وكنت الوحيد الذي وقع بيد السلطة بالمناسبة. لم يجد المبلغون فيما يظهر موجباً لتحذيري.

افكانت حياتي معلقةً لبرهة من الزمن بنجاة البارزاني؟

سؤال ظلّ يراودني طوال ربع القرن المنصرم فلا اجد له جواباً.[2]

*** *** ***

ختاماً لهذا. وجدت من المناسب التطرّق الى المصير الفاجع الذي حلّ بثلاثة وثلاثين ذكراً من صلب اسرة شيوخ بارزان، تتراوح اعمارهم بين الثانية والسبعين والسادسة عشرة. لجأوا

2ـ شاءت الصدف وحدها ان يشهَد من بعد عملية اختطافي عضو من البارتي يعرفني كان يمرّ عبر الشارع فاسرع بتدوين رقم السيارة التي اقلتني الى قصر النهاية وشخص من فوره الى مقرّ البارزاني في كردستان. كان قلق البارزاني ونجليه على حياتي عظيماً بقدر ماهو صميميّ وارمز الى [سامي = محمد محمود عبدالرحمن]

ينقل ارادة البارزاني الجازمة الى (صدام حسين) بالذات بوجوب أخلاء سبيلي فوراً، مهدداً بمقاطعة زيارات المسؤولين. [فيما بعد انبأني السيد عبدالرحمن انّ صداماً انكر وجودي لديهم في اول الأمر]. وبالاخير اضطرت السلطة الى اخلاء سبيلي. وقبلها بايام حصل مايمكن اعتباره خرقاً لبروتوكول قصر النهاية. فقد بلغ ضغط البارزاني حدّ الموافقة على اجراء مقابلة بيني وبين شقيقتيّ في مديرية الأمن العامة، وهو بمدى علمي امتياز لايحظى به نزلاء قصر النهاية بمدى علمي فالمصير إمّا الى البيت او الى المقبرة.

وتمت المقابلة وقد كان بصحبة الشقيقتين سكرتيري الشخصي السيد لطيف رشيد شاهويان وهو سليل عائلة معروفة بنضالها ووطنيتها في كركوك. لم تقع عيني على هذا الانسان الوفي الشهم بعد ذلك. وقد فرقت الايام مابيننا ولم تدع لي فرصة لشكره. لكن شاءت المقادير، ان نلتقي أخيراً بعد مرور ربع قرن، كما شاء حسن الصدف جمع شملي بالسيد يونان هرمز. كان قد استقرّ لاجئاً في هولندا وبنى وانجب واقبلت عليه الدنيا. أصرّ علي المجيء لزيارتي وقمل وانا اهيء هذا الكتاب للطبع.

واعود لوصل ماانقطع: بقيت برهةً من الزمن أرى أن اعتقالي لم يكن اكثر من عملية ثأرية بسبب ماورثته =

الى النظام العراقي ورئيسه ووثقوا بعهده اظهاراً لحيادهم وتأكيداً لبعدهم عن الحركة الوطنية الكردية المسلحة وتبعاتها.

ليس من اغراض هذا الكتاب الدخول في تفاصيل قيام الصلة بين عبيدالله ابن ملامصطفى البكر بصدام حسين والتعاون السرّي معه بُعَيْد اتفاق آذار1970، ثم نجاحه في الافلات من الحراسة المشددة التي فرضها عليه والده بعد افتضاح أمره - ووصوله الى بغداد. فبخلافه لم يكن هناك تعاون ضدّ الثورة من اي فرد آخر من الضحايا. وبأي حال لايجد عمل عبيدالله هذا اي تبرير او عذر.

هذا الانقسام في الرأى يمكن تقصّي اثره الى العام 1961 عندما آثر الشيخ احمد الزعيم الروحي لقبيلة بارزان وأحلافها. ابعاد نفسه وقسم كبير من الأسرة عن الحركة الوطنية المسلحة التي قادها الحزب الديمقراطي الكردستاني أيام عبدالكريم قاسم، وقادها ملاّ مصطفى أخوه.

وقد يكون لبعض الخلافات العائلية، والفكرية دخلٌ في هذا الانقسام الاّ ان ماعرف عن الحياة التي عاشها هؤلاء اللاجئون في بغداد بخلاف عبيدالله، ينفي بمدى علمنا تهمة العمل ضدّ النشاط السياسي والعسكري الذي تجدد في العام 1978 ومابعدها.

تمتّ تصفية هذا العدد بعين الأسلوب الذي تمّ به تصفية آخرين لجأوا اليه بعد الثورة، وحشود أخرى من الذين كان النظام ورئيسه يشك في ولائهم واخلاصهم له - فبين آن وآخر، كانوا يؤخذون من بيوتهم ليلاً على انفراد أو قد يستدعون بحجةٍ ما. لتغيب اثارهم فلا يُسمع عنهم بعدها. ويأبى القتلة ان تكون نساء الضحايا من فريق المحظوظين الذين تسلّم اليهم جثث ذويهم لتدفن سرّاً وليكون لها قبر يزار ومجلس فاتحة ومعزّون. واذكر بهذه المناسبة، ان الشيخ محمد خالد لم يجد بداً بالأخير من اقامة مجلس الفاتحة في مدينة كرج بايران ايام وجودي

= من صداع للسلطة ايام قيامي بمسؤولية "التلخي" لكني مالبثت فاطرحت هذا التعليل بعد لقائي بملامصطفى واطلاعي على تفاصيل المحاولة ومراميها القريبة والبعيدة. وايقنت بأني كنت من بين المجموعة التي تقرر تصفيتها جسدياً بعد نجاح المؤامرة. وكان لديّ ثلاثة دلائل غير مانكرت. اولهما اني ارغمت والمسدس مصوب الى صدغي في قصر النهاية بعد اعتقالي مباشرة - على مخاطبة اهل بيتي لأخبرهم باني مسافرٌ الى كردستان. وثانيهما اني حبست في غرفة منفردة طوال المدة خلا بضع دقائق لقضاء الحاجة. وثالثها عدم ايقاع اي نوع من التعذيب الجسدي بي.

هناك (وربما في العام1982) على روح اخويه عثمان ونذير واولادهما وسائر اولئك الذين تحقق مقتلهم من شيوخ بارزان.

وبانكار النظام بكل صفاقة ايّ ضلع له في اختفائهم. كان من الصعب جداً أو المستحيل ان يقدم اي مبرر لجريمته فليس هناك تهمة ولا محاكمة ولاقرار حكم. والتفسير المقبول الوحيد في هذه الحالة ـ هو الشكّ العظيم الذي بقي يساور رأس النظام واعوانه من ولاء أو حيادٍ حقيقي لهؤلاء الضحايا ذلك الشك الذي تزيده حدةً عقدة الخوف من أسرة يتمتع افرادها بحبّ وولاء حقيقيّين عند قطاع كبير من الأمة الكرديّة. ويحظى بتجلة واحترامٍ كادا يكونان ذا طابع دوليّ.

هؤلاء الضحايا لم يكن لمعظمهم دور ايجابيّ في ثورة الكرد العراقيّة. الاّ ان مصيرهم المحزن كان بايّ حالٍ مرتبطاً بوجودها واستمراريتها. فلولا تلك الثورة لوجدنا الغالبية العظمى منهم ينعمون الآن بنسمات الحياة ولكان الطاعنون في السنّ منهم لفظوا آخر انفاسهم على فراشهم بسلام يحيط بهم اهلهم وذووهم. ولكان لهم قبر يزار، ومجلس فاتحة يقام.

وبتحصيل حاصل يمكن القول بكلّ اطمئنان انه لم تُتكب أسرةٌ كأسرة شيوخ بارزان بهذا الحجم الكبير من الضحايا في كلّ تاريخ نضال الشعب الكردي علّت تلك الأسرة او سفلت. ولم تكن كغيرها من الأسر الكبيرة او الشهيرة الكردية التي شارك بعض افرادها في ذلك النضال واثر بعضها الحياد والسلامة. او تلك التي فرقتها الولاءات السياسيّة والنزاعات الداخليّة.

لاسبب هناك نَبَه شأنُه أو خَمَل ـ يدعو الى شطب اسماء هؤلاء من قائمة ضحايا النظام الدكتاتوري العراقي.

وليكن في هذا عبرة وتبصرة للاحياء

وهؤلاء هم بالاسماء قدّر علمنا وبنتيجة تحقيقاتنا:

(1) عبيدالله (2) لقمان (3) صابر :ابناء ملامصطفى. (4) الشيخ عثمان ابن الشيخ احمد (5) الشيخ نذير ابن الشيخ أحمد (6) رضوان ابن الشيخ عثمان (7) عماد ابن الشيخ عثمان (8) اياد ابن الشيخ نذير (9) سداد ابن الشيخ نذير (10) نوشيروان ابن الشيخ نذير (11) صلاح ابن لقمان ابن ملامصطفى (12) نوزاد ابن لقمان ابن ملاّمصطفى (13) بيداد ابن لقمان ابن ملاّمصطفى (14) آزاد ابن لقمان ابن ملاّمصطفى. [تعرض بارزان الابن الخامس الى محاولة اغتيال فنجا منها بجراح وربما كان هذا سبباً في نجاته من مصير

الآخرين] (15) ملا عيسى ابن مصطفى سعيد، من عمومة ملامصطفى ووالدته بنت الشيخ عبدالسلام الثاني. (16) محمد ابن ملاّ عيسى. (17) هلال ابن الشيخ صادق ابن الشيخ بابو اخ لملامصطفى (18) نوري ابن الشيخ محمد صديق أخو ملامصطفى (19) نافع ابن نوري (20) فاخر ابن نوري (21) الشيخ اسماعيل ابن الشيخ عبدالسلام الثاني (22) يحى ابن الشيخ اسماعيل (23) سبحان ابن الشيخ اسماعيل (24) ازهر ابن سبحان ابن شيخ اسماعيل (25) احمد ابن علي ابن محمد صديق (26) جگر ابن علي ابن محمد صديق (27) عبدالباري ابن شيخ سليمان ابن الشيخ عبدالسلام الثاني (28) صباح ابن شيخ سليمان (29) احمد ابن علي ابن احمد (30) سعيد عبدالرحيم سعيد من ابناء عمومة ملامصطفى (31) الشيخ خورشيد ابن اخت ملامصطفى (32) عبدالله ابن الشيخ خورشيد (33) عبدالحكيم ابن الشيخ خورشيد.

هەوڵێر کتێب

الفصل الثامن

في التآمر الداخلي. بعض النهايات

لم تحل العلاقة الحزبيّة دون غدر الزميل بزميله في حرب المنافسة على المركز المفضّل عند البارزاني وابنيه. وما ساقصّه هنا قد يصلح نموذجاً للاسلوب المتبع عادةً.

في شتاء العام 1967 قصد ملاّمصطفى (ماوەت) حيث كان الشيخ محمد هرسين مسؤولها الحزبي وهو عضو في اللجنة المركزية ايضاً وكان بصحبته محمود عثمان. وحصل أن تسمّم ملامصطفى بغاز اكسيد الكربون نتيجة ايقاد فحم الخشب داخل غرفة لامنفذ فيها وكاد يشرف على الموت لكنّه اسعف. وحصل ان قصّ محمود عثمان بعد ايام قصّة التسمّم بمحضر من صديقه سامي عبدالرحمن وآخرين فسأله هذا عمّا سيكون مصير الثورة والعلاقة مع ايران في حالة تكرار حادث مماثل آخر قد يؤدي الى وفاة ملامصطفى. ونُقل فيما بعد عن الدكتور محمود تعليقه على هذا بقوله لن يُخشى على الثورة ولا على علاقتها بايران بوجوده هو نفسه واضاف اقوالاً ترجمت منها بأنه يطمح بصورة جديّة الى ان يكون خليفة ملامصطفى. او هكذا نقل الحديث عنه صدقاً ام كذباً.

وقتذاك، لم يعد سرّاً ان (محمود عثمان) كان موضع اعتماد ملامصطفى واقرب الجميع اليه. فهو عضو في المكتب السياسي وسكرتير المكتب التنفيذي لمجلس قيادة الثورة اعني بمنزلة الوزير الأول. فضلاً عن كونه طبيب ملامصطفى الخاص. لذلك كان المنقول عن لسانه صدقاً او كذباً وبأي اسلوب او ظرف قدمّ - أمراً من الخطورة بحيث لايمكن ان يحمل محمل الدسّ او الوقيعة. لكن كان على الواشي ان يختار الوقت المناسب.

بعد ثلاث سنين استخدمت اقوال محمود عثمان بشكل ينفي عنها كُلّ براءتها وحسن نيتها.

وكان ذلك عندما نسّب البارزاني (عثمانَ) رئيساً للوفد الذي شخص الى بغداد بعد اذاعة بيان آذار. هناك وبغفلة من رئيس الوفد هذا او ربما بشعور مفاجيء باهميته، راح يتصرف وكأنه صاحب الكلمة الأولى ناسياً لفترة قصيرة قواعد البروتوكول التقليديّة - أي ان ابني البارزاني هما ممثلا شخصه وعليه ان لايتقدمهما او يتصرف تصرفاً يشعر الاخرين بأنهما اقل شأناً منه. وليس في وسعي الحكم على مابدا من محمود عثمان وقتها فعلاً. لكني كنتُ موجوداً وبمحض الصدفة عندما بلغ أمر ذلك ملامصطفى بمبالغة وتهويل مناسب للوقيعة.

فقد كُتبتْ رسالة له وأُرسلتْ بيد ساعٍ خاص ومعها صورة مقتطعة من احدى الجرائد تمثل (محموداً) مع رئيس الجمهورية وقد رفعا يدين متشابكتين مع صورة اخرى معه يتقدمان الجميع والنجلان البارزانيان يسعيان خلفهما.

استودعني (محمود عثمان) بعض الاسباب التي ادت بسحبه فجأة من رئاسة الوفد الى ناوپردان بمجرد برقية صادرة من ملامُصطفى. وكنت زائره الوحيد ليلة وصوله. وقد لقيته وحيداً في (كپرته) المتواضعة مجرداً من كلّ مظاهر الفخامة والاكرام والحفاوة التي ذاقها في بغداد وَجدته وليس معه غير حارسه ومصباح معتم.

ليس هناك "مُطيّر" احذق من ملامصطفى في قص جناحي من يطلقه من الطيور لئلا تتجاوز ابعد او اعلى مما تقوى عليه او يسمح لها به.

ولاتساعفني ذاكرتي على التاكيد بأني قصصت على دكتور محمود المشهد التمثيلي الذي جرى بحضور ملامصطفى. وقد اختير له من بغداد ممثل بارع قدر ماهو ساذج مؤمن بأن مايفعله هو خدمة للحزب والثورة. فقد راح يقلد (محموداً) بحركات هزلية. وهو جالس في الوسط على مقعد مرتفع وقدماه تتأرجحان في الهواء لاتبلغان الأرض لقصر قامته وكيف ان ابنيه كانا في مؤخرة المجلس يكاد لااحد يلتفت اليهما والعيون شاخصة الى (محمود) والآذان مرهفة لسماع كل عبارة منه. مبالغة وتهويل لاشك فيهما.

عرفت بالرسول ممثل الهزلية الدكتور عادل نعمت وهو حَدَث عندما كان في العام 1960 طالب ثانوية وكنت مختفياً في بيت أحد اقربائه. والحق اقول ان نفسي اشمأزت وامتلأت قرفاً لهذا الاسلوب الدنيء الهادف الى تحطيم انسان ذكي متفانٍ واسع الاطلاع كالدكتور محمود وتلك ميزات كان يفتقر الى بعضها غيره من رجال القيادة. قدر ما اسفت لما كان يبدو لي منه من تحولات سريعة وارادة غير مستقرة وقلة خبرة في اختيار الصالح لوضع الثقة. سحبت

الدكتور عادل نعمت بعد فراغه من تمثيليته وتركه لمجلس البارزاني الضاحك المستمتع جداً كما بدا لي). وانتحيت به جانباً. ورحتُ الومه لوماً شديداً وبسخطٍ وغلاظة لا اقتصاد فيها وعبت عليه ان يكون اداة مسخّرة. وقد اعترف لي انه لقِنَ ما نقله للبارزاني ولكنه كان مصراً على ان مايفعله هو لمصلحة الحزبَ وانه كان موجوداً شخصياً في القاعة، وانه نسخ المنظر كما رآه.

ولم يبخل محمود عثمان اثناء جلوسنا معاً في (كيرته) بذكر أسم الشخص الذي يختفي. وراء كل ذلك.

عندما تقذف بحصاة قذفاً افقياً على سطح ماء ساكن بقوة تجدها تعمل عدة قفزات مخلفة في كل واحدة دائرة اوسع قبل أن تنفذ قوتها وتغور في الاعماق.

فاكمالاً للاجهاز على مكانة (محمود) بدأ اصحابه ومشايعوه يسقطون من حوله تباعاً اما بعامل الخوف وإما بالوقيعة. وبدأ الظرف موآتيا لإعلام البارزاني وابنيه بما قاله محمود في (ماوهت) قبل ثلاث سنين، واذا بالقصة تشيع. وذكرتْ صراحةً امام البارزاني ورويت له بشكل يوحي بان محموداً يطمح الى استخلافه. وانه يتصرف وكأنه وليّ عهده!

اذكر ان المأسوف عليه الشيخ محمد هرسين دخل عليّ هائجاً مستفظعاً نشر حكاية تافهة بهذا الشكل، واعتبرها اهانة شخصية لانها وقعت في بيته.

كان الشيخ هرسين كما اسلفتُ مقرباً لملامصطفى وموضع ثقة واظنّه بقي كذلك الى الأخير فقلت له لماذا لاتكذّبها. فاجاب فعلتُ وجاهدتُ لكن الاسماع والاذان مهيأة لسماع السّيء فقط. وخرج الشيخ من هذا الدفاع بعداء مستحكم من الواشي، وقد كان القصد الأساس نسف مكانة محمود. وازداد العداء شرّةٍ الى حدّ الانتمار بعضويته في انتخابات 1970 وسقوطه، ثم خسرانه حياته.

عهد للشيخ هرسين بعد اتفاق الحادي عشر من آذار بادارة الشؤون الماليّة. فقطع دابر المنح والهبات التي كانت تدفع لجهات معينة واشخاص (بعضهم لاوجود لهم). وفي خلال ستة اشهر كان هناك (55) الف دينار حصيلة تلك الهبات والمنح الخفية غير المشروعة وفّرها الرجل للثورة وكان هو صاحب فكرة انشاء مخازن عامّة بهذا المبلغ. فسارع الجميع بالموافقة وجعلوه مشرفاً على المشتريات في طهران. وبقي في هذه المسؤولية حتى نهاية الثورة.

ذكر لي ونحن في كرج. أن ملامصطفى سأله عن حاجةٍ في نفسه يقضيها له. فطلب منه ان يتوسط له عند السلطات الايرانية لمنحه الجنسيّة الايرانية لانه يعتزم أن يباشر التجارة

والاعمال الحرّة. وانه لايريد غير هذا فبدون الجنسية لايمكن ان يزاولها. فلبى طلبه وتوسط له.

كانت السمسرة عمله (اذ لم يحرز رأسمال يؤهله للتجارة) يتقاضى العمولة التي تفرضها الوساطة التجارية الاّ ان اوساط القيادة المؤقتة راحت تروج الشائعات حول استثثاره بملايين من اموال الثورة. وصدّق بها حتى اولئك الذين وقعّوا على صك براءة ذمته بعد ان حاسبوه بناءً على طلبه واصراره، كان ذلك على اثر البيان الذي اصدروه بعد نجاح الثورة الاسلامية في ايران واتهموا فيه قرابة اربعين اسماً من اللاجئين عزوا اليهم التعاون مع السافاك الايراني، وجلّهم من المخلصين الذين خدموا الثورة والحزب بحماسة وتجرد - وليس بينهم إلاّ من تكُن له تلك القيادة عداء شخصياً لسبب ما او غيره. فنشر البيان الفزع وبث الهلع في نفوس الاشخاص المثبتة اسماؤهم. وهرب منهم من هرب واختفى من اختفى واسرعت البقية الى العراق، في حين لجأ آخرون الى دول أخرى. كانت عملية انتقامية من جهةٍ، تستبطن غرضاً مقصوداً آخر هو ابعاد بعض المخلصين الذين أبوا مفارقة ابني البارزاني في تلك الظروف العصيبة وكانوا على استعدادٍ يوماً للبذل والعمل للقضية القوميّة.

كان الشيخ هرسين بعد حصوله على الجنسية الايرانية قد باشر عمله خلال ذلك وسكن منزلاً حقير المظهر والمَخْبر في واحدٍ من ازقّة كرج الضيقة دون ان يدري بطبيعة الحال أن اجله كان مقدراً له ان يرتبط بأجل البارزاني. وهناك تفاصيل لانباء شتّى عن كيفية إنهاء حياته. والثابت منها والمعلوم انّ القيادة المؤقتة بعثت برسولها الى داره بمناسبة اربعينيّة البارزاني في 1979 تدعوه الى الحضور مع آلة تصويره لالتقاط وقائع المناسبة. فلبى وذهب وذهبت آثاره ولايعرف رسمياً كيف قُتل ومن أمر بقتله واين ثوت عظامه فكّل هذا يستدعي تحقيقاً قضائياً وهو أمرٌ محال في تلك الظروف حتى وان وقع طلبٌ رسمّي من ذوي القتيل، و(اومرتا) المافيا الثورية للقيادة المؤقتة. بله لقيادة الحزب كانت ستحول دون ذلك، ومفتاح التحقيق وهو ذلك الذي ارسل اليه بطلب قدومه. قد يكون بريئاً اي مجرد رسول يجهل ماخبيء للضحية. وقد يكون أيضاً جزءً من المؤامرة وضالعاً فيها. والحكايات كثيرة في هذا الصدد ولدي طائفة كبيرة منها، تتهم اشخاصاً بالذات وبالاسماء.

لم يجرء احد على السؤال عن مصيره. حتى ادريس البارزاني نفسه الذي كان يجلّه ويقّدر اخلاصه. فقد لاذ بالصمت المطبق رغم معرفته بالمصير الذي آل اليه صديقه. ووجدت امّ اولاده الابواب كلها موصدة بوجهها وقد راحت تطرقها اشهراً بطولها تسأل عن مصير زوجها. اخيراً

وعلى ماقيل انها لجأت الى الشيخ محمد خالد البارزاني فوجدت عنده الجواب القاطع قال لها "لاتسألي عنه واذهبي اقيمي الفاتحة على روحه".

كان الشيخ هرسين يشكو من ضعف القلب. والرواية القريبة التي يؤكدها التواتر انه استقدم واخضع لتحقيق عنيف غرضه ارغامه على الاقرار بما اشيع انه تخلّف بذمته ونمة ادريس عقب جرد الملايين من مخازن الثورة. وعجّل التشديد عليه باستعمال وسائل تعذيب جسدي في اصابته بنوبة قلبيّة. (ذكروا لي ان الجلاد المنفذ والموكّل بانتزاع الاعتراف منه. كان يركب صدره وهو ملقى ويضغط عليه بقدميه وبهذا أخمد انفاسه).

حاول الجناة بعد موته تبرير عملهم بترويج اشاعة ابتزاز الشيخ هرسين اموال الثورة وانهُ ابى التنازل عنها. تغطية لعمليّة الانتقام الشخصية التي ذكرناها وقد نُشرت الفرية بالفعل حتى مال الى تصديقها بعض من هو عليم بدواخل الأمور. الاّ انها ستبقى ابداً مكذوبة. فطوال السنوات الاربع التي مرت على لجوئنا الى ايران وبعلاقتنا التي لم تنقطع، لم الحظ عليه ولا على اسرته الكبيرة شيئاً من علائم النعمة، وبعد موته، كان كل من اختلف الى منزل ارملته الحقير ومنهم كاتب هذه السطور - لاتفوته ملاحظة مظاهر الفقر والخصاصة التي تعيشها الاسرة. ولم يكن هناك كرسي واحد، والزائر لايجد غير بساط حال لونه من فرط القدم يجلس فوقه. وقد وفقّني الله في العام 1985 على ماتذكر - لانتشال الاسرة جميعاً من بؤسها بتدبير أمر لجوئها الى السويد.

مازلت حتى الساعة، حائراً في تعليل استبعاد اسمي من بيان عملاء السافاك الذي اصدرته القيادة المؤقتة. وماالذي كان يتوجّب علي عمله في حالة مالو أدرج اسمي في قائمة العملاء. وعلى أية حال فما كنت متأكداً منه ان مصيري لن يكون مماثلاً لمصير الشيخ هرسين. لأن اثاث جريدة التآخي الذي اتهمت بسرقته في العام 1970 كان ضئيل الثمن لايستوجب القتل.

وبطبيعة الحال لم يكن من الكياسة وحسن الذوق - ولا اقول من السلاّمة السؤال عن مقتل هذا الجندّي البارز في الثورة: من الذي أمر به ؟ بايّ ذنبٍ قتل ؟ من حقق معه؟ فهذه من الأمور التي جرت العادة، أو قانون (الأومرتا) الثورية هناك. ان لايكون فيها سؤال، وان لايصدر للسؤال عنها جواب.

الفصل التاسع

الموقف الايراني 1969 ـ 1975 والتمهيدات
لاتفاقية آذار

في اوائل شهر نيسان (ابريل) 1969 استغل الشاه الايراني موقف البعث الجديد المضطرب وضعفه البادي وقلة حيلته في معالجة الوضع العسكري في كردستان فضلاً عن خشيةٍ من انقلاب عسكريٍّ يبدء بالزحف عليه من خطوط الجبهة. فاعلن من جانبٍ واحدٍ ـ الغاء اتفاق الحدود المعقود بين العراق وايران في الرابع من تموز 1937، الذي بدا له ان ايران خرجت منه بصفقة المغبون بخصوص مياه شط العرب. فقد تحدّت مادته الثانية المبدء الدولّي المعروف بمبدء خطّ (تالْويك) الذي ينصّ على جعل الحدود النهرية بين البلدين المشاركين فيه تمرّ بخط اعمق نقطة في النهر وأصر الايرانيون على ان يكونوا ادلاّء سفنهم في شط العرب واتهموا العراقيين بالتعرض لها واقدموا على هذا فعلاً... في حين اثبتَ الاتفاقُ حدودَ العراق في نهاية مستوى المياه المنخفض للضفة اليسرى (اي الايرانية) فادّى ذلك عملاً الى وقوع الشّط كلّه داخل الحدود العراقية وقد صدق حدس الشاه فقد كان حكام العراق الجدد اضعف من التصديّ لهذا العمل والردّ عليه بعنفٍ بسبب انشغال الجيش في الحرب الكرديّة. كان هذا بعض الثمن الذي قبضه الشاه جراء دعمه للثورة الكرديّة.

اقتصر الرد العراقي الرسمي على الاحتجاج الدبلوماسي والشكوى الى الامم المتحدة والضجيج الاعلامي والسعي الى تحريض بعض العناصرالعربيّة في خوزستان (الاهواز)

للادعاء بعائدية منطقة عبادان وسائر المناطق الأخرى التي تسكنها غالبية من القبائل العربيّة وهي مناطق غنيّة بالنفط. واقتصر الأمر على الاقوال دون الأفعال.

إلاّ ان النظام صبّ جام انتقامه وخيبته على رؤوس اولئك العراقيين الشيعة الذين لايملكون جنسيّة عراقية. واغلبيتهم الساحقة من الكرد الفيليين. ففي ذلك العام كانت بداية عمليات التهجير الجماعي المتواصل الذي دام اكثر من اثنتي عشرة سنة، دفع النظام خلاله باكثر من مائة الف مواطن عراقي بالولادة وبحق القرار عبر الحدود في ظروف مرعبة تخللتها مآسٍ وفواجع ومصادرات وقتول.

وردّ الايرانيون على هذا بزيادةٍ في حجم مساعداتهم للثورة وبافساح المجال للمزيد من التعاون الامريكي الاسرائيلي فيها. ذلك التعاون الذي لم يكن خفياً عن الحكومات العراقية المتعاقبة منذ أن بدأ في مطلع العام 1964.

فاضطر حكم البعث بسبب ذلك الى اعادة النظر في موقفه من القضية الكردية مبدئياً وسياسياً. ووجد بالأخير ان مفتاح حلّ مشاكله يحتم عليه التحول عن الموقف القومي الصلب، والاستجابة الى المطالب الكرديّة ولو بصورة مؤقتة كما تبين ذلك فيما بعد.

وبدأت في حدود ذلك الزمن ترد الى مقّر الثورة رسائل من ضباط عراقيين ميدانيين ورجال بارزين الى اشخاص معينين من رجال الثورة. تتحدث عن الأخوة ورابطة الوطن الواحد. وضرورة احلال السلام والتفاهم واستعداد الحكم الجديد لقبول المطالب المتعلقة بالحقوق القوميّة وقد اطلع كاتب هذه السطور على اكثر من رسالة في هذا المجرى. أوعز البارزاني للمرسلة اليهم ان يردوا عليها باجوبة مشجّعة.

ثمّ مرت فترة ركود في العمليات اثر الضربة الجريئة التي وجهت الى منشآت النفط في كركوك (شباط 1969).

وفجأة ـ ويايعاز من حكام البعث ـ ادلى ميشيل عفلق مؤسس حزبهم وفيلسوفهم بتصريح في 15 من حزيران (يونيو) 1969 . مؤكداً فيه حق الكرد العراقيين في ادارة ذاتية، تضمن لهم ممارسة حقوقهم القوميّة وقال ان حكومة البعث في العراق لاتعارض مطلبهم في شكل من اشكال الحكم الذاتي. وان الحركة الوطنيّة الكردية ماهي الاّ جزءٌ من الثورة العربيّة الكبرى. [وقد مرّ تفصيل ذلك].

واتخذت جريدة "الثورة" الجريدة الرسميّة لحزب البعث من هذا التصريح نقطة انطلاق

فراحت تضرب على هذه النغمة في سلسلة من المقالات التي بلغت ختامها في شهر تشرين الأول 1969 وقد عقبها القرار الحزبي المعروف الذي اعترف للكرد بحقّ الحكم الذاتي.

وكانت اعداد الجريدة تصلني في حينه لتتسق مع الرسائل المتبادلة وبعض اللقاءات الخاصة على خطوط الجبهة ولم يكن بالعسير على المتتبع أن يدرك مايجري سيما بعد أن ساد هدوء تام على سائر قطاعات المواجهة العسكريّة. حتى جاء دارا توفيق وهو بثيابه المدنيّة مودّعاً وقائلاً انه مسافرٌ الى بغداد لوضع أسس اللقاءات.

*** *** ***

وتشير اوراقي الى الموضوع أيضاً بمقتبساتٍ من جريدة "نيويورك تايمز الامريكيّة" كنت قد دونتها في حينه. مؤرخة في 26 نيسان (ابريل) 1970 و 25 شباط (فبراير) 1972 و 4 شباط 1974 و 25 نيسان ابريل 1975 اثبتها هاهنا وفقاً للتسلسل الزمني.

« عندما بدا البعثيون مستعدين للتوصل الى حَلٍّ سلمي للقضية الكردية، أنذر الشاه بهلوي الولايات المتحدة بان مثل هذه النهاية للثورة هي في مصلحة الاتحاد السوفييتي - وكان منطق الشاه أنّ العراق هو اشبه بحصان طروادة [1] يمكن للسوفييت بواسطته الوصول الى الخليج. وفي وقتها لم يكن لامريكا علاقات دبلوماسيّة مع بغداد. وقد افاد السوفييت فوق ذلك من ميل الغرب وامريكا الى اسرائيل. الأمر الذي كان يحمل العرب على التوجّه الى الاتحاد السوفييتي. وفي شهر شباط (فبراير) 1972 سافر صدام حسين نائب الرئيس العراقي الى موسكو ليعقد اتفاقاً اقتصادياً وعسكرياً. تلاه في شهر نيسان (ابريل) معاهدة صداقة لمدة 15 سنة وقّعها الرئيس (الكساي كوسيگين) في بغداد.

واقترح الشاه على نيكسن انه بالامكان وبقليل من التشجيع والحثّ ان يثار الكرد حول موضوع كركوك. كان من مقتضى اتفاق 11 آذار (مارت) ان يجري استفتاء بخصوص ضمها الى اقليم الحكم الذاتي.

1ـ الاسطورة شهيرة. ففي ملحمة الالياذة لهوميروس (القرن التاسع ق. م) ان الحلف الاغريقي عندما عجز عن اقتحام مدينة طروادة، عمد الى بناء حصان عظيم من الخشب واخفى فيه محاربين ثم تظاهرت قواتهم بالانسحاب من ميدان القتال بركوب السفن وتركوا الحصان. فخرج الطرواديون ونقلوا الحصان الى المدينة. وعندما جنّ الليل خرج المحاربون وفتحوا ابواب السور للمهاجمين فدخلوا المدينة واهلها في غفلة واستولوا عليها.

لكن بغداد عدلت عن ذلك واقترحت الاستناد الى الاحصاء العام الذي جرى في 1957. لايعلم المنطق الذي اعتمده الشاه ـ الاّ ان عقد معاهدة الصداقة مع السوفييت، وتدفق المعدّات العسكرية، ونيّة البعث في اجازة الحزب الشيوعي العراقي بالنشاط، واشراكه في الحكومة، وما اشيع عن نية منح السوفييت امتيازات وتسهيلات في ميناء البصرة ـ كان كافياً في العام 1972 لنيكسن، ليتخطى رؤوس مستشاريه الكبار في الاستخبارات، ضارباً باعتراض الـ CIA عرض الحائط وضرب حصاراً على وزارة الخارجيّة حتى أرغمها على تولّي أمر المساعدة للكرد. وقد تبيّن فيما بعد ان التعهدات التي قطعتها الولايات المتحدة للكرد بهذا الخصوص، كانت عاملاً جوهريّاً في استئناف القتال.

لم يكن البارزاني يثق بالشاه كفردٍ. وقد جاء في تقرير بايك Pike "ان الوثائق التي هي في حوزة اللجنة تشير الى ان الولايات المتحدة كانت في الواقع تقوم مقام الضامن للكرد بانّ الشاه لن يتخلّى عنهم فجأة. ويبدو ان المساعدة الاميركية لم تتجاوز 19 مليون دولار صُرف معظمها على شكل ملايين الاطلاقات، وكميّات من البندقيات الاتوماتية الصينية الصنع نقلت من مستودعات اسرائيل من حرب 1967".

قد يبدو البارزاني لبعض الناس، أن قبوله بهذا يضعه في عِداد اولئك الزعماء المتصفين بالتسرع، وان عمله يتصف باللامسؤولية الخارقة للعادة. في الوقت الذي بدا وكأنه بلغ مرحلة موفّقة لحلّ نزاع مع بغداد دام اكثر من عشر سنين. الاّ ان اجراءات بعثية معينة صدرت منهم خلال الفترة ارغمت البارزاني على عقد هذه الصفقة مع الغرب. فبين العام 1970 وقت توقيع الاتفاق والعام 1974 عند استئثار البعثيين بوضع صيغة الحكم الذاتي كانت هناك محاولتان على الأقل لاغتيال البارزاني، وكلتاهما كانت على حظّ كبير من النجاح. وكلتاهما وجب ان تلقى تبعتها على اعتاب باب حكّام بغداد. بل واكثر من هذا فقد اتبعت حكومتهم منذ العام 1970 سياسة تعريب كردستان باسكان مجموعات عربية فيها. مركزة مجهوداتها تلك في كركوك ولم يكن الأمر بخافٍ على احد. ولم يقتصر ذلك على كركوك، بل تعداها الى مناطق الموصل وخانقين الكردية واخيراً فان الحكم الذاتي المقترح كان من وجهة نظر الكرد فماً خالياً من الاسنان.

منذ اوائل الحرب اصرّ البارزاني والپارتي بأنهما لايحاربان من اجل الحكم الذاتي وحده، بل كذلك من اجل اشاعة الديمقراطية للعراق. وهذا الاصرار ليس مجرّد كلام دعاية وشعارات

خطابيّة، فبدون قيام بعض الاجراءات في الحكم ذات طابع ديمقراطيّ لايعود للكرد ضمان في الاحتفاظ بالمكاسب التي حصلوا عليها. كانت الحكومة والپارتي قد اتفقا على ان يكون للكرد مقاعد متناسبة وعددهم في البرلمان. لكن وبنهاية أمد الاربع سنوات (1974) لم يقم برلمان. وبقي الحكم بيد مجلس قيادة ثورة. ليس فيه عضو كرديّ واحدٌ وواصلوا الحكم بموجب دستور مؤقت.

ان تقرير (پايك) يتضمن مقتبسات من تقرير المحطة الرئيسة لوكالة الاستخبارات الامريكية CIA : في طهران. منها هذه البرقية

«لدى الـ CIA معلومات مسبقة توحي بان حليفنا (اي الشاه) قد يتخلى عن الكرد ماان يتوصل الى اتفاق مع عدوّه بخصوص النزاع على الحدود» وفي السابع من آذار (مارس) 1975 وفي اثناء انعقاد مؤتمر للاوپيك بمدينة الجزائر تمّ الاتفاق على مايعتبر واحدة من اعظم المفاجآت السياسية في حياة الشرق الاوسط لفترة مابعد الحرب العامّة الثانية. وما من شك في ان البارزاني قد أُخذ بها على حين غرّة ولم يكن لديه وقتٌ للإحتجاج.»

ويستطلي تقرير پايك:

«ان قطع المساعدات وغلق الحدود اصاب القيادة الكردية بصدمة عنيفة قال لهم ممثلو الشاه بأغلظ مايتصوره العقل من تعبير :الحدود مغلقة بوجه الجميع. ولم يكن البارزاني يأمل بايّ مساعدة من ايران وكان عليه أن يلقى له مخرجاً مع العراق بايّ شروط. في عين الوقت سمح لوحداته العسكرية باللجوء الى ايران بمجموعات صغيرة وكان عليها ان تسلم اسلحتها.

ويثبت تقرير پايك نصّ برقية البارزاني لكسينجر مناشداً التدخل « ان حركتنا وشعبنا على شفا الدمار... نشعر ياصاحب السعادة بأنّ للولايات المتحدة مسؤولية ادبيّة وسياسية ازاء شعبنا».

عندما أبرق رئيس محطّة الـ CIA في طهران برقيّة البارزاني طلب في عين الوقت جواباً على النداء الملهف فردّ موظف حكوميّ عالي المقام رافضاً ايّ مداخلة للولايات المتحدة مع الكرد، محتجاً بان عمليات الخدمات السرّية Covert Operations ، ليست مجهودات تبشيريةMissonary Efforts .

مامن شكّ في ان الولايات المتحدة ليست بحاجة تدعوها الى مساندة مغامرة في كردستان اذا كان بوسعها الحصول على ماتريده: من استقرار للمنطقة بالتعامل رأساً مع الحكومة



هەوالنامەی کتێب

آخر صورة لملامصطفى البارزانى

في الأرضية يونان هرمز (من اليمين) ودارا توفيق (من اليسار)

العراقية وقد تمّ هذا فعلاً».

ولكلّ من الاتحاد السوفياتي والولايات المتحدة بقي أمر الاستقرار في جنوب القفقاس ـ ايران، ومنطقة الخليج ضرورياً. وبكلمة أخرى ان الهدف الرئيس هو المحافظة على نظام الدول فيهما. وسياسات الدولتين العظيمين في هذا الشأن لاتختلف عن السياسات التي كان يتبعها السلاطين العثمانيون والشاهات الايرانيون باستخدامهم الكرد أقناناً ومرتزقة يهدد بهم احدهم الآخر. اجل بقي الكرد كبيادق الشطرنج في ايدي القوى الكبرى قروناً عدة.

انه لمن الصعب جداً ان نتصور امكان الكرد تجنيب ثورتهم تلك النهاية المؤسفة عندما اقدم العرب على قطع نفطهم عن العالم الغربي [1]، باعتبار العراق الدولة الرابعة المصدرة للنفط وايران الدولة الثانية[2] ما أن يبدء يدّر هذا النفط الثروة الطائلة على الدولتين فان الحرب الكردية لن تعود على ايٍّ من الطرفين الاّ باتفه الفوائد.

هەولێر کتێب

1ـ كان ذلك كما هو معلوم بمناسبة حرب سيناء في العام 1973 .

2ـ وبينهما الكويت والسعودية.

الفصل العاشر

بعد فوات الاوان

الإنحلال الحزبي، محاولة الترقيع.

في اواخر ايلول من العام 1974. اجتمعت اللجنة المركزية للحزب. (كنت كما ذكرت غائباً عادةً وحضوري غير مستساغ)، وقد علمت ان الجلسة كانت مخصصةً للبحث في شؤون الحزب ومآل اليه من التسيّب والتمزق، وان المكتب السياسي واللجنة المركزية كانت تشعر بضرورة عمل شيءٍ بالاقدام على محاولةً جدية للحيلولة دون انحلال فكري وتنظيمي عام في الحزب، وبسبب الاهمال المريع الذي اصابه خلال السنوات الاربع الماضية.

واتخذ اثر ذلك قرارٌ يقضي بان يُعهد الى عضو المكتب السياسي المرحوم (نوري صديق شاويس) بمهمة اعادة تنظيم الحزب. وان يُعهد الى كاتب هذه السطور بمسؤولية التوجيه الفكري والاعلامي فيه وان نعمل بالتنسيق معاً وتحت اشراف اللجنة المركزية.

او هكذا مابلغتُ به.

في اليوم التالي قصدني سكرتير الحزب في حاجي عمران وابلغني بالقرار.

ولم يكن في الأمر غرابة أو تشريف او اعادة اعتبار! فهذه المسؤولية القيت على عاتقي طوال سنتين اثنتين قبل اتفاقية آذار من دون عنوان او اناطة رسميّة. وفي اعتقادي وكما يشهد الكثيرون اني احدثت اثراً باقياً في التوجيه الفكري باصراري ونجاحي في تأسيس معهد

الكوادر المتقدمة وقيامي بوضع نظامه ومنهاجه الدراسي وثم اختصاصي باهم مادتين فيه، فضلاً عن اشرافي على مطبوعات الحزب كافة وقيامي بكتابة معظم موضوعاتها.

في مجموعة قيادية بهذا الوصف الذي بسطتُه عنها وبهذا الشكل في التركيب ـ فضلاً عادة درجت عليها ـ لم يكن هناك مبرر لي للسؤال عما حدا باللجنة المركزية الى الانتباه الى وجودي والى تقدير قيمتي لاناطة هذه المسؤولية بي. خصوصاً بعد ان كانت (التآخي) قبل بضعة اشهر قد نشرت خبراً عنيّ وانا في بيروت تنكر لي اية علاقة بالحزب الديمقراطي الكردستاني على اثر اعتقالي هناك بضعة اسابيع بتهمة سرعان ماانضح زيفها وفيها كنت ضحية دسيسة بعثية.

وبقيت اربأ بنفسي عن تذكير الآخرين بحماقاتهم وسقطاتهم، وبالاساءات التي تحملتها.

بموجب التشكيل الاداري بعد استئناف القتال، استحدثت مديريات (امانات) اشبه بالوزارات لمختلف الاجهزة، وانيطت (امانة) الاعلام بدارا توفيق وشملت مسؤوليته الاشراف على الاذاعة ومطبوعات الحزب والثورة. وهاتان كانتا في صميم العمل الجديد الذي اسند اليّ. فبعد ان ابلغني حبيب بقرار اللجنة المركزية وافقت مبدئياً وابديت استعدادي مخلّفاً كلّ شيء ورائي، غير معاتبٍ او منكِر. لكني بيّنت بصراحة اني لااقبل بغير المكتب السياسي مجتمعاً، مسؤولاً ومحاسباً وجاهاً وعلناً. ففهم قصدي وقلت عندي اقتراحات اضافية أخرى سأبوحها. وستكون شرطاً لقبولي وفي اليوم التالي عصراً، جاءني دكتور محمود عثمان في عين المهمة فقد خرج السكرتير كما يبدو وهو في شك من قبولي. قلتُ له اني على استعداد لكني ساكتب لكم ورقة عملٍ وستكون امامكم غداً صباحاً. وفي الغد حملت اقتراحاتي مكتوبةً اليهما. فاسرعا ليرشداني الى مقرّي القريب من مكتبها لكني عاجلتُهما بطلب قراءة مقترحاتي اوّلاً. فتوقفا عند البندين اللذين يقضيان بتسلّمي مسؤولية الاشراف على الاذاعة وكلّ مايقدم للمطبعة قبل نشره موقوفاً على مصادقتي. وكان تعليقهما على هذا انه لايمكن تحقيق هذين البندين و "انتَ تعرف السبب!!".

كنت اعتقد بعد صدور هذا القرار. ان هذه القيادة التي مزقتها الأحقاد، وشتتها الصراع الداخلي قد شعرت بالأخير بمسؤوليتها فعلاً ازاء الحزب والثورة، فخاب ظني. فقلت لهما ـ والله يشهد على قولي ـ «اني وضعت هذه الافكار بعد تأملٍ طويل وبنيّة صادقة ولايسعني العمل بغير تحقيقها وعليكم ان تتدبروا الأمر». ثم تركتهما.

والظاهر انهما انهيا مسألة رفضي الى (ادريس) واطلاعه على ورقة العمل التي كتبتُها ففي مساء اليوم ذاته جاء أدريس ووقف دون ان يجلس معتذراً باجتماع وشيك. وسألني لماذا لاتباشر عملك؟ ماالذي يمنعك من الاستجابة للقرار؟ فأكدت له اني لم امتنع قطّ. ولكني اريد ازالة عراقيل تعترض سبيلي وقد كتبتُ بها ثبتاً وهو امام المكتب السياسي. فردّ يقول: موضوع الاذاعة قد يمكن حلّه ولكن الاترى ان رفع يد مسؤول الاعلام عن المطبعة والنشريات يعتبر حكماً عليه بالتقصير ومساساً بكرامته؟

كان عليّ ان استنجد بأقصى ماعندي من ضبط النفس. واجبتُ باختصار اني شرحت الأمر لعضويّ المكتب السياسيّ وهما كما لاحظتُ يتفقان معي. ولكنهما لايستطيعان ان ينفذا ماطلبت وعليك انت ان تتدبر الأمر ففكرّ ادريس قليلاً ثم سألني ـ كم هو ثمن المطبعة؟ كم يكلّف شراء مطبعة؟

اذهلني هذا السؤال فعلاً وحرتُ في اجابةٍ مناسبةٍ فاقتصرت على القول بأني لاأعرف والامرُ خارج عن الصدد فكررّ سؤاله ملحاً "اريد ان اعرف كم تبلغ قيمة مطبعة كاملة". قلت قد يتراوح بين الخمسين الف دينار ومائة الف. اجاب سيكون لك هذا المبلغ وباشر عملك ثم اذهب لشرائها.

قال هذا وتركني حائراً ذاهلاً اضرب كفّاً بكفّ.

لم يعاودني أحد بعدها. وبقي راديو الثورة يذيع الرسائل المفتوحة الى "سالم ربيّع علي".

المحتوى

	صحيفة
المقدمة [مضافة]	3
المدخل للرسالة الاصلية	10
الباب الاوّل [نبذة عن الاحوال السياسية...]	12
الباب الثاني [اندلاع الثورة ....]	29
الباب الثالث [بيان آذار 1970 والاخطاء.....]	47
الباب الرابع [الدعم الخارجي .....]	77
الخاتمة [اضيفت الى الطبعة الثانية]	104
الباب الخامس [مضاف الى الرسالة الاصلية بطبعتها الحالية]	
صورة مفصلة عن الوضع العسكري قبيل اتفاق الجزائر..	108
الفصول المضافة:	
الفصل الأول: محاولة نقل القضية الكردية الى القاهرة...	119
الفصل الثاني: حول انشقاق العام 1964 ...	124
الفصل الثالث: بيان التاسع والعشرين من حزيران 1966 . ملابساته ومضاعفاته....	128
الفصل الرابع: خلفيات لاتفاق الحادي عشر من آذار.....	145
الفصل الخامس: "التآخي" في فترة رأستي تحريرها وفي اعقابها..	153
الفصل السادس: مدينة كركوك والنزاع حول تكوينها الاثني ومحاولة تعريبها.....	180
الفصل السابع: محاولة اغتيال ملا مصطفى البارزاني في عصر الاربعاء، 29 ايلول (سبتمبر) 1971	195
الفصل الثامن: في التآمر الداخلي. بعض النهايات	207
	221

الفصل التاسع: الموقف الايراني 1969 ـ 1975 والتمهيد لاتفاق آذار 1970 212
الفصل العاشر: بعد فوات الأوان، محاولة الترقيع... 218
ملاحظة: الهوامش والتعليقات الواردة على اصل الرسالة، كلها مستحدثة ومضافة الى النص.

هەوالنامەی کتێب

فهرست الاعلام

- أ. أ -

ابراهيم أحمد 3:14. 23: 23. 19: 25. 22: 26. 9: 33. 17: 34. 2:116. 17: 115. 16: 75. 2: 60. 17: 34. 25: 163. 14: 154.. 9: 151. 2: 124 14: 168. 23:167.

ابراهيم الخزاعي (الشيخ) 18: 199. 19: 198

ابراهيم فيصل الانصاري: 17: 148

احمد البارزاني (الشيخ) 9: 204

احمد ابن بللاّ 24: 81

احمد ابن علي محمد صديق 7: 206

احمد ابن علي احمد 9: 206

احمد حسن البكر: (التكريتي) 19: 73. 21: 65. 25: 64. 10: 45. 5: 85. 13: 86. 5: 119. 23: 122. 9: 146.16: 147. 1: 148.3: 149. 8: 158

احمد عبدالله: 17: 125

احمد قوام السلطنة 12: 100. 17: 101

احمد حسين المارونسي 22: 176. 1: 177

احمد الهيتي (الشيخ) 18: 198

أدريس البارزاني 16: 65. 12: 64. 15: 56. 2: 46. 19: 4. 8: 114. 5: 112. 25: 69. 9: 68. 9:67. 3: 66.3: 118. 18: 154. 2: 158. 10: 159 9: 169. 8: 176. 8: 177. 3: 198. 14: 210. 20: 168. 1:219. 5: 211.

آدم ايشو: 20: 199

ادموندز (س. جي) 13: 185. 1: 186

اردشير (ابن بابك) 18: 182

إريك رولو 25: 169

أزاد دزني 22 : 117
ازاد لقمان بارزاني 26: 205
ازهر سبحان بارزاني 6: 206
اسكندر ابن قره يوسف 17: 183
اسماعيل ابن عبدالسلام بارزاني :206 :5
اسماعيل الصفوي (الشاه) 23: 186
اسماعيل عارف 11: 126. 12: 34
اسماعيل ملاعزيز 20: 72
اشرف مروان 8: 87
الكساندر موزدروف 6: 82
الكساي كوسيگن 17: 214
امين سامي الغمراوي 9: 85
امين خاكي (العقيد) 21: 158
انور السادات 13: 115. 8: 87. 8: 86 .
أوليغ كوفتونوفتش 11: 82
أياد نذير البارزاني 14: 205
ايوب شيخ بابو بارزاني . 1: 177. 22: 176

— ب، پ —

باقر حسن المظفر [الشيخ] 19: 198
بالمرستون[اللورد] 20: 112
بريماكوف [يفجيني] 18: 147. 14: 146.
بشير فرنسيس 27: 182
بكر صدقي (الفريق) 17: 14
بهاءالدين نوري 25: 19

ترومان 14: 13
تشرشل 25: 13
توفيق السويدي 10: 13
تيمورلنگ 20: 186. 4: 183.

جرجيس فتح الله 25: 176. 9: 20.
جگر ابن علي محمد صديق 7: 206
جعفر عبد علي 16: 146
جلال بالطه 11:125
جلال جعفر الاوقاتي 24: 32
جلال الطالباني . 25: 24. 4: 119. 4: 120. 22: 122. 17: 125. 9: 151
24: 154. 21: 155. 23: 167
.

حاجي قادر 16: 109
حامد العاني 13: 201
حبيب محمد كريم 14: 37. 5: 126. 19: 140. 25: 154. 8: 155. 2: 156. 8: 157
16: 161. 25: 167. 5: 169. 21: 173. 3: 174. 9: 175. 13: 219.
حسن النقيب 18: 148
حسين (الملك) 4: 163
حسين بامرني (العقيد) 16: 201
حسين بوسكين (الشيخ) 10: 125
حكمت سليمان 17: 14
حلمي علي شريف 11: 34. 18: 125. 24: 154

حماد شهاب (الفريق) 23: 65. 24: 64
حمزة عبدالله 25: 18. 16: 24. 4: 126.
حمدالله المستوفي 3: 183
حميد برواري 17: 63
حميد ملاتوفيق 21: 138

- خ -

خروشچوف (نكيتا) 26: 32. 26: 79. 2: 81. 3: 82
خسرو توفيق 17: 24
خليل عبدالعزيز 7: 82
خواجه علي 20: 186
خورشيد البارزاني 10: 206
خيرالله طلفاح 5: 170

- د -

دارا توفيق. 11: 38. 26: 49. 25: 67. 4: 86. 19: 113. 20: 114
. 3: 147. 7: 149 . 17: 161. 21: 166. 25: 167. 11: 168
21: 169 21: 174. 10: 177. 5: 214. 11:219

دانا ادم شمدت 24: 109. 1: 119. 14: 120. 22: 122.
دزرائيلي 19: 99

- ر -

رامون مالينوفسكي 17: 20
رشيد سندي 17: 114
رشيد عارف 21: 37

رضوان عثمان بارزاني 23: 205
رفعت الحاج سري 3: 121
رمضان محسن عقراوي 24: 126
ريبتروب 17: 166
رينيه موريس 7: 132 . 27: 143

- ز -

زكي عقراوي 1: 139
زيد أحمد عثمان 22: 199

- س -

سادجيكوف 15: 100
سالم ربيّع علي 5: 86. 16: 220
ساطع الحصري 20: 131
سامي شوكت (الدكتور) 20: 131
سبحان شيخ اسماعيل بارزاني 2: 206
ستالين 24: 13. 7: 20. 14: 21
سداد نذير بارزاني 24: 205
سعدون غيدان 24: 65. 2: 166
سعيد حمو (الفريق) 18: 148
سعيد عبدالرحيم 9: 206
سفن سيمون 22: 116
سلوقس نيقاطور 16: 182
سليم الأول (ياووز) 21: 186
سليم زبير 19: 199
سليم الفخري 11: 125

سليمان ابن عبدالملك (الخليفة) 17: 133
سليمان القانوني (السلطان) 21: 186
سيد حسين خانقاه 21:37

ـ ش ـ

شاخوان نامق 19: 37
شاه رخ قره يوسف 15: 183
الشاه (محمد رضا) 10: 214. 2: 115. 8: 216
شريف محمد صالح نزاري 15: 199
شمس الدين سامي 10: 185
شمس الدين المفتي 12: 34

ـ ص ـ

صابر شيخ جامي 11: 111
صابر ملامصطفى بارزاني 22: 205
صالح الحيدري 16: 24
صالح زكي توفيق 22: 158
صالح محمود بارزاني 12: 196. 10: 198
صالح مهدي عماش 2: 121. 2: 122
صالح اليوسفي 12: 24. 19: 37. 20: 114. 18: 125. 1: 126.
20: 135. 20:140 6: 149. 7: 157. 12: 160. 15: 163.
صباح شيخ سليمان بارزاني 8: 205
صدام حسين 21: 65. 9: 73. 6: 147. 6: 189. 16: 203. 5: 204. 15: 214.
صديق شنشل 20: 122
صلاح عمر العلي 24: 160
صلاح لقمان بارزاني 25: 205

طارق توفيق (العقيد) 11: 146
طارق عزيز 26: 158
طارق عقراوي 60: 180
طالب شبيب 4: 121
طاهر يحى 5: 119
طلعت صدقي 12: 122
طه بامرني 11: 125
طه ياسين (العميد) 14: 148
طهماسب (نادر شاه) 1: 184. 37: 186

- ع -

عادل نعمت (الدكتور) 22: 208. 1: 209
عارف عبدالرزاق 6: 122 . 22: 131. 5: 132. 15: 134 .
عامر عبدالله 14: 73. 23: 163. 3: 164.
عباس مامند اغا 22: 31. 10: 125.
عبدالله خورشيد بارزاني 10: 206
عبدالله سلوم السامرائي 8: 188
عبدالباري سليمان بارزاني 8: 206
عبدالجبار الاعظمي 4: 196. 7: 197. 2: 198. 9: 199.
عبدالجليل فيلي 24: 37
عبدالحسين الدجيلي 3: 198. 9: 199.
عبدالحسين فيلي 19: 37
عبدالحكيم خورشيد بارزاني 11: 206
عبدالحكيم عامر 12: 120
عبدالخالق السامرائي . 15: 149. 1: 152

عبدالرحمن البزاز . 18: 42. 5: 43. 11: 44. 5: 45. 2: 128. 1: 129
19: 131. 2: 132. 8: 133. 19: 134. 2: 135. 5: 138
3: 139. 4: 140. 2: 141. 1: 142. 7: 144.
عبدالرحمن نبيحي (علما) 17: 125. 23: 135
عبدالرحمن عارف 11: 42. 7: 45. 2: 81. 24: 115. 23: 157
عبدالرحمن القاضي 1: 158
عبدالرزاق النايف 2: 145
عبدالستار الجواري 12: 201
عبدالسلام البارزاني (الشيخ) 2: 205
عبدالسلام محمد عارف 24: 37. 16: 38. 16: 80. 2: 81. 8: 82. 26: 120.
12: 122. 6: 126. 7: 127. 6: 129. 23: 131. 17: 172.
عبدالصمد الحاج محمد 20: 37
عبدالعزيز شمزيني 17: 125
عبدالعزيز العقيلي 9: 29. 4: 132. 8: 144.
عبدالكريم قاسم 9: 23. 15: 24. 20: 25. 5: 26. 16: 27. 19: 28.
28: 31. 8: 32. 13: 33. 17: 34. 4: 36. 3: 37. 5: 76
24: 77. 19: 78. 2: 79. 10: 83. 14: 115. 20: 172
10: 175. 11: 204.
عبدالمجيد جليل 25: 27.
عبدالناصر (جمال). 25: 28. 1: 37. 7: 38. 26: 80. 8: 82. 5: 85. 6: 119
11: 204
عبدالوهاب اتروشي 17: 114.
عبدالوهاب الاعظمي 8: 197.
عبدالوهاب الشواف 25: 33. 15: 24.
عبيدالله بارزاني 4: 204. 22: 205.
عثمان شيخ احمد بارزاني 2: 205
عدنان الحمداني 18: 73.
العزاوي(عباس) 14: 183.

عزيز شريف 5: 145. 9: 146

عزيز محمد 9: 73

عزيز عقراوي 20: 72. 22: 126. 18: 161. 9: 176.

عكيد صديق 19: 37

علاءالدين (نقيب) 14: 201.

علي حمدي 17: 125.

علي خليل 26: 111

علي السنجاري 8: 126

علي صالح السعدي 24: 120. 13: 122.

علي عبدالله 11: 34. 16: 126. 15: 127. 19: 145. 6: 158. 15: 160. 20: 161. 21: 169. 13: 173. 15: 176. 15: 201.

علي كمال 27: 176.

علي اليزدي 11: 183

عماد شيخ عثمان 23: 205.

عمر شريف . 24: 126

عمر مصطفى (دبابة) 10: 34. 17: 125.

- غ -

غازي الديلمي (الشيخ) 19: 198.

غزوة شاكر الوادي 25: 157.

الغياثي 15: 183.

- ف . ك -

فاتح محمد بك . 14: 126

فاخر نوري بارزاني 5: 206

فارس باوه 27: 67. 24: 110. 10: 111

فؤاد جلال 11: 126
فؤاد عارف 18: 115. 26: 121.
فؤاد معصوم 10: 86. 26: 87. 24: 126.
فيلي برانت 11: 166.

- ق -

قتيبة (ابن مسلم) 1: 192.

- ك. گ -

كرويسكايا 8: 20.
كروتروديل 16: 181.
كمال مصطفى علمدار (اللواء) 24: 139. 24: 140. 26: 147.
گونتر (نيچز) 21: 116.
گورگيس عواد 27: 182.
گومولكا 11: 166.
كيخسرو المادي 26: 181

- ل -

لسترانج 26: 182
لطيف رشيد شاهويان 16: 181. 21: 203.
لطيف زيباري (لطو) 23: 109.
لقمان بارزاني 22: 205.
لينين . 8: 20

- م -

مجید امین 21: 199.
محسن دزئي 27: 84. 8: 86. 19: 87. 13: 112. 9: 145. 7: 149.
محمد الحاج طاهر 18: 125.
محمد حسن دزئي 23: 138.
محمد حسنين هيكل 4: 81. 19: 120.
محمد خالد البارزاني 11: 68. 1: 205. 1: 211.
محمد صديق ميران 15: 26 .
محمد فاضل 22: 65.
محمد ملاعيسى بارزاني 3: 206.
محمد محمود عبدالرحمن (سامي) 25: 4. 17: 50. 24: 51. 23:159. 3: 68. 8: 86.
26: 125. 9: 145. 7: 149. 6: 158. 23: 159. 21: 169
23: 176. 2: 177. 3: 178. 15: 203. 4: 207.
محمد مهدي الجواهري 23: 23.
محمد هرسين (الشيخ) 18: 67. 24: 126. 4: 157. 3: 207. 13: 209. 13: 210. 3: 211
محمود عثمان (الدكتور] 18: 24. 24: 51. 17: 67. 15: 68. 22: 69. 19: 87.18: 90.
13: 112. 2: 126. 6: 149. 15: 155. 5: 156. 23: 161
9: 165. 22: 173. 19: 174. 25: 198. 4: 207. 1: 208.
5: 209. 16: 219
محمود كاواني 15: 26
مسعود البارزاني. 6: 66. 9: 68. 25: 69. 15: 112. 4: 113. 3: 118
8: 176. 3: 198. 21: 199. 7: 201.
مسعود محمد 20: 37 .
المسعودي 1: 187.
مدحت باشا 22: 184.
مراد الرابع (السلطان) 4: 184.
مرتضى الحديثي 21: 149. 20: 192.
مصطفى عزيز 20: 37.
مصطفى قره داغي 24: 126.

المعتصم بالله (الخليفة) 13: 186. 7: 187.
ملاّ ابراهيم 21: 199.
ملاّ عيسى البارزاني 2: 206.
ملا مصطفى البارزاني [ورد ذكره في كثير من صحائف هذا الكتاب فلم نجد حاجة الى اثبات ارقامها في هذا الجدول].
مولوتوف 17: 166.
ميشيل عفلق 8: 149. 21: 213.
ناظم كزار 22: 56. 13: 195.
نافذ جلال 7: 149. 4: 168. 8: 159. 1: 166.
نافع نوري بارزاني 4: 206
نبوبولاصر 24: 181
نجاة احمد عزيز 16: 24.
نجم الدين اليوسفي 10: 110.
نذير احمد البارزاني 2: 205.
نزيهة الدليمي 19: 163.
نعمان عيسى 22: 126.
نعيم بدوي 1: 27.
نوري احمد طه 18: 125. 15: 127
نوري الحسيني 18: 198.
نوري صديق شاه ويس. 11: 34. 16: 114. 16: 125. 15: 127. 7: 149. 5: 158 22: 169. 6: 218
.
نوري محمد صديق 4: 206.
نورية شريف 20: 146.
نوزاد لقمان بارزاني 25: 205.
نوشيروان نذير بارزاني 24: 205.
نيكسن(ريشارد) 18: 214. 5: 215.

هاشم عبدالجبار 23: 125.
هاشم عقراوي 20: 37. 12: 72. 13: 125. 10: 126.
هتلر(ادولف) 23: 198.
هفال صادق بارزاني 3: 206.
هواري بومدين 15: 86.
هوميروس 21: 214.

- ي -

ياقوت الحموي 13: 182.
يحى اسماعيل بارزاني 5: 206.
يدالله عبدالكريم 19: 37. 5: 126.
يزدكرد الثاني 21: 182.
يونان هرمز 20: 117. 23: 203.
يونس عبدالقادر 10: 16.